

موسوعة اشراط الساعة

القيامة الصغرى على الأبواب

الجزء الثاني

المدخل إلى عالم اشراط الساعة بمنهج المطابقة

الأستاذ الدكتور

فاروق الدسوقي

الحاصل على جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية



Bibliotheca Alexandrina



0112523

موسوعة أشراط الساعة

٣

القيامة الصغرى على الأبواب

الجزء الثاني

مدخل إلى علم أشراط الساعة بمنهج المطابقة

الأستاذ الدكتور

فاروق أحمد الدسوقي

حائز على جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية

حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م

رقم الإيداع ٣٢٩٧ / ٩٨

الترقيم الدولي I.S.B.N

977 - 19 - 5458 - X

تحذير

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف وكل من

يحاول الانتهاك أو النسخ من الكتاب بأي شكل من الأشكال

سوف يعرض نفسه للمساءلة القانونية

عبد الرحمن فاروق دسوقي



المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله ومن والاه.

ثم أما بعد،

فإنه مما هو معلوم عند المتخصصين أن لكل علم أكاديمي مدخلا إليه يعالجون فيه قضاياها الرئيسية ومناهجها، ويحددون موضوعاته وفوائده، وصلته بالعلوم الأخرى.

ولا أزعج أن علم أشراط الساعة علم جديد، إذ هو قديم قدم سائر العلوم الإسلامية، إلا أن علم أشراط الساعة الموروث عن السابقين الأولين لم يتضمن مطابقة ماورد من أخبار في نصوص الوحي عن الساعة وأشراتها على الأحداث والأحوال المتحققة في حياة البشرية بعامة وحياة الأمة الإسلامية بخاصة، إلا فيما ندر ومن ثم يمكننا القول أن علم أشراط الساعة بمنهج المطابقة علم جديد، هداني الله تعالى إليه من خلال إقامة جدلية أو علاقة تبادلية بين النص والحدث بمنهج التحليل النقدي للعناصر المكونة لكل منهما تنتهي إلى المطابقة بينهما، أي بين النص والحدث فيصبح الحدث تأويلا للنص ويكون النص كاشفاً عن خبايا الحدث.

إن تناول نصوص الوحي الخاص بالأشراط بهذا المنهج وُصُولاً لهدف المطابقة يؤدي إلى علم جديد لأشراط الساعة يزيد على كونه مجرد سرد وعرض للنصوص، كما هو متبع عند السابقين ومن سار على نهجهم من المعاصرين، ومن ثم كان لا بد من كتابة المدخل لهذا العلم.

إن لكل من مصطلحات: اليوم الآخر والقيامة والساعة في العلم القديم مفهوماً غير محدد وغير واضح ويكتنفها جميعاً الخلط واللبس، وكذا الحال بالنسبة لمصطلحات الأشراط والآيات والعلامات والأمارات، وحيث من الضروري التعريف المحدد الواضح لكل مصطلح من هذه المصطلحات وغيرها من مصطلحات هذا

العلم، فقد صارت هذه التعريفات من أهم موضوعات المدخل إلى علم أشراف الساعة بمنهج المطابقة، لأن أهم ما يَتميّز به أى علم جديد هو التحديد الواضح لموضوعاته وبالتالي لمصطلحاته، وكلما وضحت المصطلحات وكثرت كان هذا دليلاً على نمو هذا العلم ونضجه وشهادة لنتائج بالصحة والصواب.

وكذلك فإن معالجة موضوعات قديمة بمنهج جديد وصولاً إلى نتائج جديدة دليل* على قيام علم جديد.

وإن مما توصلنا إليه فى هذا المجال هو التمييز بوضوح بين أحداث اليوم الآخر الذى يتضمن حسب هذا العلم مراحل ثلاث تقع كل واحدة منها بنفخة من نفخات الصور الثلاث، ومن ثم أطلقت على الأحداث الناجمة بأمر الله تعالى عن كل نفخة إسم القيامة. وللتّمييز بينها أطلقْتُ على أحداث النفخة الأولى وهى نفخة الفزع مصطلح: القيامة الصغرى، وأحداث النفخة الثانية وهى نفخة الصعق: القيامة الوسطى، وأحداث النفخة الثالثة وهى نفخة البعث: القيامة الكبرى، وهذه الثلاثة - وإن كانت مذكورة فى الجزء الأول - إلا أنها مطروحة فى هذا الجزء تفصيلاً بأدلتها من الكتاب والسنة.

وتكمن أهمية هذه المصطلحات وتعريفاتها المفصّلة الواضحة فى رفع اللبس والتضارب الموجود عند المفسرين فيما دَوّنوه عن أحداث اليوم الآخر وأشراف الساعة ابتداء من ابن جرير الطبرى ومروراً بابن كثير والذين من بعدهما.

كما أن كل من كتبوا فى علم الأشراف لم يميزوا بين الأشراف والآيات والعلامات والأمارات مما أحدث عندهم لبساً وخلطاً وغموضاً واضطراباً فى تصنيفاتهم لأخبار الأشراف والفتن والملاحم، ومع أن التمييز بين الأشراف والآيات قد سبق فى الجزء الأول، فإن هذا الجزء الخاص بالمدخل تضمن تعريفاً مفصلاً وتمييزاً واضحاً بين

العلامات والامارات أيضاً فصارت مصطلحات ذات مدلولات محددة، وهذا يذكرنا بأن بعض مواضيع هذا المدخل قد سبق طرحها مجملة أو بالاشارة في الجزء الأول ومن ثم فصلتها في هذا الجزء، بالإضافة الى موضوعات أخرى جديدة ولعل قائل يقول: إن المدخل عادة ما يُكوّن الجزء الاول في أى موسوعة، فكيف يأتى في الجزء الثانى من هذه الموسوعة؟! وهذا الإعتراض وجيه، لكن عذرى أن العلم رزق من الله تعالى سبحانه لا علم لنا إلاّ ما علّمنا إياه، وما كان فى حُسْبَانِي أن أفرد للمدخل جزءاً خاصاً.

فلما كثرت موضوعاته وتَفَصَّلَتْ وظَهَرَتْ ضرورة هذه المسائل، باعتبارها تمهيداً ضرورياً لفهم قضايا هذا العلم وأجزائه المتلاحقة، إنتهيتُ بفضلُ الله تعالى وحده بهذه المسائل إلى الحجم الذى رأيتُ أنها صارت جديرة بإفرادها بجزء خاص بها.

والتفصيل بين أحداث القيامات الثلاث فى غاية الأهمية، لأن أكثر المفسرين والعلماء جعلوا أحداث كل قيامة متداخلة مع التى تليها، فدَمَجُوا أحداث الصغرى والوسطى فى قيامة واحدة، وجعلوا النفخات الثلاث إثنين فقط، فحدث اللبس والخلط والتعارض والإختلاف فى تفسيرهم لنصوص الوحى: كتاباً وسنة تلك النصوص التى تتحدث عن مشاهد القيامة وما يحدث فيها من أحداث وأحوال فى السماء والأرض والجبال والبحار والكواكب وغيرها. وكذلك النصوص التى تتحدث عن العذاب وهى كثيرة جداً، حتى أننى أقول مطمئناً أن تفسيرات المفسرين لهذه النصوص: قرآناً وسنةً قد شابها الغموض لما تضمنته هذه التفسيرات من أخطاء نتيجة هذا الخلط.

ومن ثم يعتبر هذا الجزء متضمناً للأساس الفكرى لتصحيح هذه التفسيرات الخاطئة لا أقول لعشرات الآيات القرآنية بل لمئات الآيات وربما للآلاف الخاصة

بموضوعات هذا العلم وهذا من أعظم ما أنعم الله تعالى به علىّ، وأدعو الله عزوجل أن يوفقني إلى إتمام هذه الموسوعة التي أرجو أن تتضمن في أجزائها كشف هذه الأخطاء، وبيان الوجوه الصحيحة لتأويل هذه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ويكفي فائدة عظيمة لهذا العلم كشف اللبس والغموض والإختلافات الكائنة في كتب التفسير حول آيات القيامة والساعة والأشراط، وقد عرضتُ بعض الأمثلة لهذه التأويلات غير الصحيحة لنصوص أحداث القيامة في الباب الأخير من هذا المدخل.

وحيث أن من العرف المعمول به لدى العلماء في المدخل لأي علم إستعراض الأبحاث والنتائج السابقة له منذ السابقين حتى المحدثين والمعاصرين، فقد عرضتُ باباً إستعرضتُ فيه أعمال أهم المساهمين فيه وخصصتُ لكل واحد منهم فصلاً، تناولتُ فيه ماكتبه وصنّفه في أشراط الساعة والفتن والملاحم تناولاً نقدياً مقارنة لبيان أوجه الإتفاق والإختلاف بين تصنيفاتهم للأشراط من ناحية، وترتيبهم لها من ناحية أخرى مع الإشارة إلى أوجه الخطأ والصواب فيها مع سوق الأدلة على ذلك من الكتاب والسنة.

إن علم أشراط الساعة بمنهج المطابقة يختلف، من حيث المنهج والأهداف والنتائج عن كل ما سبق تدوينه في القديم والحديث تحت عناوين أشراط الساعة والفتن والملاحم. من حيث أن الأولين السابقين من العلماء رحمهم الله لم يكن أمامهم إلا أن يفهموا نصوص الوحي الخاصة بالأشراط من خلال تصورات ومفاهيم عصورهم، وبالتالي فهم معذّورون، إذا لم تتطابق تفاسيرهم للآيات وشروحهم للأحاديث، مع كل ما تحقق من أحداث تاريخية، وعلوم ومخترعات صناعية، لم تكن تخطر على بال أحدهم، فيما تعيشه البشرية في عصرنا الراهن، فنحن أهل هذا العصر الراهن أقدر على فهم هذه النصوص منهم، لأننا نعيش تأويلاتها، من هنا

جاءت أهمية المطابقة بين المفاهيم اللغوية لنصوص الوحي مع الأحداث والأحوال الاجتماعية والخلقية وكذلك مع المخترعات العصرية^(١) فظهرت بالتالى نتيجة هذه المطابقة معالم ومقومات وأصول علم جديد فى أشراف الساعة.

والمدخل إلى هذا العلم الذى هو الموضوع الرئيسى لهذا الجزء، يضع الأساس الإعتقادى له، ويقدم أهدافه ومناهجه ومصادره وفوائده ومفاهيمه ومصطلحاته، ومراحل القيامه الثلاثة، ويحدد أحداث كل مرحلة فى علم يتناول المستقبل إبتداء من عصرنا الراهن إلى نهاية الدنيا.

من أجل هذا كله إستحق أن يكون مدخلا لعلم أشراف الساعة بمنهج المطابقة الذى لاغنى عنه لمن يريد أن يتابع قراءة هذه الموسوعة. أسأل الله العلى القدير سبحانه أن يُثَقِّلَ بجهدى المتواضع هذا ميزانى وميزان من أعاننى على إخراجه وتقديمه للقارئ المسلم، وأسأله سبحانه أن ينفع به المسلمين، إنه سميع مجيب.

د. فاروق الدسوقي

٧ ربيع ثان ١٤١٩ هـ

٣١ يوليو ١٩٩٨ م

الإسكندرية فى

(١) وستعرض بأذن الله تعالى فى الجزء الثالث الإمارات العلمية والتكنولوجية والصناعية وسيجد القارئ أنه ما من اختراع معاصر الا وقد اخبر عنه الوحي وارجوان يصدر قريباً جداً.

الباب الأول

مصادر أشراف الساعة وأصولها

الإعتقادية في الكتاب والسنة

الفصل الأول: الكتاب والسنة أصبح مصادر علم المستقبل على
الإطلاق

الفصل الثاني: الاصول الاعتقادية لأشراف الساعة أو علم المستقبل
في الكتاب والسنة.

(١) حفظ القرآن الكريم لفظاً ومعنى ظاهرة فريدة

سيظل كتاب الله تعالى محفوظاً، بأمر الله تعالى وقدره النافذ، من الزيادة والتقصان والتبديل والتغيير والتحريف، أى سيظل مصوناً من ذلك كله لفظاً ومعنى.

وهذا هو الواقع المشهود المعروف بالظاهرة القرآنية باعتبار أنه ظاهرة تاريخية فريدة متميزة غير متكررة فليس لها نظير فى الأديان الكتابية السابقة، وليس لها سابق ولا لاحق فى تاريخ الحضارات وفيما هو موروث من تراث أى أمة ومن ثقافة أية حضارة. لقد هبأ الله تعالى لحفظه باللفظ والكلمة الصدور التى تحمله عن آلاف الصدور عبر الأجيال، هكذا خلال القرون الأربعة عشر التى هى عمر أمة الإسلام، هذه الأمة التى جاء فى الوحي القديم عن تميزها، بأن «المجبلهم فى صدورهم».

وكذلك بما هبأ الله تعالى للأمة من أسباب كتابته وتدوينه وجمعه ومراجعته واتقانه من خلال مؤسسات انتشرت فى العالم الإسلامى المترامى الأطراف بحيث يكون من المستحيل أن تصدر طبعة من الطبعات فى عصر المطبعة بها أدنى تغيير ليس فى كلمة أو فى حرف من حروف الكلمة، بل وليس فى شكلة من أشكال الحروف، أو نقطة من نقاطها.

وكذلك حفظ الله تعالى كتابه من حيث المعنى بما هبأه الله تعالى من علماء مخلصين لتفسيره، وبيان أسباب نزول بعض آياته وناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه وغير هذا كله من علوم القرآن الكريم.

وحَفِظَهُ اللهُ تعالى من حيث المعنى بما هبأه له من علماء اللغة العربية، وما وضعوه وأنشأوه من علوم شتى للغة العربية: كالنحو والصرف والبلاغة والعروض، ومن معاجم وضعوها، حفظوا بها لغة القرآن الكريم حية غضة طرية، فحفظوا لنا أسرار العربية ودقائقها التى نفهم بها القرآن الكريم، رحم الله القراء والعلماء والحفاظ والنحاة جميعاً، وجزاهم عن الأمة خير الجزاء، فهم الذين حفظ الله تعالى بهم القرآن

الكريم، كلمة ومعنى. ولا يرتاب في هذه الحقيقة التي هي تحقيق لوعده الله تعالى
﴿وَإِنَّمَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾
[الكهف / ٢٧] لا يرتاب فيها إلا منافق، ولا يرفضها إلا كافر خارج عن الملة.

هذا بالنسبة للقرآن الكريم المنزل من الله على قلب رسوله ﷺ بسوره وآياته
وكلماته وحروفه، كما هو مدون في المصحف الذي بين أيدي المسلمين اليوم.

(٢) حفظ السنة بالمعنى

أما السنة النبوية الشريفة التي هي المصدر الثاني للإسلام، وهي مصدر رباني
كالقرآن الكريم، لأنها وحى منزل على رسول الله ﷺ، ولكن بالمعنى فقط دون اللفظ،
فالمعنى إلهي رباني سماوي، واللفظ نبوي كريم، فهو بشري من هذا الوجه فقط.

ومن ثم لما عجزت الطواغيت المحرقة لرسالات السماوية عن تحريف القرآن
الكريم، لا باللفظ ولا بالمعنى، وضعوا همهم وجهدهم لتحريف السنة النبوية
محاولين تقليد الأسلوب النبوي الكريم ليخدعوا المسلمين بما هو شبيه به وعلى
منواله. فوضعوا الأحاديث وكذبوا على رسول الله ﷺ، وكون أعداء الأمة من اليهود
جيشا من المتظاهرين بالإسلام المدعين العلم، وانتشروا في الأمصار والقرى يقصون
على الناس من القصص والأقاويل ما يفسد عليهم دينهم ويحرفون في نفوسهم
مبادئ الإيمان وأصول الإسلام.

فهل تم لهم ما أرادوا وضاعت السنة الصحيحة بين ركام الموضوعات
والمكذوبات والمرويات الإلحادية؟ حاشا لله عز وجل العزيز الحكيم أن يسمح بضياح
رسالته الخاتمة للإنسان وشريعته الأخيرة للبشرية، وسنة النبي ﷺ وحى من الله تعالى
وقسم جوهرى منه، فكيف يضيع من هذه الرسالة؟ وقد أخبر حبيبه المصطفى سيدنا
محمد بن عبد الله الهاشمي القرشي بأنه خاتم الرسل وآخر الأنبياء، وبأن الوحي
الذي نزل عليه هو الوحي الأخير للناس، ومن ثم وعد سبحانه بحفظ كلامه الذي
يتعبد به المسلمون، وأيضا وعد بحفظ الذكر المنزل عموما من عند الله تعالى فقال
﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (١)﴾ [آية: الحجر/ ٩] هذا وعد منه عز وجل

يحفظ السنة، التي هي من الذكر، لأنها من الوحي المنزل، وقد وعد الله تعالى بحفظه، أنزله من ذكر على نبيه ﷺ، أى القرآن والسنة.

ومن ثم جاءت بالفشل محاولات اليهود بخاصة وأعداء الإسلام بعامة للقضاء على السنة، أو لتحريفها، أو لتغليب المكذوب على الصحيح فيها، أو لتضييع الصحيح وإخفائه فى المكذوب والموضوع، فلم ينجحوا، ولم يصلوا إلى ما خططوا له، ولم يحققوا ما ابتغوه، وهدفوا إليه، وأبطل الله تعالى كيدهم، الذى أحيانا، ربما يبلغ من القوة أن نزول منه الجبال.

بل أدى كيدهم وخبثهم ومكرهم هذا ضد السنة الشريفة إلى أن تصدى علماء الأمة لهم، ووقفهم الله تعالى إلى إنتاج أعظم العلوم الإنسانية فى تاريخ البشرية قاطبة، وهو علم النقد التاريخي، القائم على تعديل ومجريح السند، الذى ليس له نظير عند الأمم الكتابية الأخرى.

فقبض الله تعالى لسنة نبيه من العلماء المخلصين الذين أنتجوا العلوم، وشيدوا المدارس والمعاهد والكلليات، وأسسوا المناهج والمصطلحات والمعاجم وسطروا المجلدات بعلوم السنة: رواية وتحقيقا وحفظا وتنقيّة ومراجعة وتدوينا، كل هذا على مدى قرون الإسلام الأربعة عشر، فأثمر هذا كله ما يُعرف الآن بعلوم الحديث النبوي، وهى العلوم التى انفردت وتميزت بها أمة المطفى الخاتم عن سائر الأمم الكتابية، فاستحقت بذلك أن يطلق عليها بعض المستشرقين بحق: «أمة السند» اعترافا بحقيقة تاريخية متفردة فى تاريخ البشرية المكتوب. وهى علوم الحديث النبوي. وبهذا التراث العظيم أصبح لدى المسلمين الميزان الدقيق والمعياري العلمى الذى يمكنهم أن يختبروا به كل خبر تاريخي وكل حديث منسوب لقائله بعامة ولرسول الله ﷺ بخاصة، ليصلوا فى النهاية إلى الحكم بأنه صحيح أو حسن أو ضعيف أو مكذوب أو موضوع.

فعلوم الحديث بما فيها من مناهج لنقد الرواية، ومن علوم متعددة للجرح والتعديل، ومن معاجم تضم عشرات الألوف من أسماء الرواة بتقرير واف عن كل منهم، ودرجته من الحفظ والاتقان والأمانة، بشهادة الأئمة والعلماء الكبار فى

الأجيال الثلاثة المشهود لها، كل هذا يُعدُّ مُرَشَّحاً دقيقاً جداً لا يتفد منه إلا كلُّ ما هو خالص ونقى وخال من الشوائب والآفات، وبهذا يتميز الطيب عن الخبيث في المرويات، إذ بهذا العلم حفظ الله تعالى القرآن الكريم من التحريف في معانيه، لأهمية السنة الشريفة في تفسير وفهم كتاب الله عز وجل، لأن حفظ الله عز وجل أحاديث نبيه وسيرته وتاريخ الأجيال الثلاثة الأولى، وأقوالهم وأثارهم إنما هو تمام لهدى الله تعالى ولنوره لأجيال الإسلام حتى آخر الزمان.

(٣) دعوى التشكيك في السنة وفي أحاديث الآحاد مصدرها المنافقون ومن في قلوبهم مرض وجهلة المسلمين

ومع هذا فقد ابتليت الأمة بمن يشكك في السنة النبوية، وهذا قدر الله تعالى بإتلاء المخلصين بالمنافقين وبالذين في قلوبهم زيغ، وهذا البلاء لم ينج منه جيل من أجيال الأمة، إذ ظهر مع ظهور الفرق الخارجة عن الجماعة، وما زال له منافقون يُروِّجُونَهُ، فالخوارج الأوائل الذين خرجوا على الأمة في عهد الصحابة وكفروا الصحابة حتى الإمام على رضي الله عنه، هؤلاء لم يكن لهم علم بأحاديث رسول الله ﷺ، إذ كان أكثرهم من البدو الذين ليس لهم صحبة معه عليه الصلاة والسلام، ولم يكن لهم علم الحديث قد تكون بعد.

ثم ظهرت القدريَّة أصحاب بدعة نفى القدر وقالوا: «لا قدر والأمر أنف» وهؤلاء لم يرجعوا إلى السنة، بل لم يرجعوا إلى جميع آيات القرآن الكريم، وإنما أخذوا ببعض دون بقية الآيات، فخرجوا ببدعتهم الضالة المضلة التي ردها ونقضها من طال عمره من الصحابة، مثل عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما وذكر من أحاديث رسول الله ﷺ ما يدل على بطلان قولهم.

ثم ظهرت المعتزلة أصحاب هوى، فزعموا أنهم يستخدمون العقل في فهم القرآن الكريم، ولم يكن اعتمادهم على العقل بقدر ما كان على الهوى، فكان منهم ما كان من القول بخلق القرآن الكريم، وصارت فتنة أُبتلى فيها أئمة الأمة فصمدوا وبيَّنوا وصبروا.

وكان من فتنتهم بدعة رد أحاديث الآحاد بحجة أنها ظنيَّة، وأنه يؤخذ بها في

الأعمال، ولا يؤخذ بها في العقائد والغيبيات، وما قالوا ذلك إلا لكي يردوا من الأحاديث ما لا يوافق أهواءهم ويدعهم، وما عرفت الأمة في عصر الصحابة وفي الأجيال الثلاثة المشهود لها التفرقة بين أحاديث الآحاد والأحاديث المتواترة، من حيث الصحة والقبول. بل ما صح سنده عندهم فهو صحيح، وإن كان برواية الآحاد عن الآحاد وما لم يصح فهو ليس بصحيح حتى ولو لم يكن من الآحاد.

وظل أصحاب الزيغ في كل جيل يثيرون الشبهات حول السنة ابتغاء الفتنة وابتغاء صرف المسلمين عنها، ومن ثم يبتعدون عن الإسلام الصحيح الكامل. يقولون الأحاديث فيها الموضوع والمكذوب، ولا نستطيع أن نميز بين هذا كله وبين الصحيح. إذن، منعا للضلال نكتفي بكتاب الله تعالى، لأن الله تعالى وعد بحفظه، ولنرفض كل الأحاديث. فإذا وضع العلماء لمن اغتر بهذا القول بعض حقائق علوم الحديث، وأنها جبل شامخ عزيز على مكر الماكرين وعبث العابثين، وأن العلماء منذ القدم قد ميزوا بين الصحيح والحسن والضعيف، وأنهم عزلوا عن سنة النبي ﷺ كل ما هو دخيل خبيث، وأنه لا يقول بهذا القول إلا جاهل أو ضال مُضِلُّ مبتدع هادم لدين الله تعالى، تراجعوا خطوة، وقالوا ولكن - مع تسليمنا بجهود المحدثين والحفاظ بمعرفتهم للصحيح من الضعيف والموضوع، إلا أنهم يقرون أن من أقسام الحديث ما هو متواتر، وهو المروى بسند جماعي عن سند جماعي يبلغ العشرة فيستحيل تواطؤهم على النسيان أو الكذب، والقسم الآخر هو الآحاد، وهو المروى بفرد عن فرد أو آحاد دون العشرة، فيكون متن هذا الحديث الذي هو عن طريق سند فردى ظنيا، وليس يقينيا ومن ثم لا يصلح أن يكون مصدرا للعقائد والغيبيات. ثم يبنون على هذه المقدمة نتيجة ويقولون: وعلى هذا فنحن لا نرفض الأحاديث المتواترة، وإنما نرفض الآحاد. وإذا أخذنا بها، ففي فضائل الأعمال وليس في العقائد. هذا ما قالته المعتزلة مخالفة بهذا القول جميع علماء الأمة، والذين في قلوبهم زيغ يستغفون الفتنة، ويردد هذا القول خلفهم أنصاف المتعلمين والمثقفين بالثقافة الغربية الجاهلين بالإسلام.

وقد رد العلماء من كل جيل على هذه الدعوى الباطلة بتفاصيل وأدلة من الكتاب والسنة تثبت أن الصحابة اعتمدوا أخبار الآحاد لدينهم^(١).

(٤) التشكيك في أحاديث أشراط الساعة لا يفيد إلا أعداء الإسلام

ولما كان الإيمان باليوم الآخر هو الركن الخامس من أركان الإيمان في الإسلام، ولما كان بدء اليوم الآخر وصدوره في الدنيا^(٢) باعتبار أنه آخر أيامها أى آخر عصورها، وانتهاءه بيوم الحساب بعد البعث والنشور وآخره دخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، لذا جاءت أخبار هذا اليوم مفصلة في السنة الشريفة بينما جاءت أخباره مجملة في القرآن الكريم، ومن هذا المفصل أشراط الساعة وعلاماتها وأماراتها وآياتها.

فما جاء عنها مجملاً في القرآن فصلته السنة، وما جاء ذكرها تلميحاً وإشارة في الكتاب كشفته السنة، وصرحت به الأحاديث .

وقد أخبر الله عز وجلّ كليمة موسى عليه السلام بقوله عنها ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ﴾ [طه / ١٥] فلم يقل سبحانه «أخفيها» وإنما قال «أكاد أخفيها» لأن الوَحْيَيْنِ القديم والآخر تَضَمَّنَا ذِكْرًا لأحداث معينة محددة متسلسلة في الزمان تسبق الساعة مباشرة، فإذا وقع أولها، تيقن العالمون بهذه الأمارات من الوحي أنهم في آخر الزمان، وأن اليوم الآخر قد بدأ، ومن ثم يمكنهم ترقب الحدث بعد الحدث فيحدث كما جاء خبره في السنة الشريفة. هذه الأحداث هي ما يعرف في السنة بأشراط الساعة وعلاماتها وأماراتها وآياتها.

وأخطر هذه الأحداث فتن وملاحم، أى مواقع عسكرية عظيمة تقع بين أهل

(١) انظر رسالة «حديث الآحاد والمقبلة» ورسالة «الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام» للشيخ الألبانى وهو من أعلم أهل الأرض في علم الحديث وردود العلماء القدماء وعلى مر تاريخ المحدثين كثيرة.

(٢) حسب قول ابن عباس رضى الله عنه وسيأتى بيانه ومصدره.

الإيمان وأهل الكفر، من خلال الصراع المستمر بين حزب الله وحزب الشيطان، وعصر الملاحم يعبر عن سلسلة من هذه الملاحم العظيمة يقود حزب الله تعالى فيها شخصيات مؤمنة صالحة ويقود حزب الشيطان شخصيات ملحدة كافرة متألهة طاغية.

أهم الشخصيات المؤمنة شخصية المهدي محمد بن عبد الله، الذي يأتي في عصر ضعف المسلمين وضباب خلافتهم، وامتلاء الأرض بالظلم والفساد والشر والظلام، فيعيد الله تعالى به الخلافة الراشدة، ويوحد العالم الإسلامي، بعد فرقة ويعم الخير والعدل على يديه، وتستمر بعده الخلافة حتى يأتي القحطاني، وهو الخليفة الراشد الذي يأتي بعده فتحاربه أوروبا الصليبية، وتهجم على جميع أرجاء العالم الإسلامي في الموقعة الفاصلة النهائية بين الروم والمسلمين، فيهزمهم الله تعالى، ويدخل المسلمون أوروبا، ثم يخرج الدجال وهو القائد الخفى الآن لحزب الشيطان، فيظهر لأول مرة للناس ويظهر مخاريقه ويدعى الربوبية، ثم ينزل المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ويقتله، ويحارب المسلمون تحت قيادته، حرب استئصال لليهود وللمشركين، حتى يقول الحجر والشجر يامسلم ياعبد الله ورائي يهودى تعالى فاقتله، ويضع المسيح عليه السلام الجزية فلا يقبل من النصارى إلا الإسلام أو القتل ثم يخرج بأجوج ومأجوج فيقتلهم الله، ثم تصير الأرض كلها مسلمة تحت حكم المسيح عليه السلام وتعطى بركتها.

ثم تخرج الشمس من مغربها وتخرج الدابة من الأرض ويأتى الدخان من السماء.

ونحدث بعد ذلك أحداث تعود من خلالها البشرية إلى الكفر، ويبقى الأشرار وحدهم فى الأرض، ثم تخرج نار من قعر عدن، فتسوق الناس إلى محشرهم، ثم تقوم الساعة فى وقت لا يعلمه إلا الله وحده سبحانه وتعالى. هذه الأخبار وردت فى السنة، ولها سندها فى القرآن الكريم، واتفق العلماء فى عصور الأمة عليها، لكن لأمر ما يظهر فى الأمة من يقول:

- أحاديث المهدي كلها موضوعة لا أصل لها، فما صح منها غير صريح وما هو صريح منها غير صحيح، وأن فكرة المهدي من صنع الشيعة، والقول بالمهدوية يحيل الأمة إلى التواكل. كأن الأمة في عصر ذلها وهوانها من أبناء القردة والخنازير قادرة على النصر، ولكنها لا تريد وتفضل عدم الأخذ بالأسباب فتتواكل؟ أين الأسباب التي يمكن الأخذ بها أمام إفساد اليهود وعلوهم الكبير في الأرض؟ إلا الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة؟ وإلا الصبر على الأذى والتعذيب في السجون والقتل؟

- ومن يقول: لم يرد ذكر الدجال في القرآن الكريم وأحاديث الدجال (تعارضت فتساقطت) وإن صحت بعض الأحاديث فيه فهو رمز للفساد والشر الذي سيغلب على الناس في آخر الزمان، ولا يوجد شخص أعور اسمه الدجال.

- ومن قولهم أيضا لم يرد ذكر نزول المسيح عيسى بن مريم في القرآن الكريم، وإنما ورد في السنة، وهذا النزول يتعارض مع كون المصطفى سيدنا محمد خاتم الرسل والأنبياء، إذ يكون المسيح عليه السلام رسولا نبيا بعد المصطفى الخاتم ﷺ ولم يثبت في القرآن رفع المسيح عليه السلام حيا حيث توفاه الله إليه، وهذا أمر مخالف للسنة، والله تعالى أخبر أنه لا يكون ولن تجد لسنة الله تبديلا ولا تحويلا، وأنه تعالى ما جعل لبشر قبل نبيه ﷺ الخلد.

- كذلك بقية آيات الساعة العشر، وهي الخسوف الثلاثة وخروج الشمس من مغربها وخروج الدابة من الأرض والدخان من السماء قد جاءت مجملة في القرآن، ونص القرآن على الدابة فقط، أما الدخان فقد اختلفوا في تفسيره.

هذه أقوال فئات من الأمة ترددها خلف من لا يريد لهذه الأمة خيرا ولا صلاحا ولا هدى ولا انتفاعا بسنة نبيها ﷺ. لمصلحة من يكون هذا الكلام؟

ليس هذا الكلام لمصلحة حزب الشيطان بعامة؟ ولمصلحة المسيح الدجال ودولته، التي تحكم الأرض الآن من خلال مؤسسات صنعها لذلك، بخاصة؟

إذا كذبنا وجود شخصية الدجال فسيكون هو ودولته أسعد الناس بهذا التكذيب، لأنه سيظل العدو الخفي الذي يحارب من وراء ستار، فكيف تنتصر أمة في صراع

وحروب قاسية، وهى لا تعرف مَنْ الذى تحاربه؟ بل ربما تستجيب لدعوته فتطيعه فتقع فى الخيبة التى ما بعدها خيبة، والنكسة التى ما بعدها نكسة، وكم من نكسة مرت بها الأمة، لأنها لم تكن تعرف مَنْ العدو وَمَنْ الولي المخلص، وإذا رفض المسلمون التصديق بوجود شخصيات ستقودها للخير كالمهدى الأول والآخر والمسيح بن مريم عليهم السلام، فإنهم سيحاربونهم، إذا جاءوا ويصبحون عوناً للأعداء عليهم بدلاً من أن يكونوا عوناً لهم على الأعداء، أفرأيتكم كم هو الضلال والتضليل الذى يَصْنَعُهُ الذين يُفْتون بغير علم، تقليداً وترديداً لمقولات بثها الأعداء، وما ذلك إلا لجهلهم بما تركه لنا رسول الله ﷺ من أحاديث عن أشراط الساعة والفتن وملاحم آخر الزمان.

فحزب الشيطان هو صاحب المصلحة فى تكذيب الأحاديث الصحيحة والحسنة، وحتى الضعيفة منها، تلك التى يمكن تقويتها، فى الفتن والملاحم وأشراط الساعة وأماراتها.

وهل فى سنة رسول الله ﷺ إلا كل ما هو هدى ورحمة، ونفع وموعظة للأمة، وبخاصة للنجاة من الفتن. ١٩

(٥) من الصعب، إن لم يكن من المستحيل، الوصول إلى التفسير الصحيح للأحداث المعاصرة، من غير الرجوع إلى نصوص الوحي فى أشراط الساعة.

فى ثانيا الجزء الأول من هذا الكتاب قدمت الأدلة من القرآن الكريم والسنة، على أننا نعيش فى هذا العصر، إفساد اليهود الثانية والأخيرة مع العلو الكبير فى الأرض كلها، وأن هذه الإفساد وهذا العلو هما من صناعة المسيح الدجال ملك اليهود.

ثم أقمتُ الدليل من السنة على أن أول أشراط الساعة الكبرى كما أنبأ به حديث البخارى (أول أشراط الساعة نار تحترق الناس من المشرق إلى المغرب) (١) هو فتنة

(١) صحيح البخارى/ ك أحاديث الأنبياء / ب خلق آدم وذريته/ ح ٣١٩٦. وأخرجه أحمد والنسائى. ورقمه فى مسند أحمد: ١١٧٥٣.

العراق والكويت أو الحرب العالمية الثالثة ضد العراق عام ١٩٩٠/١٩٩١ م. وباعتبار أن هذه أولى الملاحم، فإن هذا يدل على أننا في آخر الزمان، وأن اليوم الآخر قد بدأ، وأن القيامة الصغرى على وشك الحدوث، متمثلة في الزلزال والخسوف وغير ذلك من مظاهر القيامة الصغرى في القرآن الكريم، إذا لم يرجع الناس ويتوبوا إلى الله ويقلعوا عن جرائم: استحلال الزنا والربا والخمر وكل ما وقعوا فيه من آثام عمت البشرية جمعاء.

وثبت لنا أيضاً من خلال فصول هذا الكتاب أن الإفسادة الكبرى لليهود في الأرض كلها، والتي وصلوا بها إلى العلو الكبير، والسيطرة على مقدرات الأرض كلها، هي من صناعة اليهود بقيادة المسيح الدجال الذي لم يعلن عن نفسه بعد، وأنه هو الذي أملى بروتوكولات حكماء صهيون على المجلس الذي كان يتلقى منه، وأن المرحلة التي تعيشها البشرية الآن باسم النظام العالمي الجديد، وحكم الدول المُستَضَعَّة بما يعرف بمجلس الأمن الذي يصدر قرارات الحصار والتجويع ومنع الأدوية وقتل الشعوب، وحشد الجيوش، كما حدث مع العراق، وما زال يحدث حتى الآن، إلى أن وصل عدد المقتولين من الأطفال في العراق خلال أقل من سبع سنوات منذ انتهاء الحرب العالمية الثالثة أولى الملاحم حتى عام ١٩٩٧ حوالي ٩٥٠٠٠٠ تسعمائة وخمسين ألف طفل، وعدد المقتولين من الرجال والنساء بسبب الحصار ومنع الأدوية حوالي مليوني رجل وامرأة، ذلك كله في شعب ضعيف صغير مثل الشعب العراقي، خلاف قتلى الطلعات الجوية التي ظلت أربعين يوماً وبلغت قوة المتفجرات التي ألقيت على العراق ما يعادل عشر قنابل نووية كالتي ألقيت على اليابان، نقول: إن هذه المرحلة التي تعيشها البشرية تحت حكم قوة واحدة، يبدو في الظاهر أنها قوة الولايات المتحدة الأمريكية متعاونة معها أربع دول أخرى في مجلس الأمن، هي في الحقيقة المرحلة الأولى لحكم الدجال للأرض من خلال قوة واحدة، بعد أن كان يحكمها خلال النصف الثاني من القرن العشرين بقوتين عظميين. فليست أمريكا حاكمة للعالم، بل ليس الشعب الأمريكي حاكماً لنفسه، بل تحكمه الصهيونية التي يحكمها ويحركها الدجال لهدف نهائي شخصي له، وهو إعلان

ربوبيته للعالم من خلال اعلان نفسه ملكا متوجا لليهود، ثم للعالم كله كما دلت على هذا الأحاديث الصحيحة.

أما الحالة الثانية للوجود الدجالي فهو يوم أن يظهر للعيان فيبصره الناس بأعينهم، أى الخروج النهائي الذى يكون من أصبهان يتبعه سبعون ألفا من اليهود عليهم الطيالة أى أكبر تجمع يهودى.

أى أن للدجال حضورين ووجودين فى الأرض، هما ثمرة الإفسادة الأخيرة والعلو الكبير: الأول حضور وتواجد وسلطان عالمى على أكثر شعوب الأرض فى شكل مؤسسات ودول عظمى ومنظمات مالية وبنوك وجيوش سرية تأتمر بأمره وهو يمسك بالخيوط الخفية التى يحرك بها كل ذلك.

والثانى: الحضور العلنى عندما يخرج من أصبهان، والأمر الطبيعى أن لا يخرج هذا الخروج الأخير الذى سيزعم فيه أنه رب العالمين، ومنقذ البشرية وأمير السلام والإله الذى تجب عبادته، إلا بعد أن يصنع من الأجهزة والمؤسسات والوسائل والآليات التى تمكته من أن يطاع، وطبعى أيضا أن يكون هذا كله من خلال اليهود وبهم، لأنه ملك اليهود وإله يهود كما دلت على هذا النصوص الصحيحة المتطابقة مع الأحوال والأحداث البشرية العالمية المعاصرة.

(٦) العجب كل العجب أن يشكك البعض فى أهمية علم أشراف الساعة ويعدّلون عنه بالرغم من بدء اليوم الآخر؛

كل هذا يوجب تنبيه الأمة وتحذيرها مما هو قادم من فتن ومخاطر وبلايا ومحن، كما نبأنا بها سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

وبالرغم من أن هذا الكتاب الذى صدر الجزء الأول منه باسم زلزال الأرض العظيم ثم صدر الإصدار الثانى من هذا الجزء الأول تحت عنوان القيامة الصغرى على البواب. قد وجد صدى إيجابيا عند بعض المسلمين وتفهموا ما فيه ولم يصددهم عن حقائقه الثابتة بالكتاب والسنة والوحي القديم بعض ما اكتشفه من أخطاء تدور كلها حول مواعيد توقّعتُها للأحداث المنتظرة، فإنه قد وجد صدى سلبيا عند البعض الآخر بسبب هذه الأخطاء، لكن هناك من المثقفين والمتعلمين والمتخصصين بل ومن العلماء والدارسين للعلوم الشرعية من يرفضون البحث فى أشراف وعلامات

وأمارات الساعة لإثبات الذي تحقق منها، هذا الإثبات الذي صح منه الكثير واتفق عليه كثير من المخلصين، وتفهمه العقلاء والمستبصرون من أبناء أمة الإسلام. فهناك من يقول ما فائدة هذا العلم؟ فإذا تلقى الردود المقحمة وسلم بفائدته، عاد وقال لكن أكثر أحاديث الفتن ضعيفة أو ضعيفة جداً، كما أن الصحيح منها يغلب عليه أحاديث الأحاد؟! ومن ثم لا يمكن الوصول إلى حقائق مؤكدة صحيحة تطمئن إليها النفس؟!

إن أعظم نتيجة أردت تقريرها وتأكيدا والتحذير منها في هذا الكتاب هي:
لقد بدأ اليوم الآخر، وإن لم ترجع البشرية إلى الله تعالى، وتقلع عن الحياة الحيوانية البهيمية التي تسفلت إليها - فلتتظر ولترتقب العذاب الأليم بزلزلة الأرض والحسوف العظيمة، والموت بما فيه، والهلاك.

وبالرغم من أن في هذا الكتاب من الأدلة على هذه الحقيقة من القرآن الكريم ومن السنة ومن الوحي القديم بما يكفي لكي يبرهن على أننا في مقدمات القيامة الصغرى وتعيش الإنسانية إرهاباتها وأسبابها ودواعيها، إلا أنني بعون الله وتسديده سأقدم في الجزء الثاني بإذن الله تعالى من الأدلة القرآنية القاطعة بأن البشرية تعيش اليوم، وليس غداً عصر الرجفة أو الواقعة أو الزلزلة وكل هذه أسماء للعذاب الواقع الذي ليس له من دافع، إذا لم يرجع الناس إلى ربهم عز وجل ويتوبوا.

(٧) فتنة إنكار السنة أو التشكيك في الأحاديث النبوية الشريفة والمخرج منها

فعندما تصبح الأحاديث فتنة يتعلل بها المفتونون للحجون للدنيا الذين يستبعدون عن أنفسهم الموت مؤملين في الدنيا، ويستبعدون عن البشرية الفناء فتنة بالحياة وحبا فيها فيتشبهون في أمل كاذب يبنونه على ضعف الأحاديث النبوية الشريفة أو لأنها آحاد، عندما تكون فتنة السنة على هذا النحو، فالنجاة منها للمفتون هو كتاب الله عز وجل، لعله يتنبه، ولعله يستيقظ من غفلته، ولعله يعود بما بقى عنده من إيمان بأصل الوحي الخاتم المحفوظ والمصون بسوره وآياته وكلماته وحروفه بحفظ الله تعالى وعنايته وأمره النافذ.

روى الترمذى عن الحارث الأعور قال مررتُ فى المسجد فإذا الناس يخوضونُ
فى الأحاديث فدخلتُ علىَّ علىَّ فقلت: ألا ترى الناس قد خاضوا فى الأحاديث؟

فقال: أو قد فعلوها؟

فقلت: نعم

قال: أما إننى سمعتُ رسولُ الله ﷺ يقول: (ألا إنها ستكون فتنة) قلت: فما المخرج
منها يا رسول الله؟

(قال: كتاب الله فيه نبأ ما كان قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل
ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله، هو
حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذى لا تزيغ به
الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشيع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد،
ولا تنقضى عجائبه، وهو الذى لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: ﴿إنا سمعنا قرآنا
عجبا يهذى إلى الرشء فأمانا به﴾. من قال به صدق، ومن عمل به أجز ومن حكم به
عدل، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم). خذها إليك يا أعور^(١).

فإذا راجعنا صدر الحديث علمنا أن المقصود من قوله ﷺ (ألا إنها ستكون فتنة)
هو التشكيك فى السنة، لأن الضمير فى (إنها) يعود على الأحاديث، وذلك لأن
الحارث الأعور لما وجد الناس يخوضون فى الأحاديث أى فى ضعفها ومدى يقينيتها
بالقياس إلى القرآن الكريم، ثم دخل وأخبر الإمام على رضى الله تعالى عنه، فكان
الإمام كان يعلم أن هذا سيكون من أمة الإسلام حسب ما سمعه من المصطفى ﷺ،
وأن هذا سيحدث كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ، ولكنه لم يتوقع أن يحدث هذا
فى عصره وخلال حياته، فقال متعجبا «أَوَقَدْ فَعَلُوهَا» وهذا تعبير العالم بالحدث
المتوقع لحدوثه، لكنه لم يكن يعلم متى؟ وفيه من التعجب ما يفيد أنه ما كان يتوقع
حدوثه فى عصره، ثم أخبر الأعور عن إخبار رسول الله ﷺ بأنها، أى الأحاديث
النَّبَوِيَّة الشريفة، ستكون حولها فتنة من الناس بالتشكيك فيها، والخوض فى يقينيتها

(١) جامع الترمذى / ك فضائل القرآن/ ب ما جاء فى فضل القرآن، ح / ٢٩٨٢ ورواه الدارمى أيضا.

بالقياس إلى القرآن الكريم، عندئذ سأل الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه رسول الله ﷺ هذا السؤال المنهجي الهام: فما المخرج منها يا رسول الله؟ (قال: كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم.. إلخ) أى أن فى كتاب الله تعالى الأصول التى تبنى عليها المواضع الرئيسية للحديث النبوى، فإذا كانت أصول الموضوع، المراد بحثه موجودة فى القرآن الكريم، وما جاء فى الحديث تفصيل له وتوضيح وشرح، فمن الذى يمكنه بعد ذلك أن يرفض هذه التفصيلات، إذا كانت تدور حول محور قرآنى؟ وأشراط الساعة وما بعدها من بعث ونشور وحساب وميزان وصراف وجنة ونار، أليس هذا كله فى كتاب الله تعالى؟! فإذا ورد من الأحاديث الشريفة ما هو تفصيل لذلك كله، فمن يزعم بعد هذا أنها أحاديث آحاد، وليست مصدراً يقينياً للعقائد فهو مفتون، ما دامت هذه الأحاديث، لها أصولها التى تبنى عليها فى القرآن الكريم، ولا تتعارض مع آياته، وتكون بمثابة التفصيل والتفسير لها، أقول إنه مفتون حتى ولو كان ممن يتسبون إلى العلم ومن يحملون الشهادات.

أليست الأشراف والعلامات والأمارات التى بين يدى الساعة هى ما عبر عنه رسول الله ﷺ بقوله عن القرآن الكريم ﴿فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم﴾؟ أليس هذا كله من أحداث ما بعد جيل الصحابة، ومنها التى تعيشها البشرية اليوم وما سيأتى بعد اليوم؟! بلى ورب الكعبة.

وهذا ما سنراه فى القرآن الكريم من أمارات للساعة، وأيضا ما سنراه فى السنة من الأحداث، التى هى تفصيل وتفسير لهذه الأمارات الواردة فى القرآن الكريم.

فليس معنى أن المخرج من الفتنة التى حول الأحاديث هو كتاب الله أى الاكتفاء بكتاب الله عز وجل وترك الأحاديث، ولكن المعنى أن المخرج هو كتاب الله بمعنى أنه الأصل للسنة، فكل ما فى السنة مفصلاً موجود فى القرآن مجملًا، ومن ثم لا يحق لأحد أن يترك السنة بحجة أنها أحاديث آحاد، لا سيما إذا كانت أحاديث الآحاد تفصيلًا لما فى القرآن الكريم، وقوله ﷺ: (فيه نبأ ما قبلكم) أى تاريخ الأمم السابقة (وخبر ما بعدكم) أى أشراف الساعة، أى كل ما يسبقها من أحداث (وحكم ما بينكم) أى الشريعة التى فصلتها السنة.

فالحديث يلزم بالأخذ بالسنة مع أصولها من القرآن الكريم، فبقدر ما يعطيها يقينا تُعطيه تفصيلا وتفسيرا. وهذا هو منهجنا في أشراف وعلامات وأمارات وآيات الساعة من القرآن الكريم والسنة.

(٨) اعتراض البعض على الرجوع إلى الوحي القديم والرد عليه

واعترض البعض على الرجوع إلى كتب أهل الكتاب: التوراة وأسفار العهد القديم أي كتب أنبياء بني إسرائيل، والإنجيل بحجة أنها مُحرفة، وهذا صحيح ومعلوم منذ عهد رسول الله ﷺ وأخبر عنهم الله عز وجل في القرآن الكريم بما أحدثوه من تحريف ومن تغيير ومن أقوال كُفْرية، ومع هذا فقد قال رسول الله ﷺ فيما رواه الترمذي بسنده [عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله ﷺ: (بَلَّغُوا عني ولو آية، وحَدِّثُوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كَذَبَ على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار)]^(١). ومطلبنا من هذا الحديث قوله ﷺ: (وحَدِّثُوا عن بني إسرائيل ولا حرج...) .

وروى أحمد بسنده [عن عبد الله بن ثابت قال: جاء عمر بن الخطاب إلى النبي ﷺ، فقال يا رسول الله إني مررتُ بأخ لي من بني قريظة فكتب لي: جوامع من التوراة، ألا أعرضها عليك، فتغير وجهه ﷺ فقال ألا ترى الذي بوجه رسول الله ﷺ؟ فقال عمر: رضينا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا، فسرى عنه ﷺ، ثم قال: والذي نفس محمد بيده لو كان موسى بين أظهركم ثم اتبعتموه وتركتُموني لضللتكم إنكم حظي من الأمم وأنا حظكم من النبيين]^(٢).

وأخرج البخاري بسنده عن النبي ﷺ قال: (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، «وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم»)^(٣). والتوفيق بين هذه الآثار الصحيحة يكمن في معرفة الأقسام الرئيسية للوحي وهي:

(١) وأيضاً أخرجه البخاري في صحيحه / ك أحاديث الأنبياء / باب ما ذكر عن بني إسرائيل / ح ٣٢٢٣.

(٢) مسند الامام أحمد / ح ١٧٩٢٦.

(٣) صحيح البخاري / ك/ التوحيد ب/ ما يجوز من تفسير التوراة وغيرها من كتب الله / ح ٧٢٧٦

الأول: التوحيد، وما عندنا في العقيدة بتفاصيلها كامل صحيح، وما عند أهل الكتاب محرف، فلا يجوز ترك الصحيح الكامل والرجوع للمحرف الذي اكتشفته الوثنيات والشركيات الصريحة، ويكون هذا تهوُّكاً وشكاً وزَيْغاً، وهذا دليل عقلى بعد الدليل الثقلى فى الحديث السابق.

الثانى: الشريعة وهى عندنا كاملة تامة مفصلة ناسخة لما عندهم الذى حرفوا أكثره، ومن ثم يكون الرجوع إليهم فى الشريعة تهوُّكاً وشكاً وزَيْغاً وبخاصة لقول الله تعالى ﴿... لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا...﴾ [٤٨ / المائدة].

الثالث: أخبار السابقين لأمة الإسلام: يهود ونصارى ومن قبلهم، وأنباء اللاحقين لأهل الكتاب يهود ونصارى، ومن أخبار هؤلاء اللاحقين ما بشر به الوحي القديم عن بعث النبی الخاتم سيدنا وسيد الخلق محمد بن عبد الله ﷺ، وما جاء فيه من أنبائه وأنباء صحابته وخلفائه الراشدين، ومن بعدهم من الملوك والدول والعصور بعامة وما أنبأ به الوحي القديم من أمارات وأحداث الساعة المباشرة بعامة، وما أنبأ به عن الإفساد الأخيرة المقرونة بالعلو الكبير فى الأرض بخاصة، وأخبار الصراع المرير الدائر بينهم وبين أمة الإسلام حتى آخر الزمان.

وهذا القسم الثالث هو الذى من أجله - والله تعالى أعلم - قال رسول الله ﷺ (حدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج) - فَرَفَعُ الحرج عن التحديث عن بنى إسرائيل لا يكون بالنسبة للتوحيد، ولا يكون بالنسبة للشريعة، للأسباب التى ذكرناها فى بند أولا وثانياً.

ومن ثم لا يكون رفع الحرج إلا «الثالث»، إذ يتعذر فهم آيات القرآن الكريم فهما مفصلاً، تلك الآيات المخبرة عن تاريخ بنى إسرائيل وما كان منهم مع أبيهم يعقوب ومع أخيه يوسف ومع كليم الله تعالى موسى عليهم السلام إلا بالرجوع إلى بعض التفصيلات الواردة عنهم، وبشرط أن تكون هذه التفصيلات متوافقة ومتطابقة مع ما جاء مجملًا عنهم فى القرآن الكريم والسنة.

وكذا الحال بالنسبة لنبي الله داود والنبي سليمان وطالوت وغيرهم من أنبياء بنى إسرائيل وآخرهم سيدنا عيسى بن مريم عليهم جميعاً السلام.

أما ما عندهم عن أنباء المستقبل وأشراط الساعة والملاحم التي بيننا وبينهم فيجب أن نُحدِّث عنهم، ونرجع إلى ما عندهم حاكمين له بما عندنا في السنة الشريفة، بمنهج نقدي نميز به بين الخبيث وبين الطيب وبين الصحيح والمحرف.

ومن يعترض بعد ذلك على التحديث عنهم فقد جعل على علماء الأمة والباحثين حرجاً مخالفاً بذلك رسول الله ﷺ الذي رفع هذا الحرج لقوله في الحديث (... ولا حرج).

وليعلم أن حديث (لو كان موسى بين أظهركم فاتبعتموه وتركتموني لضللتهم) هو في العقيدة والتوحيد والشريعة لأن الاتباع لا يكون إلا في الاعتقاد والعمل أي في التوحيد والشريعة ولا يكون في سرد الأخبار والتاريخ، إذ هذا يخضع لمنهج نقدي علمي. ومن ثم رفع الحرج في التحديث عنهم في ظل هذا المنهج، وفي هذا البند الثالث فقط.

أما قوله: (إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم) فهو يتضمن دعوة كريمة من رسول الله ﷺ إلى منهج النقد العلمي التاريخي للتحقق من صحة نصوص أهل الكتاب، والمعنى: لا تصدقوهم ولا تكذبوهم إلا بعد النقد والتمحيص، لما حدثوا به، لأن عندهم حقاً مختلطاً بباطل وصحيحاً ممزوجاً بمحرف، وهذا يتضمن دعوة نبوية كريمة للأخذ بما عندهم في هذا البند الثالث بشرط النقد والتمحيص، لأنه لو أراد عليه الصلاة والسلام ترك ما عندهم في هذا البند بالكلية لأمرنا بتكذيبهم، ولكان النص (إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم) ولو أراد ﷺ أن نأخذ ما عندهم بلا تحفظ لقال (فلا تكذبوهم) أما وقد قال (فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم) فهذا نهى عن التكذيب كما أنه نهى عن التصديق، وهذا لا يتم في نفس العبد المسلم، إلا إذا أخذ ما حدثوا به إلى موازين النقد العلمية ليصدق بما يثبت صحته وأحقيته، ويكذب بما يثبت كذبه وبطلانه، ومن ثم فتعبيره ﷺ أمر بالتثبت من صحة ما يحدِّثونا به وليس نهياً عن الأخذ به مطلقاً.

وهذا هو النهج الذي سنتبعه إن شاء الله تعالى في هذا الكتاب، طاعة لأمره ﷺ

(حدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج) بلا أدنى حرج رغم أنف المعارضين أنصاف المتعلمين وأرباع المثقفين.

وللذين يحتجون بقول سيدنا رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب رضى الله عنه (أمتهم كعون أئمتهم؟) على تحريم الرجوع لكتب أهل الكتاب مطلقا نسوق اليهم هذا الحديث الذى رواه نعيم بسنده عن أبى العالية قال: لما فُتحت تُسْتَرُ وجدنا فى بيت مال الهرمزان مصحفا عند رأس ميت على سرير وقال: هو دانيال فيما يحسب قال:- فحملناه إلى عمر، فأنأ أول العرب قرأته، فأرسل إلى كعب، فنسخه بالعربية، فيه ما هو كائن، يعنى: (من الفتن)^(١) وتُسْتَرُ مدينة من مدن فارس والهرمزان حاكمها، والجنة علي السرير كانت للنبي دانيال عليه السلام والذى أرسل إليه عمر رضى الله عنه الكتاب هو كعب الأحبار لعلمه بكتب بنى إسرائيل، ولم يكن بالكتاب إلا أخبار الفتن ومن ثم دفعه أمير المؤمنين إليه ليترجمه إلى العربية، ترى هل كان يخالف ابن الخطاب بهذا النبى ﷺ؟ أجيوا أيها المتطعون؟!.

وروى الإمام أحمد بسنده (عن عبدالله بن عمرو رضى الله عنهما أنه قال: رأيت فيما يرى النائم، لكأن فى إحدى أصبعى سمنا وفى الأخرى عسلا، فأنأ ألعقهما، فلما أصبحتُ ذكرتُ)^(٢) ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «تقرأ الكتابين التوراة والفرقان» فكان يقرؤهما) (وعن ابن عباس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «مكتوب فى التوراة: من سره أن تطول حياته، ويزاد فى رزقه، فليصل رحمه»)^(٣) وأيضا (عن سلمان الفارسى رضى الله عنه قال: قرأت فى التوراة أن بركة الطعام الوضوء بعده، فذكرتُ ذلك للنبي ﷺ فأخبرته بما قرأتُ فى التوراة فقال رسول الله ﷺ: «بركة الطعام

(١) نعيم بن حماد المروزي / الفتن حديث رقم ٣٧.

(٢) رواه الإمام أحمد فى مسنده ٢٢٢/٢ عن عبدالله بن عمرو / عن كتاب / اليهود فى السنة المطهرة

عبدالله بن ناصر الشقارى ح ٢ ص ٦١ ح رقم ٥٤٥ نشر دار طيبة

(٣) رواه الحاكم فى مستدركه والبزار فى مسنده والهيثمى فى مجمعهم عن المصدر السابق ح

الوضوء قبله والوضوء بعده» (١) وكذلك عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: أثبت الطور فوجدت كعبا، فمكثت أنا وهو يوما أحدثه عن رسول الله ﷺ ويحدثني عن التوراة.... (٢) إلى آخر الحديث وكل هذه الأحاديث تثبت أن الصحابة رضى الله عنهم حدثوا عن التوراة في حياته وبعد وفاته ﷺ.

(٩) الاعتراض على نصوص الاشراف بإنكار العقل لها والرد عليه:-

ومن الدعاوى المثارة حول علم أشراف الساعة قول البعض إن بعض الأحاديث متعارضة متضاربة، بل ذكر بعض العلماء القدامى من المحدثين والمؤرخين أن بعض هذه الأحاديث، وربما كثير منها، منكر يخالف أحكام الواقع وسنن الحياة.

والرد على هذا: أن هذه الأحاديث تتناول أحداثا متباعدة في الأزمان والأماكن، ومن ثم فقولهم على انتقال الجيش أو الشخص من مكان إلى مكان بعيد في يوم واحد، أنه خبر منكر، إنما هو لاختلاف وسائل الانتقال في عصر الخبر عن عصورهم التي كان الجيش أو الشخص يقطع المسافة فيها من مكة إلى المدينة مثلا في أسبوعين بينما الخبر يدل على أنه تمَّ خلال يوم واحد. ومن ثم صار وجه رفض الخبر هو علامة صحته، لأنه دل على خبر غيبي قبل حدوثه بأزمان طويلة.

وسنقرأ من الأخبار والآثار والأحاديث ما تحقق وصار أدلة دامغة على صدق نبوة النبي الخاتم ﷺ، رغم غرابة الخبر بالنسبة للسابقين وإنكار عقولهم له، ومن ثم شكهم فيه والحكم عليه بالوضع أو الكذب أو الضعف الشديد، وأكثر الذين رفضوا أحاديث الفتن من العلماء القدامى، لم يكن رفضهم بسبب ضعف السند وإنما كان بسبب إنكار عقولهم لها، ولو اعتمدوا الأحاديث من خلال نقد أسانيدها فقط، دون المتن لأصابوا، لأن أكثرها يتحدث عن عصرنا المليء بما تنكره عقولهم من مخترعات

(١) رواه الترمذي في سننه وأبو داود وغيرهما عن المصدر السابق ح ٥٤٧

(٢) رواه أبو داود في سننه والغساني وغيرهما عن المصدر السابق ح ٥٤٩

(١٠) زعم البعض بأن البحث في علم المستقبل الإسلامي المعروف بأشراط الساعة والملاحم يضر ولا ينفع والرد عليه

ويزعم البعض أنه ليس من ضرورة لنشر أحاديث الفتن وأشراط الساعة والبحث فيها، ومحاولة مطابقتها للوقائع التاريخية: ما حدث وما هو قائم مستمر وما يتوقع حدوثه، وحجتهم في هذا المسلك أنها تضر ولا تنفع، إذ قد تثير الفتن والاضطرابات من ناحية، إذا كانت تخبر عن أحداث خطيرة ضارة بالناس، وإذا كانت تخبر عن أحداث طيبة ونصر للإسلام والمسلمين على أيدي أشخاص كالمهدي مثلا أو سيدنا عيسى، فإنها تؤدي بهم إلى التواكل وترك العمل.

وللرد على هذا نقول: إن توقع الفتنة والتأكد من حدوثها عن طريق مطابقة ما جاء من أخبار عن مقدماتها وإرهاصاتھا بالواقع يساعد على توقّي السقوط فيها، والنجاة منها. وهذا ما صرح به حذيفة بن اليمان رضى الله عنه (هذه فتن قد أظلمت، كجباه البقر، يهلك فيها أكثر الناس، إلا من كان يعرفها قبل ذلك) (١).

وهل ترك لنا رسول الله ﷺ أكثر من ثمانين حديثا في الدجال، فيما يحدث قبل خروجه وأثناء خروجه وصفاته وغير ذلك إلا لكي تدرسها وتعلمها أبناءنا ليعرفوها توكيا لفتنته ويهدف النجاة منها؟!

كأن الذى يقول هذا القول يقول: إن في السنة أيوبا وكتبا لا لزوم لها ولا نفع ولا هدى في تعلمها؟!

وحاشا لله ولرسوله هذا، وكفى به إثما من قائله، لو كان هذا دافعه لهذا القول.

إن الله تعالى أخفى الساعة وأظهر مقدماتها وكذا نبّيه ﷺ ترك لنا الكثير من الأحاديث في هذا المجال، ليس لكي تخزن وتمنع عن الناس بحجة عقلية أو أخرى يجعل فيها المانع نفسه وكيفا من دون الله تعالى وحقيظا وقيما على المسلمين وبخاصة شبابهم خوفا عليهم من الفتنة إذا سمعوا هذه الأحاديث، وإنما أظهر الله تعالى مقدمات الساعة وكذا نبّيه ﷺ أعلمنا بأشراطها وأماراتها وآياتها لحكمة جليلة وفائدة عظيمة للمسلمين أفرادا ومجتمعات وأمة.

(١) أخرجه نعيم بن حماد في كتاب الفتن حديث رقم ٥ نشر سمير أمين الزهيري. مكتبة التوحيد القاهرة.

أما الذين يرفضون تبليغ هذا العلم العظيم النافع وبخاصة في زماننا المعاصر للمسلمين، فهم الذين وقعوا في الفتنة ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أُنْذِنَ لِي وَلَا تَفْتِنِي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ [التوبة/ ٤٩] وكفى بحجب سنة رسول الله ﷺ عن آذان الناس فتنة سقط فيها من يحجب نور الله تعالى عن خلقه.

فكل ما جاء في القرآن الكريم وما بلغنا به رسول الله ﷺ هو لحكمة وفائدة وكله نور وهدى، ومعرفته واجبة بل هي فرض كفاية على الأمة يقوم به العلماء وعليهم واجب التبليغ ومن يحول دون هذا التبليغ فهو آثم مفتون، ولو اعتقد أنه من الدعاة، ولو زعم أنه من المجاهدين، ولو توهم أنه الحفيظ والوكيل والكفيل لدعوة الله تعالى والناصر الوحيد لدينه.

لقد بحث العلماء عن حكمة ورود أشرار الساعة في القرآن والسنة فذكر القرطبي فوائد جمة لهذا العلم فقال: (قال العلماء رحمهم الله تعالى: والحكمة في تقديم الأشرار ودلالة الناس عليها تنبيه الناس عن رقدتهم، وحثهم على الاحتياط لأنفسهم بالتوبة والإنابة، كي لا يياغتوا بالحول بينهم وبين تدارك العوارض منهم فينبغي للناس أن يكونوا بعد ظهور أشرار الساعة قد نظروا لأنفسهم وانقطعوا عن الدنيا، واستعدوا للساعة الموعود بها والله أعلم. وتلك الأشرار علامة لانتهاه الدنيا وانقضائها...) (١)

وقال أمير المؤمنين في الحديث الحافظ بن حجر العسقلاني في الفتح (والحكمة في تقدم الأشرار إيقاظ الغافلين وحثهم على التوبة والاستعداد) (٢).

والسؤال الذي يفرض نفسه علينا الآن هو: كيف تتحقق هذه الحكمة وتتم هذه الفائدة؟

ليس من سبيل لتحقيق الحكمة وجنى الفائدة إلا بمطابقة الأخبار الواردة في أشرار الساعة بالأحداث المعاصرة، لأننا لو حفظنا هذه الأخبار منعزلة عن الواقع التاريخي وأحداثه لما استفدنا منها بشيء، ولو علمنا أن حدثًا تاريخيًا معاصرًا نبأت به السنة لما

(٢) ابن حجر/ فتح الباري ج ١١ ص ٣٥٠.

(١) القرطبي/ التذكرة ص ٦٢٤.

استفدنا به إلا باعتباره دليلاً جديداً على صدق نبوة المصطفى ﷺ، وإنما تنم الفائدة وتحقق الحكمة إذا رتبنا الأحداث الواردة في السنة، كمقدمات للساعة، ترتيباً متسلسلاً متتابعاً ثم مطابقة هذه السلسلة بالواقع حتى إذا وقعت أول أحداث السلسلة صار عندنا توقع وتربُّع لما بعد هذا الحدث الأول من أحداث، فتتيقن أننا في آخر الزمان ونستعد لكل فتنة متوقعة ونأخذ حذرنا منها حتى لا نسقط فيها.

وهذا هو المحور الرئيسى لعلم أشراف الساعة كما تصوره العلماء على مر العصور.

وهذا هو الذى نتوخاه فى هذا الكتاب مُنبِّهاً ومُحذِّراً من قرب وقوع زلزال الأرض العظيم وأحداث القيامة الصغرى راجياً من الله تعالى التوفيق والسداد ونفع المسلمين به.

فنشر أحاديث الفتن وأشراف الساعة وبحثها وتصنيفها وشرحها ومطابقتها للواقع ضرورة حياتية للأمة حدث بها رسول الله ﷺ وصنفها وحفظها المحدثون وشرحوها وأوصلوها لنا أحوج الأجيال إليها لأننا أهل آخر الزمان، ثم يطلع علينا من يقول ليس لها فائدة، سبحانه الله، ﴿ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ [البقرة/ ١٤٠].

ففيما كان حذيفة رضى الله عنه يسأل رسول الله ﷺ عن الشرمخافة أن يدركه بعد رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ يجيبه إجابات مفصلة؟!

وفيم كان سؤال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه للصحابه وفيهم حذيفة: أياكم يحفظ قول النبي ﷺ فى الفتنة؟. ولم كان حذيفة يجيبه؟!

ولم كان أبو هريرة رضى الله عنه، إذا لقي الفتى قال له: يا ابن أخى، إنك عسى أن تلقى عيسى بن مريم فأقرئه منى السلام.

ولم كان عبد الله بن عمرو بن العاص يمتلك حمل بعير من كتب أهل الكتاب يحدث منها عن الفتن وأحداث آخر الزمان؟!

وأخيرا ما الحكمة في أن الله تعالى لم يقل لموسى: إن الساعة آتية أخفئها لتجزي كل نفس بما تسعى، وقال: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ [طه/١٥]. أليس لأن هديه سبحانه: قرآنًا وسنةً متضمنين للأحداث التي بين يدي الساعة والتي بها يستيقن أهل العلم بقربها الشديد ويتوقعون الحدث تلو الحدث، حتى إذا خرجت النار من قعر عدن لم يبق إلا حدوثها ووقوعها الذي لا يعلم وجبته على وجه الدقة والحقيقة إلا هو سبحانه؟!

أم ماذا يقول المنكرون لضرورة نشر هذا العلم وتعلمه وتعليمه للشباب والصبية المتوقع معايشتهم لأحداثه في قوله تعالى ﴿... أَكَادُ ...﴾ وما هو تفسيرهم لها؟!

ولكن يبدو أن الناس - وبخاصة الذين ينتسبون إلى العلم - يكرهون وينكرون ما يجهلون، وهذا العلم من العلوم التي أهملتها الأمة وانشغلت عنها. فزعموا أن لا فائدة منه، بل زعم البعض أن له أضرارا على دعوتهم، فحاولوا حجبه عن آذانهم وقلوبهم وهو نور رباني هم أحوج ما يكونون إليه، ومن يُغْمِض عينية دون النور يضرير عينيه ولا يضرير النور.

أما الذين يَمْنَعُونَ جزءاً من الهدى النبوي عن الناس، ويريدون أن يَحُولُوا بينهم وبينه، بحجة خشيتهم من هديه ﷺ في علم الفتن وأشرار الساعة على دعوتهم وجماعتهم، فَلْيَعْلَمُوا أنه لن يكون في هذه الجماعة ولا في هذه الدعوة خير يرجى للأمة إذا كان نور النبوة يهدد هذه الدعوة وتلك الجماعة، لأن النور المحمدي لا يهدد إلا الضلال ولا يبدد إلا الظلام. وجماعة مثل هذه الجماعة تسير على غير بصيرة: القيادة ومن إتبعها.

الفصل الثاني

الأصول الاعتقادية لإشراط الساعة
في القرآن الكريم والسنة

١١ - الإيمان بالساعة وأشراطها فرع من الإيمان باليوم الآخر.

١٢ - الإيمان بالآخرة في مقابل الدنيا.

١٣ - النشأة الآخرة في مقابل النشأة الأولى.

(١١) الإيمان بالساعة وأشراتها فرع من الإيمان باليوم الآخر؛

يتأسس الإيمان بالساعة والتصديق بأشراتها عند المسلم بحسب ما جاء عنها في القرآن الكريم والسنة على أركان الإيمان الستة بعامة وعلى ركنى الإيمان بالله تعالى وباليوم الآخر بخاصة.

لأن الإيمان بالأشراط والتصديق بحتمية حدوثها كما وردت في نصوص الوحي، وتوقعها وترقبها والعمل في الدنيا بحسب هذا التصديق، كل هذا فرع من الإيمان والتصديق بهذه الأركان بعامة، وبركنى الإيمان بالله تعالى وباليوم الآخر بخاصة.

فالإيمان بالساعة فرع من الإيمان باليوم الآخر إذ الساعة بدؤه أو هي جزء منه أو مرحلة من مراحله أو حدث من أحداثه، كما سترى بعد.

جاء في حديث الإيمان قول الرسول ﷺ عن الإيمان: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره» (١).

وكذلك ورد الحديث بلفظ آخر هو: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه وبلغائه ورسله وتؤمن بالبعث» (٢).

أركان الإيمان الأربعة هي أصول الإيمان باليوم الآخر؛

تتأسس أركان الإيمان الخمسة: الإيمان بالملائكة والإيمان بالكتب والإيمان بالرسول والإيمان باليوم الآخر والإيمان بالقدر خيره وشره على الإيمان بالله عز وجل.

(١) صحيح مسلم / ك الإيمان/ ب بيان الإيمان والإسلام والإحسان/ ح ٥٩.

(٢) صحيح البخاري/ ك الإيمان/ ب سؤال جبريل النبي في الإيمان والإسلام والإحسان / ح ٥٠.

وهذا الترتيب الوارد في الحديث يدل على أن اللاحق من هذه الأركان يتأسس على السابق فيها، وحيث أن أولها الإيمان بالله تعالى وهو أمر فطرى جبلى فى النفس الإنسانية، فإن الإيمان بالملائكة ينبى فى النفس ويقوم فيها مؤسساً على الإيمان بالله عزوجل، والإيمان بالكتب لا يتحقق فى النفس إلا بعد الإيمان بالله تعالى وملائكته.

كما أن الإيمان بالرسول ينبى أيضاً على الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه، ثم يأتى الإيمان باليوم الآخر بعد هذه الأركان، فلا يكاد يصدق الإنسان باليوم الآخر إلا بعد التصديق بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله، وينبى الإيمان بالقدر خيره وشره على هذه الأركان السابقة عليه جميعاً.

الأصل الأول: الإيمان بالله تعالى

هو أصل الإيمان الأول، وأساس جميع الأركان فهى جميعاً فروع منه، وهو أمر فطرى فى النفس الإنسانية إذ يولد الطفل مسلماً موحداً فمعرفة الله تعالى واحداً لاند له مغروسة فى النفس البشرية بمقتضى الخلقة، فهى أمر جبلى.

وهذا الركن هو أول أركان الإيمان فى الإسلام لأن جميع الأركان مبنية عليه فلا يمكن أن يتحقق الإيمان بالملائكة فى النفس إلا بعد الإيمان بالله تعالى بصفاته العليا وأسمائه الحسنى، كما وردت بالوحي، ولو آمن الإنسان بالله تعالى بصفات لا تليق بجلاله أو سمائه بأسماء تتعارض مع كماله وتنزيهه المطلق فإنه يتعذر عليه أن يؤمن ببقية الأركان الخمسة التالية لركن الإيمان بالله تعالى، لأن نفى الأصل يستلزم نفى الفروع القائمة عليه والمنبثقة منه لذا نقول: إن الإيمان بالله تعالى واحداً لاند له ولا شريك له متصفاً سبحانه بصفات الكمال والجلال، منزهاً عن أوصاف النقص والعيب التى هى للمخلوق من حيث كونه مخلوقاً هو الأساس الأول الصحيح الذى تقوم عليه بقية أركان الإيمان الأخرى.

ومن صفات الخالق العليا أنه سبحانه حكيم فلا يخلق إلا لحكمة، وأنه عليم بكل شىء كان وكائن وسيكون، وقد خلق الله تعالى الإنسان لحكمة جليلة سامية، لها

صلة وثيقة باليوم الآخر، وبالتالي فإن لها صلة وثيقة بالساعة وأشراتها كما سيأتى الحديث عن هذه الحكمة بإذن الله تعالى.

الأصل الثانى: الإيمان بالملائكة:

الملائكة جنود الله تعالى ورسله، ولا يصدق بوجودها إلا من آمن بالله تعالى إيماناً صحيحاً صادقاً موافقاً لما فطره الله عليه، ولما جاء عنه سبحانه فى القرآن الكريم، والسنة الشريفة الصحيحة، ويعتبر التصديق بالملائكة مع الإيمان بالله تعالى أساساً للإيمان بالآركان التالية على ركن الملائكة وأولها الإيمان بالكتب.

الأصل الثالث: الإيمان بالكتب:

وينبنى على الإيمان بالله تعالى وعلى الإيمان بالملائكة لأن الملائكة هم الرسل المنزلة بالكتب على الأنبياء ﷺ، ومن ثم فمن لم يصدق بوجود الملائكة لا يتيسر له التصديق بالكتب السماوية المنزلة من عند الله عز وجل.

كما أن الإيمان بالكتب بعد الإيمان بالله تعالى والإيمان بالملائكة أسس ثلاثة للإيمان بالرسول.

الأصل الرابع: الإيمان بالرسول:

الرسول من البشر هم الذين تنزل عليهم الملائكة بالكتب التى هى رسالة الله تعالى للناس، وهديه سبحانه وتعالى لهم، قال تعالى لآدم وزوجه عليهما السلام ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة/ ٣٨].

فالهدى الإلهى المنزل هو مضمون الكتب الإلهية المنزلة على رسل البشر خلال عمر البشرية، وهى تتضمن فيما تتضمن أخبار المستقبل، وأحداث الدنيا حتى تنقضى وتنتهى، وكذا تتضمن أحداث ما بعد الموت لفرد وما بعد انتهاء الدنيا للنوع الإنسانى.

وحيث أن الرسل هم من البشر، فإن الحكمة من إرسالهم مرتبطة بخلق الإنسان، الأمر الذي وجدنا أساسه الاعتقادي في صفات الله عز وجل فلأنه حكيم سبحانه فهو لا يخلق خلقاً إلا لحكمة، لأنه سبحانه وتعالى منزّه عن العبث واللهو.

والحكمة التي من أجلها خلق الله تعالى الإنسان في الحياة الدنيا - كما أخبرنا عنها في القرآن الكريم - هي الابتلاء بمعنى الإمتحان والاختبار، قال تعالى:
﴿... الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [تبارك/ ٢] وقال تعالى:
﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود/ ٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [الإنسان/ ١].

لقد خلق الله تعالى الناس لكن يتاليهم ويمتحنهم حتى يميز الخبيث من الطيب ويطبق الحجة العملية على الخبيث، وخلق سبحانه السماوات والأرض وكل شيء بنواميس وطبائع وكيفيات محققة جميعاً لهذا الحكمة فصارت الدنيا داراً للابتلاء.

وحيث أن الامتحان والاختبار لا بد أن يعقبه الجزاء، فإن الابتلاء والامتحان لا بد أن زمنه محدود ومن ثم صارت الدنيا بأجل محدد وزمن معلوم مقدر لله عز وجل ولزم أن تكون الدنيا مرحلة أولى في الوجود البشري يعقبها مرحلة ثانية وأخيرة هي مرحلة الوجود الجزائي، وبالتالي لزم أن يكون اليوم الآخر بحسب قدر الله تعالى ومشيبته داراً دائمة باقية للثواب والعقاب.

هذا هو الأساس الاعتقادي للحكمة من اليوم الآخر في الإسلام.

الإصل الخامس: الإيمان باليوم الآخر؛

يبنى الإيمان باليوم الآخر كما رأينا على الإيمان بالله تعالى وعلى الإيمان بالملائكة وبالكتب وبالرسل، من الناحية المعرفية لا معرفة للإنسان بالحكمة من خلقه إلا عن طريق الكتب والرسل، وكذلك لا يمكن أن يعرف الإنسان أخبار اليوم الآخر إلا عن طريق الوحي: ملائكة وكتباً ورسلاً.

لذا جاء ركن الإيمان باليوم الآخر بعد الإيمان بهذه الأركان جميعاً، فهو مبنى عليها، كما ورد في آيات كثيرة مقروناً بالإيمان بالله تعالى، وبخاصة في مواضع الحض على عمل الخير والبر والنهي عن الكفر وعن عمل الشر والسيئات، وكذا في مجال الوعظ ترغيباً وترهيباً من هذا قوله سبحانه وتعالى ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلِّغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة/ ٢٣٢].

لقد اقترن الإيمان باليوم الآخر مع الإيمان بالله تعالى في خمس وعشرين آية أخرى من آيات الذكر الحكيم، منها قوله تعالى ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة/ ١٧٧]. ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [المائدة/ ٦٩]. وكذلك في قوله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة/ ٢٨٥]. فالإشارة هنا إلى اليوم الآخر في قوله تعالى: ﴿وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾، وعلى هذا فإن أركان الإيمان الخمسة التالية لركن الإيمان بالله تعالى والتي تبدأ من الإيمان بالملائكة وتنتهى بالإيمان بالقدر، كلها فروع منبثقة من أصلها جميعاً، وهو ركن الإيمان بالله تعالى، وهى جميعاً تصديق بالله تعالى لأن الإيمان لا يمكن تبعضه إذ هو حقيقة واحدة لا تتجزأ ولا تنفرق، ومن ثم فإن التصديق بالأركان جميعاً هو جوهر الإيمان بالله تعالى، فلا يجوز التفريق بينها، إذ لا يصح الإيمان بواحد منها دون سائرها، كما لا يصح الإيمان بها جميعاً دون واحد منها، وبالتالي فإن الكفر بواحد منها كفر بها جميعاً.

أما الكفر بها جميعاً صراحة فهو الضلال البعيد قال تعالى ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء/ ١٣٦] وذلك هو حال الملحد المعاصر المنكر لوجود الخالق عز وجل، والعلماني هو المنكر لليوم الآخر أو الذي يرفض تنظيم الحياة على أساس الإيمان بالله واليوم الآخر وهو كافر ملحد أيضاً.

(١٢) الإيمان بالآخرة في مقابل الدنيا:

لقد ورد ذكر الآخرة في اثنتي عشرة ومائة آية من آيات الذكر الحكيم، جاء بعضها للدلالة على الحياة الآخرة الدائمة التي تلي البعث والقيامة في مثل قوله تعالى ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة/ ٤]. فالآخرة هنا تدل على اليوم الآخر والحياة الأبدية التي تبدأ من انتهاء الدنيا بالبعث وتستمر بلا نهاية، وورد ذكر لفظ الآخرة في بعض الآيات في مقابل الدنيا: منها قوله عز وجل ﴿أَوَلَيْكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة/ ١١٤]. ومنها قوله عز من قائل ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة/ ٢٠١]. وقوله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [البقرة/ ٢١٧]. وقوله تعالى أيضاً: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [البقرة/ ٢٢٠].

والمعنى الثابت أو الدلالة المؤكدة من اجتماع لفظي الدنيا والآخرة، في آية واحدة أن الإنسان يحيا حياتين: الأولى: وهي التي نحياها الآن، والثانية: وهي التي تكون في عالم آخر أو جود آخر مختلف عن هذه الحياة الأولى ويبدأ بالبعث والنشور الذي يأتي بعد الموت.

والأولى هي الحياة الدنيا، والثانية هي الحياة الآخرة.

يدل على هذا ورود لفظ الآخرة في بعض الآيات في مقابل الحياة الدنيا في مثل قوله عز وجل ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾ [النساء/ ٧٤].

فالأولى فى مقابل الآخرة كما هو الحال بالنسبة لعملية البيع، حيث الثمن فى مقابل السلعة، وهما، أى الأولى والآخرة، من خلق الله تعالى، ومن ثم فهما ملك له سبحانه وتعالى ﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾ [النجم/ ٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ لَنَا لَآخِرَةَ وَالْأُولَى﴾ [الليل/ ١٣]، وله الحمد فيهما معاً، قال تعالى ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص/ ٧٠].

فلإذا شاء سبحانه رحم عبده فى الدنيا والآخرة، وإذا شاء عذبه فى الدنيا ورحمه فى الآخرة، وإذا شاء نعمه فى الدنيا وعذبه فى الآخرة، وإذا شاء نعمة فى الدنيا ثم أنزل عليه عذابه فيها ثم عذبه عذاباً أبدياً فى الآخرة مثل فرعون الذى قال الله تعالى عنه ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ [النازعات/ ٢٥].

وفى مجال المقارنة بينهما بين سبحانه وتعالى لنبىه الكريم ﷺ خيرية الآخرة على الأولى بقوله عز وجل ﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾ [الضحى/ ٤].

وهذا يدهونا إلى التفكير فى العلاقة بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة، لنجد أن الرابط بينهما يتمثل فى الحكمة من ثنائية الوجود الإنسانى: ألا وهى الابتلاء كما أسلفنا من قبل، لأنه إذا كانت الدنيا دار امتحان، والامتحان مؤقت بالضرورة ولا بد أن يعقبه الجزاء والثواب نعيماً وفرحاً وسروراً للفائزين، وعكس ذلك تماماً للخاسرين، فإن دار الجزاء دائمة مستمرة بفضل الله تعالى وكرمه ومنه على الفائزين، فالثانية إذا هى الآخرة إذ ليس ثمة دار ثالثة، وعلى هذا فكل منهما دار يؤوى الله تعالى فيها الإنسان، قال تعالى ﴿وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأعراف/ ١٦٩]، لأن الدار الآخرة إما أن تكون دار خير وسلام، وإما أن تكون دار سوء وشر، لأنها دار جزاء على العمل الذى عمله الإنسان فى الدار الأولى، وعمل الإنسان فى الحياة الدنيا ليس من جنس واحد، بل هو إما أن يكون شراً، وإما أن يكون خيراً، قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾.

ودار المؤمنين هى نعم الدار فى الآخرة، يسكنها الإنسان، قال تعالى مخبراً عن نجاتهم فيها ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد/ ٢٤] فهى دار

السلام قال تعالى: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام/ ١٢٧]. يقابل ذلك دار الكافرين في الآخرة وهي دار شر وألم وسوء وعذاب، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [الرعد/ ٢٥]. إن الدار الأولى التي هي هذه الحياة الدنيا المؤقتة يختلط فيها الخير بالشر والمتاع بالألم والفرح بالحزن والبكاء بالضحك والصحة بالمرض والحياة بالموت بينما الدار الآخرة ينفصل فيها كل النقائص والأضداد، كل نقيض في عالم أو دار مستقلة بعيدة عن الأخرى، قال تعالى: ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأنفال/ ٣٧]. فتكون جهنم داراً للخبثين، والجنة داراً للطيبين، قال تعالى ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلِلَّذِينَ تَابُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ [النمل/ ٣٠]. فالحكمة من الابتلاء هي فصل الخبيثين عن الطيبين في الآخرة، وجوهر الابتلاء هو تخيير الإنسان بين الدنيا والآخرة، أي بين دار الدنيا ودار الآخرة، فالفوز لمن يؤثر الآخرة الباقية على الدنيا الفانية، لأن الدار الآخرة هي الحياة الحقيقية لدوامها، بينما تبدو الدنيا بعد انقضائها كأنها وجود وهمي، إذ يظن الناس بعد انقضائها أنها كانت مجرد حلم مر بين عشية وضحاها.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [المنكوت/ ٦٤]، أي أنها الحقيقة التي يرجوها كل إنسان، وقال تعالى عن الحياة الدنيا بعد انقضائها يوم القيامة ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَسُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ [النازعات/ ٤٦]. وقال تعالى أيضاً في بيان العلاقة بين الدار الدنيا والدار الآخرة ﴿وَفَرَحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾ [الرعد/ ٢٦].

ومع هذا فالحياة الدنيا لها أهميتها العظمى بالنسبة للإنسان، إذ هي مزرعته للآخرة، ففيها الحرث الذي ثمرته دار السلام في الآخرة، أو الحرث الذي ثمرته سوء الدار في الآخرة، فهنا الحرث وفي الآخرة الحصاد والجنى، ومن ثم فلا يجوز إهمال الدنيا أو تركها أو الحياة فيها حياة سلبية أو حياة لعب ولهو، لأن إهمال الحرث تضييع للثمار، والعناية بالحرث عناية بالشمار، ومثل الإهمال الإفساد، فمن أفسد زرعه أو ضل في التعامل معه ضيعه وخسر الخسران المبين.

ومن ثم فإن العمل في الحياة هو السبيل لكسب الآخرة والفوز بدار النعيم فيها: وكما أن الحرث علة خروج الثمر بإذن الله تعالى، فإن من يريد الحياة الآخرة عليه أن يكتسب حرثها ويحصل على أسبابها ويسعى لمقدماتها في الدنيا، أما من أثر الحياة الدنيا. وباع بها الآخرة، فهو الذي يأخذ بأسباب وعلل الدنيا فقط، فلا يكون له من ثمار الآخرة الطيبة نصيب، وينحصر نصيبه من الآخرة في الخبيث، لأن الشر والخبيث في طلب الدنيا وحدها، وبالعكس فإن من أراد الدار الآخرة وسعى لها سعيها واشتراها بالدنيا، فإنه يأخذ بأسباب وعلل ثواب الآخرة، فيفوز بالحياة الطيبة الراضية في الدنيا والآخرة، أى بنعيم الدنيا والآخرة ولو ضحى ببعض نصيبه من الدنيا، وربما دفع حياته ثمناً للجنة في الآخرة، فيكون شهيداً يرزق عند ربه، قال تعالى ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُوماً مَدْحُوراً﴾ (١٨) وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً (١٩) كَلَّا نُمَدِّدُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً (٢٠) [الإسراء / ١٨، ١٩، ٢٠].

وحيث أن لكل دار من الدارين أسبابا وعللا خاصة يجب على الإنسان أن يكتسبها لكي يحصل عليها، فقد وعد الله تعالى طالب الدنيا أن يمكنه من حرثها، أى من أسبابها، ليفوز بما قسمه الله تعالى منها، كما وعد سبحانه طالب الآخرة أن يمكنه من حرثها أيضاً، قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ [الشورى / ٢٠]. فالحرث ليس مراداً لذاته بل لنتيجته وثمرته وثوابه، قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [النساء / ١٣٤]. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يَرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران / ١٤٥]. أى أن الله تعالى يمد العبد بما يمكنه من تحقيق ما يختاره العبد، سواء أكان إختياره للدنيا، أم كان اختياره للآخرة، وأكثر ما يكون اختيار الناس للدنيا فقط دون الآخرة نتيجة كفرهم باليوم الآخر، أو على الأقل ربهم فيه.

فأصحاب التفكير المادى الذين لا يؤمنون إلا بما ييرون ويسمعون ويلمسون ويشمون، يكذبون بوجود حياة ثانية بعد الموت، أو دار أخرى بعد هذه الدار، فهم ينكرون الآخرة البتة، وهؤلاء يقول الله تعالى فيهم لنبيه الخاتم ﷺ وسلم ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدُلُونَ﴾ [الأنعام/ ١٥٠].
وقال تعالى أيضاً فى وصف الظالمين: ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾ [الأعراف/ ٤٥]. وقال تعالى: فى مصير هؤلاء المكذبين بالآخرة ﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف/ ١٤٧].

فالكافر والمكذب باليوم الآخر الذى هو الركن الخامس هو كافر ومكذب بالساعة وبلقاء الله تعالى فى الآخرة، وبالبعث والنشور وبالجنة والنار وبالحياة الآخرة الخالدة، ومن ثم إذا كان يزعم أنه يؤمن بالله تعالى ويقر بأن له رباً خالقاً - فهو يصفه بالعبث واللهو، إذ يزعم أنه خلق الخلق بلا حكمة، ولذلك قال عنهم ﴿وهم يبرهم يعدلون﴾ أى يعدلون عن وصفه بما يليق بجلاله إلى وصفه بما لا يليق به سبحانه، مثل اللهو والعبث بالخلق.

أما من آمن بالله تعالى وباليوم الآخر، بحسب المفاهيم والأخبار الواردة عنه فى الكتاب والسنة فإنه مصدق بالضرورة بالساعة، وبالتالى فهو مصدق بما ورد فيهما عن أشراتها، ومن ثم لا يتم الإنتفاع بهذا الكتاب الذى بين يدي القارئ وبغيره من كتب أشراف الساعة وأحوال الموتى، ومراحل اليوم الآخر، إلا للذى يؤمن بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره من الله تعالى.
وخلاصه القول أن الإيمان باليوم الآخر فرع من الإيمان بالله تعالى، والإيمان بأشراط الساعة فرع من الإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالفروع لا يكون إلا بعد الإيمان بالأصول.

(١٣) النشأة الآخرة فى مقابل النشأة الأولى؛

الوجود الثانى للإنسان الذى هو الحياة الآخرة يسبقه الموت الذى يقع بين

الحياتين، قال تعالى ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أََمْواتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة / ٢٨]. وقال تعالى: مخبراً عن مقالة الكافرين في جهنم ﴿قَالُوا رَبُّنَا أَمْتَنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾ [غافر / ١١] فالوجود ليس هو هذه الحياة الدنيا فقط، كما أنه لا يبدأ بمولد الإنسان، أو يبدء تكوّنه جنيناً في الرحم، بل يمتد وجوده سابقاً على هذه المرحلة، إذ خلقه الله تعالى أول ما خلقه ميتاً، ثم أحياه في هذه الحياة الدنيا، فقبل الحياة الأولى الموت الأولى، قال تعالى ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الملك / ١، ٢]. ومن ثم فالموت يسبق الحياة، والموتة التي ينتظرها كل حي هي الثانية التي تسبق الحياة الثانية أى الأخيرة.

ومن ثم فإن الله تعالى ينشئ الإنسان حياً بنشأتين، النشأة الأولى، ثم النشأة الآخرة، قال تعالى ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس / ٧٨]. وعن النشأة الآخرة بعد الأولى قال تعالى ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النُّشَاةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام / ١٩، ٢٠]. إن النشأة الآخرة هي بدء الحياة الآخرة، لكنها تتم لكل البشر أولهم وآخرهم في لحظة زمنية واحدة أو في ساعة واحدة.

وبعد النشأة الآخرة التي يتحقق بها البعث تأتى أحداث وأحوال وأهوال يمر بها البشر وكل ذلك تحت مسمى اليوم الآخر.

فالساعة حدث من أحداث اليوم الآخر، وحال من أحواله، وهول من أهواله، فما هو المعنى الدقيق والمفهوم المحدد للساعة في الكتاب الكريم والسنة المطهرة؟

الباب الثاني

مراحل يوم القيامة

وتصنيف الاشارات

الفصل الأول: الساعة والقيامة في القرآن الكريم والسنة وتصنيف
الاشراط عند العلماء.

الفصل الثاني: مفهومى للساعة والقيامة وتصنيفى للاشارات النابع من
القرآن الكريم والسنة.

الفصل الأول

القيامة والساعة في القرآن الكريم والسنة المطهرة وتصنيف الإشراف عند العلماء

- ١٤- قيام الساعة بغتة في آخر لحظة من عمر الحياة الدنيا.
- ١٥- خلط الباحثين بين دلالات الساعة والبعث والقيامة.
- ١٦- ما أطلق عليه العلماء أشراط الساعة العظمى هو بدء نهاية الدنيا أو هو بمثابة فجر اليوم الآخر.
- ١٧- دلالات الساعة الثلاث عند العلماء.
- ١٨- معنى قرب الساعة عند العلماء.

(١٤) قيام الساعة بغتة فى آخر لحظة من عمر الحياة الدنيا

ورد لفظ الساعة فى اثنتين وأربعين آية من آيات الذكر الحكيم، للدلالة على الحدث الذى هو لحظة انتهاء الدنيا وموت البشر، وفى نفس الوقت هو لحظة بدء الآخرة، قال تعالى ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾ [الأنعام/ ٣١]. فمجيء الساعة بغتة يفيد حدوثها فى الدنيا على حين غرة ودون توقع، قال تعالى ﴿أَقَامُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [يوسف/ ١٧٠]، وقال تعالى أيضاً ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأنعام/ ٤٠]. ففى هاتين الآيتين الكريمتين نذير للكافرين بواحد من اثنتين:

الأول: إما عذاب الله أو غاشية من عذابه.

الثانى: وإما الساعة.

ومعنى هذا أن الكافرين الذين تجاوزوا الحد وطمغوا فى البلاد، إن لم تقم عليهم الساعة فقد يصيبهم عذاب الدمار أو الاستتصال أو قريب منه والعكس صحيح، وهذا دليل على أن الساعة تقوم فى الدنيا وتصيب الكافرين بغتة فتقضى عليهم جميعاً، ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى عن المكذبين بالقرآن الكريم ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج/ ٥٥].

وهذه الآية تتضمن نبوءة بأن الدنيا سيكون فيها كافرون مكذبون لآيات الله تعالى ولوحيه الأخير للنبي الخاتم حتى قيام الساعة، لأن الضمير فى قوله تعالى: ﴿ففى مِرْيَةٍ مِنْهُ﴾ يعود على القرآن الكريم، والآية تثبت أن الكفار لا يزالون فى شك وريب من هذا القرآن ﴿حتى تأتيتهم الساعة بغتة﴾ فإن لم يكن هذا الجيل هو الجيل الذى ستقوم عليه الساعة فقد يأتيه ﴿عذاب يوم عقيم﴾ أى لا غدله، إذ يصيبهم الاستتصال وهو هو المعنى الراجح عندى والله أعلم، فى حين أن ابن كثير رحمه الله قد فسر قوله تعالى

﴿عذاب يوم عقيم﴾ بيوم القيامة وهذا قول مرجوح عندى بدليل قوله تعالى: ﴿أو﴾ بين العذابين، فيما أن يصيبهم هذا أو ذاك، فلو كان عذاب اليوم العقيم هو عذاب يوم القيامة لكان الحرف (و) مناسباً بدلاً من الحرف (أو) لأن الكفار الذين ستقوم عليهم الساعة لن تكون لهم نجاة من عذاب اليوم العقيم أيضاً فالعذaban مجموعان وواقعان عليهم معاً حسب تفسير ابن كثير. بينما الحرف أو يفيد أحدهما.

ومن ثم يكون الراجح أن عذاب اليوم العقيم فى الدنيا هو عقيم لأنه لا غد لهم بعده، فهو إشارة إلى عذاب الاستئصال لمن شاء الله تعالى أن يستأصلهم من الطغاة والمكذبين، وحرف العطف (أو) لا يفيد جمع العذابين على جيل الساعة بل يفيد تعذيب الكافرين بعد نزول الوحي الخاتم بواحد من اثنين إما عذاب اليوم العقيم أو إما عذاب الساعة.

وعلى هذا فالساعة تسبق البعث بالضرورة، إذ بها تموت البشرية كما قلنا فى حين أن البعث هو بدء النشأة الآخرة، لأنه إحياء الله تعالى للناس من قبورهم، يدل على هذا قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّأَرْيَبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ [الحج/٧]. فإذا كانت الساعة تسبق البعث فإن أشراف الساعة تسبق قيامها أو حدوثها لأنها مقدماتها أو أوائلها، قال تعالى ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾ [محمد/١٨].

(١٥) خلط الباحثين بين مدلولات الساعة والبعث والقيامة؛

خلط بعض العلماء قديماً وبعض الباحثين حديثاً بين مفاهيم الأسماء: الساعة، البعث، القيامة، الدين، إذ جعلوا القيامة بمعنى الساعة، والساعة بمعنى يوم الدين أو البعث.

من هؤلاء: ابن كثير رحمه الله فى كتابه: النهاية فى الفتن والملاحم^(١) إذ يتحدث عن الساعة باسم يوم القيامة مع أنه حدد مفهوم الساعة بأنها الحدث الذى يقع بنفخة الفزع، وهى الثانية فيموت بها كل حى فى الأرض.

(١) انظر النهاية فى الفتن والملاحم / ج١ / ص ٢٥٥ تحقيق د طه زنى.

ومن المحدثين على سبيل المثال: الأستاذ يوسف الوابل في كتابه أشراف الساعة إذ ذكر أن من أسماء يوم القيامة: الساعة، ويوم الدين، ويوم الحسرة، والدار الآخرة، ودار القرار، ويوم الفصل، ويوم الجمع، ويوم الخروج، ويوم الخلود، والواقعة، والحاقة، والطامة الكبرى، والصاخة، والآزة، والقارعة^(١).

ومما قال: 'والساعة الكبرى هي بيعت الناس من قبورهم للحساب والجزاء، وإذا أطلقت الساعة في القرآن فالمراد بها القيامة'^(٢).

ومما قال في هذا الموضوع أيضاً: 'وقد ذكر الله تعالى القيامتين الصغرى والكبرى في القرآن الكريم فنجدته يذكر القيامتين في السورة الواحدة، كما في سورة الواقعة، فإنه ذكر في أولها القيامة الكبرى فقال تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ لَئِذَا لَوْقَعَتَهَا كَاذِبَةٌ خَافِظَةٌ رَافِعَةٌ﴾ [الواقعة/ ٣-١] ثم ذكر في آخرها القيامة الصغرى وهي الموت فقال تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ وَأَنْتُمْ حِينَتُمْ تَنْظُرُونَ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تَبْصُرُونَ﴾ [الواقعة/ ٨٣-٨٥]. وذكر القيامتين في سورة القيامة فقال ﴿لَا أُقَسِّمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [القيامة/ ١]، وهذه القيامة الكبرى، ثم ذكر الموت فقال ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِي﴾ [القيامة/ ٢٦-٢٧]^(٣).

وتلك هي القيامة الصغرى عنده، وما أود التنويه إليه بالنسبة لهذا الموضوع، أن اللفاظ العربية ليست متطابقة في المدلول والمعنى، ومن باب أولى أن تكون ألفاظ أسماء القرآن الكريم كذلك، فالترادف بين الأسماء أو الألفاظ ليس تاماً وليس على إطلاقه، وإلا كان هذا تكراراً بلا فائدة، وحاشا لله تعالى أن يكون هذا في كتابه الحكيم المحكم، وإنما هي أسماء لأحداث متداخلة يضمها اليوم الآخر، لكن لكل حدث خصوصيته من حيث المكان والزمان والكيفيات التي جعلته يحمل هذا الاسم دون ذاك للدلالة عليه، ولا يمنع هذا إطلاق اسم الواحد على الكل والعكس، فالساعة

(١) يوسف الوابل / أشراف الساعة ص ٣٧ وما بعدها.

(٢) المرجع السابق ص ٧٥.

(٣) نفس المرجع والصفحة.

بالنسبة للإنسان النوع هي التي تتم بنفخة الصعق فيموت كل حي، وينتهي أجل الحياة الدنيا بها.

أما القيامة الكبرى فهي التي تتم بنفخة البعث، وهي النفخة الثالثة، وبينها وبين النفخة الثانية التي تقوم بها الساعة زمان لا يعلمه إلا الله الحى الباقي القيوم سبحانه، وبالنسبة للإنسان الفرد فإن ساعته الخاصة به هي لحظة موته، أما قيامته الخاصة به فيمكن أن تتمثل فيما وصفه النبي ﷺ بقوله في حديث الجنائز عن الميت بعد أن يوضع في قبره: "فيأتبانه ملكان فيقعدانه ويقولان له: من ربك؟ وما دينك؟ وما بال الرجل الذي بعث فيكم؟"

ففي معنى الإقعداد قيامة خاصة أو صغرى له بعد الموت حيث يعقب هذا الحساب تماماً كقيام الناس جميعاً لرب العالمين بعد البعث والنشور للحساب يوم الدين.

ومن ثم فتفسير الواقعة بالقيامة ^(١) جائز، لكن تفسير بلوغ الروح الخلقوم بالقيامة الصغرى فيه تكلف، إذ هي ساعة النفس الفردية الخاصة، أما تفسير بلوغ النفس التراقى بأنه قيامة الفرد أو القيامة الصغرى لمجرد أن السورة احتوت الحَدَّثَيْنِ ففيه تكلف أيضاً، كما أنه ناجم عن عدم الانتباه للفروق الدقيقة بين معنى الساعة والبعث والقيامة والحساب والجزاء والخلود، وجميعها يوم واحد، ذو مراحل وأحداث، هو اليوم الآخر.

فالـيوم الآخر هو الاسم العام الذي ينضوى تحته أسماء الأحداث والأحوال والأحوال التي ستمر بها البشرية منذ بدء هذا اليوم إلى أن يستقر أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار والعياذ بالله تعالى، بيد أنه، بحسب قاعدة إطلاق اسم الجزء على الكل أحياناً للتعريف والوصف، فإننا إذا قلنا يوم القيامة أو يوم الدين أو يوم الحساب أو يوم البعث، فإنما نذكر اليوم الآخر بأخطر أحداثه تنبيهاً وتحذيراً، إلا أن الوضوح يقتضى منا العلم بأن هذه كلها أحداث وأحوال أو مراحل لليوم الآخر.

ومما يجدر ذكره أن بعض الكتاب استبدل اسم يوم القيامة باسم اليوم الآخر، وجعل بقية الأسماء منضوية تحته ووصفاً أو أسماء له مثل: الساعة أو الحساب أو

(١) سنعلم بعد ذلك في أحد أجزاء الكتاب أن الواقعة هي القيامة الصغرى، أو هي حدث من أحداثها.

الخلود أو الطامة أو الصاخة وهي أحداث من اليوم الآخر شأنها شأن القيامة، لأن القيامة مرحلة من مراحل، تبدأ من اكتمال حشر الناس في صعيد واحد حتى يتشفع المصطفى الخاتم ﷺ الشفاعة الكبرى لإقامة الحساب وعبور الجسر أو الصراط، ومن ثم فإنه يكون من الأدق والأصوب والأرجح أن تدخل هذه الأسماء جميعاً تحت اسم اليوم الآخر، دخول الفرع تحت الأصل. ولكن لا يمنع ما نقول من استخدام يوم القيامة بنفس دلالة اليوم الآخر.

وكما يتغلق باب التوبة بالنسبة للإنسان الفرد إذا غرغر ساعة الاحتضار مع أنه يكون حياً يرى ويسمع ويتنفس، كذلك فإن باب التوبة يتغلق بالنسبة للإنسان النوع عند طلوع الشمس من مغربها، أو بخروج الدابة، أو بظهور الدخان، وكلها تحدث في يوم واحد من أيام الدنيا وتستمر الدنيا بعده إلى ما شاء الله تعالى.

ومن ثم فهذه الأحداث الثلاثة العظمى هي بمثابة غرغرة النوع الإنساني كله، ولكن يستمر حياً، أي هذا النوع ربما لعشرات السنين أو لمئات السنين، والله تعالى أعلم، وهذا يعني أن بدأ اليوم الآخر يكون في الدنيا قبل قيام الساعة، ومن ثم جاءت أشراف الساعة ضمن عقيدة اليوم الآخر في الإسلام.

وتبدأ أحداث اليوم الآخر بالنفخة الأولى في الصور، التي هي نفخة الفزع، وهي تحدث في الدنيا، وبها تقع أحداث الساعة الصغرى التي تنبئ ببداية نهاية الدنيا، وبالقرب الشديد لوقوع الساعة، وهذا اليوم هو يوم التناد فليس يوم التناد اسماً من أسماء يوم القيامة، وليس اسماً من أسماء الساعة، بل هو اسم من أسماء يوم الفزع كما عبر عن هذا حديث أبي هريرة عن النفخات الثلاث في الصور والذي سيأتي بيانه بعد (١).

أما النفخة الثانية في الصور فيها تقع الساعة ويموت الناس بها نتيجة الصيحة أو الصاخة التي تصخ أذانهم أو القارعة التي تفرعهم فتهلكهم.

(١) أورده الطبري في تفسير قوله تعالى ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم﴾ وأورده ابن كثير في النهاية ولم يضعفه. وذكرته في الجزء الأول من القيامة الصغرى على الأبواب.

أما يوم البعث الوارد ذكره في قوله تعالى ﴿لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ﴾ [الروم/٥٦]. فهذا يوم الخروج قال تعالى ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾ [ق/٤٢]. أى: الخروج من القبور للنشور، وهذا يكون بالنفخة الثالثة فى الصور، وهو الحدث أو اليوم الذى يحى الله تعالى فيه الموتى فيساقون بعدها للموقف قائمين لرب العالمين، وهذا هو يوم القيامة الكبرى أو الطامة الكبرى أو حدث القيامة الذى قال تعالى فيه ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين/٤، ٥، ٦].

أى: أنهم سيبعثون فى يوم البعث بحدث عظيم اسمه البعث وهو الإحياء من القبور، ثم يكون بعده حدث عظيم أيضاً اسمه القيامة ولو فهمنا القيامة بالخروج من القبور قائمين على الأرجل سعياً إلى المحشر لكان أيضاً حدثاً مخالفاً للبعث لأن البعث هو إحياء الله تعالى للأجساد بعد تكوينها وإعادتها فى قبورها. فالبعث فعل الله عز وجل فى الناس، والقيامة فعل منسوب للناس.

والأرجح أن القيامة اسم للوقوف فى المحشر فى انتظار الحساب، وهو يوم الجمع لأن الناس يكونون جميعاً مجموعين فى صعيد واحد، لا يتخلف منهم أحد من ذرية آدم، قال تعالى ﴿وَتَنْذِرُ يَوْمَ الْجُمُعِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [الشورى/٧].

يتبع هذا الحدث: بدء الحساب وإقامة الموازين لإدانة المجرمين فهو يوم الدين، قال تعالى ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة/٤]، وهو يوم الحساب، قال تعالى ﴿هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [ص/٥٣]، وهو امتداد ليوم القيامة أو يوم الجمع.

ثم بعد انتهاء الحساب وانقضاء الموقف ينتهى الناس إلى يوم الخلود إما إلى جنة أبداً قال تعالى للمؤمنين ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ [ق/٣٤]، إذ يستقرون فيها بلا انتهاء أو تحول أو فناء، قال تعالى ﴿وَأِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ [غافر/٣٩].

فليس يوم الخلود هو يوم القيامة أو هو يوم الدين أو البعث إذ ينتهى حدث البعث

ويبدأ يوم القيامة أو الدين أو الحساب وينتهي يوم الدين أو الحساب ليبدأ يوم الخلود، إما في الجنة أبداً، وإما في النار أبداً، والعياذ بالله تعالى.

ولقد حدث خلط في الأذهان بين هذه الأحداث والمراحل ربما لإطلاق اسم المرحلة الواحدة على كل المراحل أو اسم اليوم الآخر على اسم المرحلة الواحدة فوجب التنبيه والتوضيح لأن هذا الإطلاق وإن كان جائزاً في اللغة إلا أن الخلط بين مدلولات الألفاظ والأسماء غير جائز فيجوز إطلاق اسم الجزء على الكل والكل على الجزء لكن من الخطأ والخلط إطلاق اسم الجزء على جزء آخر.

وعلى أي حال فإسم القيامة من أعم أسماء اليوم الآخر، أو هو الذي يليه في العمومية ونظراً لأنه يطلق على جميع مراحل اليوم الآخر، فإنه يلزم إذا ذكرناه أن نقرنه بما يميز به بين كل مرحلة من مراحل اليوم الآخر الثلاث على ما سيرد بعد مفصلاً باذن الله تعالى.

(١٦) ما أطلق عليه العلماء أشرط الساعة العظمى هو بدء نهاية الدنيا أو هو بمثابة فجر اليوم الآخر

الصلة بين أشرط الساعة واليوم الآخر أوثق من الصلة بينها وبين الدنيا إذ هي علامة على قرب بدء اليوم الآخر، ويعتبر أول الأشرط العظمى بمثابة فجر اليوم الآخر، ولا شك أن صلة الفجر بالنهار أوثق من صلته بالليل، لأنه وإن كان إيذاناً بانتهاء الليل، ومع أنه استمرار لظلام الليل، إلا أنه يتسبب إلى النهار أكثر من انتسابه إلى الليل، لأنه بابه وأوله، وأول الشيء جزء منه أكثر من كونه جزءاً من غيره.

لذل يصح القول بأن اليوم الآخر يبدأ في الدنيا وليس في الآخرة، خلافاً لما قد يتوهم البعض، وبدايته هي أشرط الساعة العظمى لأن الأشرط التي تنبئ عن قرب وقوع الساعة هي من أحداث آخر الدنيا، وأول اليوم الآخر، لكن أشرط الساعة بدأت ببعث المصطفى الخاتم ﷺ، فهل معنى هذا أن اليوم الآخر بدأ ببعثه عليه الصلاة والسلام؟

إن بدء اليوم الآخر أو فجره يتمثل في حدوث ما أطلق عليه العلماء أشرط

الساعة العظمى أو الكبرى^(١)، التى سيأتى الحديث عنها بعد بإذن الله تعالى.

أما الأشرط التى بدأت تتابع منذ بعث المصطفى الخاتم ﷺ فهى الأشرط التى أطلق عليها العلماء الأشرط الصغرى^(٢).

وبيان هذا: أن بعض السنن الربانية التى تحكم وجود النوع الإنسانى فى مراحل الوجودية الأربعة: الموتين والحياتين، هى التى تحكم الوجود الإنسانى الفردى فى مراحل الوجودية الأربعة أيضاً، وإن لم يكن فى سبلها وخطوطها ومناهجها الدقيقة، فهو على الأقل فى سبلها الرئيسية وخطوطها العريضة، إذ كما تنتهى حياة الأفراد بالضعف ونسيان العلم وأعراض أخرى لمرحلة أرذل العمر ﷻ ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكى لا يعلم من بعد علم شيئاً ﷻ [النحل / ٧٠] ثم يحدث انهيار الفرد، فيلزم الفراش ويصبح فى حال ليس هو فيها من أبناء الدنيا لأنه مدبر عنها، كما أنه لم يصبح بعد فى الآخرة وإن كان مقبل عليها.

كذلك فى حياة النوع الإنسانى فى العقود الأخيرة التى تسبق الساعة، فالأشرط التى بين يدى الساعة بمثابة أحوال وأعراض شيخوخة النوع الإنسانى، بل هى أرذل العمر بالنسبة إليه.

أما لحظة قيام الساعة التى يموت فيها كل البشر فهى تقابل لحظة موت الفرد بخروج نفسه، ومن ثم إذا كان للنوع الإنسانى ساعة فإن للفرد ساعة أيضاً هى لحظة صعود نفسه إلى بارئها.

(١٧) دلالات الساعة الثلاث عند العلماء:

استنبط بعض العلماء من أحاديث الرسول الكريم ﷺ ثلاث دلالات لمعنى الساعة، فأطلق بعضهم على الأولى الساعة الصغرى، والثانية: الساعة الوسطى، والثالثة: الساعة الكبرى.

وهم يقصدون بالساعة الصغرى: موت الفرد، والوسطى: موت الجيل أو انقراض جميع أفرادها أو أكثرهم، أما الساعة الكبرى فهى موت الناس أجمعين.

(١)، (٢) سيرد بعد ذلك ما يوضح للقارئ رفضى لهذا التصنيف وتسميتها بالامارات والآيات.

بيد أن هذه التسميات ليست مطابقة تماماً لمدلولاتها الثلاثة، فهي تسميات أو إطلاقات غير دقيقة، والأوضح والأدق أن نثبت للساعة ما صدقنا فقط:

الأول الساعة الخاصة.

الثاني: الساعة العامة.

فالأولى: هي التي تصدق على موت الفرد إذ لكل فرد ساعته التي تسبقها علاماتها، وأشراتها، كما أسلفنا، وهي لحظة موته وانتقاله من الدنيا إلى عالم البرزخ الذي يسبق البعث، أي الذي يكون بعد الموت وقبل البعث، قال تعالى: ﴿ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون﴾ [المؤمنون/ ١٠٠].

فساعة الفرد: ساعة خاصة وليست صغرى كما أطلق عليها بعض العلماء والباحثين، وهذه هي التسمية الدقيقة لها.

أما الساعة العامة: فهي الحدث الذي يتم به نهاية أجل البشرية، بل نهاية أجل الحياة بعامة في الأرض من إنس وجن وحيوان ونبات، وجميع أشكال الحياة الأخرى، لذلك نقول: إن إطلاق اسم الساعة الكبرى عليها قد لا يكون مخالفاً للصواب إذا نظرنا إلى عظم الحدث، ولكن إطلاق اسم الساعة العامة أدق لأنها من ناحية تقابل الساعة الخاصة.

ومن ناحية أخرى لأنها لحظة النهاية لعموم الأحياء الأرضية، أما ما يقصده الباحثون والعلماء بالساعة الوسطى أو ساعة الجيل أو ساعة أهل القرن: فهي لا تعدو أن تكون مجموع ساعات الأفراد وحيث أن موتهم يتم خلال عمر الجيل كله، وليس في لحظة واحدة كما هو الشأن بالنسبة للساعة الكبرى أو العظمى لذا فلا نرى من الصواب أو من الدقة وصف موت الأفراد خلال عمر الجيل بالساعة الوسطى ضمن تصنيف لأقسام الساعة ومدلولاتها، لأن أهم عنصر يدخل في معنى الساعة هو حدوثها فجأة وفي لحظة واحدة ووقوعها بغتة بالرغم من تقدم علاماتها وأشراتها، وبالرغم من توقع كثير من الناس قرب حدوثها، وهذا ما لا يتوفر بالنسبة لما أطلقوا عليه الساعة الوسطى، بمعنى نهاية أجل جيل من الأجيال الذي يحدث بالتعاقب.

وهذا لا يمنع من القول بوجود ما يمكن تسميته بساعة القوم أو ساعة الأمة إلا أنه ليس لكل الأقوام أو كل الأمم، بل للأمة المستأصلة بعذاب الله تعالى العاجل في الدنيا، مثل ما حدث لقوم نوح وعاد وثمود، وقوم لوط وقوم شعيب، فقد قضى الله تعالى على كل شعب من هذه الشعوب بضربة واحدة، إما بالغرق وإما بالصيحة أو بالرياح العاتية فقضى عليهم في لحظة واحدة، كما هو الحال بالنسبة لانتهاء البشرية بما أطلقوا عليه الساعة الكبرى، ولكن هذه الساعة الجماعية إن صح التعبير بساعة القوم أو ساعة الأمة فهي بين الخاصة والعامة لأنها تخص من استحقوا عذاب الاستئصال، قال تعالى: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَجِيرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [يونس: ٤٩]. من ناحية، وهي نعم جميع أفراد الشعب الكافر من ناحية أخرى.

أما الحديث الذي استنبط منه العلماء إطلاق الساعة الصغرى والوسطى والكبرى على مدلولات الساعة الثلاث فهو: قوله ﷺ مجيباً من سأله عن الساعة: «تسألوني عن الساعة فإنما علمها عند الله وأقسم بالله ما على الأرض من نفس منقوسة اليوم يأتي عليها مائة، وفي رواية عائشة رضى الله عنها: «قامت عليكم ساعتكم»^(١).

قال ابن كثير رحمه الله تعالى مُبَيَّنًا: وذلك أن من مات فقد دخل في حكم القيامة.

ومن الواضح أن إجابة الرسول ﷺ على السائلين عن موعد الساعة يتضمن نهياً ضمناً عن محاولة معرفة موعداً أو على الأقل كراهة هذا الأمر، لأنه من المعلوم أنه لا يعلمها إلا الله عز وجل وحده ولا يشاركه سبحانه في هذا العلم لا نبي مرسل ولا ملك مقرب، كما سبق وأن أثبتنا ذلك من قبل، كما أن العلم بأنها لن تحدث إلا بعد عشرات السنين، أو مئات السنين مثلاً لا يفيد السائل شيئاً لأنه لن

(١) انظر فتح الباري (٣٦٣/١١) والحديث في صحيح البخاري ك الرقاق، باب سكرات الموت، وفي صحيح مسلم ك/ الفتن وأشراف الساعة، باب قرب الساعة.

يعيش هذه القرون كما هو معلوم من واقع أعمار البشر، وأعمار أمة الرسول ﷺ بين الستين والسبعين ومن تخطى السبعين فغالباً لا يصل إلى المائة، ومن تخطى المائة لا يستمر كثيراً، فإذا كان موت الأفراد في هذا المدى، وقد أقسم رسول الله ﷺ للسائلين عن موعد الساعة بأن كل إنسان على ظهر الأرض يومئذ لن يبلغ المائة عام ومن ثم فمن كان مهتماً بموعد الساعة فليعلم أنه إن لم تدركه الساعة خلال المائة القادمة فسيترك الموت وهو ما يتساوى أثره بالنسبة للفرد، ومن ثم يعتبر هذا أعظم موعظة لكل الأجيال، إذ أن بعد الساعة عن جيل من الأجيال أو قرن من القرون مئاة السنين أو حتى آلاف السنين لا تفيد هذه السنين القرن بشيء، ما دام موتهم محقق في حدود عمر الجيل الواحد، أو القرن الواحد، لأنه إذا كانت ساعة المرء هي لحظة موته الخاصة فإن الساعة العامة بالنسبة له هي نفس هذه اللحظة أيضاً، لأن الزمن بالنسبة له معدوم بين موته وبين الساعة العامة وأيضاً بين موته وبين البعث لأن الأموات لا يحسون بالزمن ولا يشعرون بالوقت.

(١٨) معنى قرب الساعة عند العلماء؛

أثبت العلماء معنيين لقرب الساعة:

(أولاً). القرب النسبي: إذا ثبت بآيات القرآن الكريم، وأحاديث النبي ﷺ أن بعثه ﷺ ونزول القرآن الكريم عليه أول العلامات أو الأشراف على قرب الساعة. قال تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١].

قال القرطبي موضحاً لهذا المعنى الأول لقرب الساعة: أولها النبي ﷺ لأنه نبي آخر الزمان وقد بعث وليس بينه وبين القيامة نبي^(١). فهو عليه الصلاة والسلام أول علامات الساعة التي يبدء حدوثها تكون الساعة قد اقتربت نسبياً، ومن هذا حدوث معجزة انشقاق القمر في العهد المكي أمام المشركين، وهذا الانشقاق هو من أشراف الساعة الدالة على اقترابها بهذا المعنى الأول.

وقال تعالى أيضاً: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١]

(١) القرطبي / التذكرة ص ٦٢٦.

والحساب لا يكون إلا بعد الساعة فاقتراب الساعة إذن أولى، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۖ وَتَرَاهُ قَرِيبًا﴾ [المعارج: ٦/٧]. وقال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾ [محمد: ١٨]. أي : جاء أشراطها يبعث النبي الخاتم الذي ليس بينه وبين الساعة نبي وينزل الوحي الأخير الذي لا ينزل بعده كتاب من السماء إلى أن تقوم الساعة.

وقد أثبت العلماء هذا المعنى في كتبهم فأورد ابن كثير عن الحسن البصري قوله: «بعثة الرسول ﷺ من أشراط الساعة»^(١). وأيده ابن كثير رحمه الله تعالى فقال: «بعثة رسول الله ﷺ من أشراط الساعة لأنه خاتم الرسل الذي أكمل الله به الدين وأقام به الحجة على العالمين»^(٢).

أما عن أحاديث المصطفى الخاتم ﷺ التي تدل على هذا المعنى الأول لقرب الساعة يبعث فقد جمعها الشيخ حمود بن عبد الله التويجري في كتابه «تحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة».

فكتب رحمه الله بالمجلد الثاني: [ومن سهل بن سعد رضى الله عنه قال: «رايت رسول الله ﷺ قال بإصبعيه هكذا - بالوسطى والى تلى الإبهام : بعثت والساعة كهاتين» رواه الإمام أحمد والشيخان واللفظ للبخارى .

وفى رواية له عن سهل رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « بعثت أنا والساعة كهاتين» ويشير بإصبعيه فيمدهما».

وفى رواية لأحمد: أن رسول الله ﷺ قال: « مثلى ومثل الساعة كهاتين، وفرق بين إصبعيه الوسطى والى تلى الإبهام، ثم قال: مثلى ومثل الساعة كمثلى فرسى رهان، ثم قال: مثلى ومثل الساعة كمثلى رجل بعثه قومه طليعة فلما خشى أن يُسبق الأحابث به أوتيتهم ثم يقول رسول الله ﷺ: « أنا ذلك».

(١) ابن كثير / التفسير ج ص

(٢) المصدر السابق . التفسير / ط ١ / ص ٢٤٦ .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين» رواه الإمام أحمد وأبو داود الطيالسي والشيخان والترمذي. زاد مسلم: «قال شعبة: وسمعت قتادة يقول في قصصه: «كفضل إحداهما على الأخرى» فلا أدري أذكره عن أنس أو قاله قتادة؟ وفي رواية له عن معبد «وهو ابن هلال» عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين» قال: وضم السبابة والوسطى». وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين» وجمع بين إصبعيه رواه البخاري وابن ماجه وهذا لفظه. وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول: صَبَّحَكُمْ وَمَسَّكُمْ، ويقول بعثت أنا والساعة كهاتين ويقرن بين إصبعيه السبابة والوسطى. رواه الإمام أحمد ومسلم وابن ماجه. وعن المستورد بن شداد الفهرى رضى الله عنه عن النبی ﷺ قال: «بعثت أنا في نفس الساعة فسبقتها هذه هذه لإصبعيه السبابة والوسطى. رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب.

قال الحافظ بن حجر: قوله في نفس بفتح الفاء وهو كناية عن القرب، أي بعثت عند نفسها انتهى.

وعن بريدة رضى الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «بعثت أنا والساعة جميعاً إن كادت لتسبقني».

رواه الإمام أحمد وإسناده صحيح على شرط مسلم.

وعن جابر بن سمرة رضى الله عنهما قال: رأيت رسول الله ﷺ يشير بإصبعيه ويقول: «بعثت أنا والساعة كهذه من هذه». رواه الإمام أحمد وإسناده حسن، ورواه ابن جرير ولفظه قال: كأنني أنظر إلى إصبعي رسول الله ﷺ أشار بالمسبحة والتي تليها وهو يقول: «بعثت أنا والساعة كهذه من هذه» وفي رواية: «وجمع بين إصبعيه السبابة والوسطى»^(١).

(١) التوزيع / إتحاف الجماعة في الفتن والملاحم وأشرط الساعة جـ ٢ ص ٥-٨ دار الصمى للنشر والتوزيع الرياض.

وذكر ابن كثير ما رواه ابن أبي الدنيا بسنده عن صبرة بن الضحاك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بعثت فى نَسَم الساعة» يقول: حين بدت فى أول وقتها^(١). قال ابن كثير عن الحديث: «وهذا إسناد جيد»^(٢). ومعنى أول وقتها: أى من الأشراف الأولى التى تدل على القرب النسبى المتضمن للبعد النسبى أيضاً.

وتفسير هذا وبيانه هو أن قرب عصر النبى ﷺ من الساعة نسبى بالقياس إلى عصر الدنيا إذ أن عمر البشرية طويل جداً حتى أن خمسة عشر قرناً أو حتى عشرين قرناً بالنسبة له ليعتبر زمناً يسيراً وأجلاً قصيراً. يدل على هذا المعنى ما رواه البخارى بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما أجلكم فى أجل من خلا من الأمم قبلكم كما بين صلاة العصر ومغرب الشمس». وروى الإمام أحمد رحمه الله عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا إن مثل آجالكم فى الأمم قبلكم كما بين صلاة العصر إلى مغربان الشمس»

قال ابن كثير رحمه الله تعليقاً على هذه الأحاديث: وهذا كله يدل على أن ما بقى بالنسبة إلى ما مضى كالشيء اليسير لكن لا يعلم مقدار ما بقى إلا الله عز وجل، ولم يجيء فيه تحديد يصح سنده عن المعصوم ﷺ حتى يصار إليه، ونعلم نسبة ما بقى بالنسبة إليه، ولكنه قليل جداً بالنسبة للماضى^(٣).

فالقرب بهذا المعنى الأول نسبى وليس قرباً بالمعنى المطلق، ومن ثم فالأشراط الدالة على هذا القرب كثيرة تبعد عن الحصر، وقد بدأت تتوالى منذ عهد المصطفى الخاتم ﷺ ولا زالت.

(١) ابن كثير ج ١ ص ٢٤٦.

(٢) المصدر السابق.

(٣) ابن كثير / النهاية فى الفن والملاحم، ج ١ ص ٢٤٩ طبعة دار الفكر العربى، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز.

(ثانياً) - القرب المطلق للساعة: هو القرب غير النسبي ، وتدل عليه أشراف تقع بين بدء الساعة وقبلها بزمان يسير جداً، ومن ثم فهي من نوع آخر يختلف عن الأشراف التي بدأت ببعث النبي ﷺ

ولقد فرق بعض العلماء: على أساس هذين المعنيين للقرب من الساعة بين نوعين من الأشراف فأطلقوا على الأولى: الأشراف الصغرى، وعلى الأخرى التي تقرب من الساعة بهذا المعنى الذي نحن بصده أى المطلق: الأشراف العظمى أو الكبرى، ويرجع هذا السبب فى تسمية هذه الثانية بالكبرى أو العظمى إلى طبيعة الأحداث التي تقع بهذه الأشراف من ناحية، وإلى مباشرة عصرها للساعة أو لكونها تدل على آخر الزمان من ناحية أخرى، أى لأنها تدل على القرب الشديد للساعة.

ولقد وردت هذه الأشراف فى أحاديث رسول الله ﷺ بصيغة تتضمن بياناً بحدوثها قبيل الساعة مباشرة وبزمان يسير جداً مثل قوله ﷺ « إن بين يدي الساعة الهرج، قالوا: وما الهرج؟ قال: القتل، قالوا: أكثر مما نقتل؟ إنا نقتل فى العام الواحد أكثر من سبعين ألفاً!! قال: إنه ليس بقتلكم المشركين ولكن قتل بعضكم بعضاً»^(١).

وقد تكرر تعبير: إن بين يدي الساعة فى كثير من أحاديث النبي ﷺ وهى صيغة تدل على مباشرة هذا الحدث للساعة وعلى المعنى الثانى للقرب أى القرب المطلق.

ومن هذه الصيغ الدالة على القرب المطلق قوله ﷺ: « لا تقوم الساعة حتى... » وكذا وكذا مثل قوله: « لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان... »^(٢). ومثلها قوله

(١) رواه الإمام عن أبى موسى رضى الله عنه (٤/٤١٤) وصححه الألبانى فى صحيح الجامع الصغير ١٩٣/٢.

(٢) رواه الإمام أحمد عن أبى هريرة، وأورده ابن كثير فى النهاية وقال: إسناده على شرط مسلم جـ ١٨١ ص.

ﷺ : « إن الساعة لن تقوم حتى تروا عشر آيات... » (١). ومن هذه الصيغ أيضاً:
النص على أن الحدث الذي هو موضوع الحديث الشرف « في آخر الزمان » أو في
« آخر الأمة ». مثل قوله ﷺ : « يكون في آخر أمتي خليفة يحثي المال حثياً لا يعده
عداً » (٢). ومثله قوله ﷺ : « يكون في آخر هذه الأمة - أو في أمتي - خسف أو
مسخ أو قذف في أهل القدر » (*)(٣).

والمتواتر بين العلماء: أن الأشراف العظمى التي تسبق الساعة مباشرة وتقع بين
يديها هي الخسوف الثلاثة وخروج الدجال ونزول المسيح عليه السلام وبأجوج
ومأجوج وطلوع الشمس من مغربها والدابة والدخان ونار تخرج من قعر عدن
وجميعها نص عليها حديث الآيات العشر التي تكون بين يدي الساعة، إلا أن كثيراً
من الأشراف التي دلت عليها النصوص تقع بين يدي الساعة أيضاً وهي قد لا تكون
من الأشراف العظمى أي من الآيات أو الأحداث العظيمة ، ومن ثم أورد هذا
التصنيف للأشراف إلى صغرى وكبرى لبساً وخلطاً، سيستلزم منا رفع هذا اللبس
كما سيلي بإذن الله وتعالى وعونه.

يبد أنه قد يكون من المفيد أن تنبه إلى أن تصنيف الأشراف إلى نوعين للتمييز
بينهما أمر لازم ولا خلاف فيه، وإنما قد يكون من الأدق وكذلك بما يساعد على
البيان والتوضيح، أن نسمي الصنف الأول الذي يندرج تحت معنى القرب النسيبي
الذي بدأ منذ عصر النبي ﷺ بالأشراف الأولى أو البعيدة، ونعني به بعداً نسبياً، فهذه
بعيدة عن الساعة بالقياس إلى الصنف الثاني الذي هو أقرب إليها.

وهذا الصنف الثاني الذي هو بين يدي الساعة فيمكن أن نسميه الأشراف

(١)، (٢) صحيح مسلم : ك الفتن وأشراف الساعة. صحيح مسلم ك/ الفتن وأشراف الساعة.

(٣) رواه الترمذي، في باب القدر جـ ٦ ص ٣٦٧.

(*) أهل القدر هم المنكرون للقدر مثل الجهمية وبعض فرق المعتزلة ولم توجد شعوب تدبى بهذه العقيدة
إلا الشيعة بما فيهم الأئمة عشرية على درجات متفاوتة من الإنكار حتى يقول بعضهم بالبداء على الله
أن الله ومعناه تعالى في عقيدة هؤلاء لم يقدر شيئاً وإنما يدبر الأمر حسب ما يبدو أولاً بأول.

الأخيرة أو أشرط آخر الزمان أو الأشرط القربية وسوف نعطي للصنف الأول البعيد
عن الساعة مصطلح الأشرط، ونعطي للقريب منها، العلامات والأمارات والآيات،
وهي مصطلحات في القرآن الكريم، والسنة كما سنرى في الفصل التالي بإذن الله
تعالى .

الفصل الثاني

المصطلحات الأربعة للأحداث الدالة على الساعة في الكتاب والسنة

(١٩) معنى الشرط

الشرط في اللغة هو العلامة، ومنه اشتق اسم الشرطة لأنهم يتخذون علامات أو ملابس خاصة تميزهم وتدل عليهم، وكل شرط يتبعه مشروط بالضرورة، كما أن كل علامة ترتبط بمعلوم تدل عليه.

وعند النحاة أدوات الشرط «إذا وإن ولو متى وحتى» لكل منها فعلان: الأول، هو فعل الشرط، والثاني هو جواب الشرط، وبالنسبة لأشراط الساعة، فإن ما يأتي بعد أداة الشرط هو العلامة التي تدل على قرب الساعة، أما وقوع الساعة أو أي مشهد من مشاهد ما فيكون جواب الشرط، منها قول الله عز وجل ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ۝ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَفَرَتْ ۝ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝ عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝﴾ [الإنفطار / ١ - ٥]. فكل جملة بعد إذا هي خبر عن شرط من أشراط الساعة يحدث قبل وقوعها، وجاءت جملة ﴿عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ جواباً لفعل الشرط، إذ تنبئ هذه الجملة عن حال كل نفس بإزاء عملها الذي تذكره جيداً ويكون حملاً ثقيلاً وشغلاً شاعلاً لها تخشى الحساب عليه.

فالشرط هو العلامة وأشراط الساعة علاماتها، ولم يرد لفظ الشرط في القرآن الكريم مضافاً إلى الساعة بصيغة المفرد، وإنما ورد دائماً بصيغة الجمع «أشراط» في مثل قوله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾ [محمد / ١٨].

(٢٠) معنى الساعة

الساعة لغة من سَوَّعَ وهو أصل يدل على استمرار الشيء ومُضَيَّه (وسواع من

(٢٠) معنى الساعة

الساعة لغة من سَوَّعَ وهو أصل يدل على استمرار الشيء ومُضِيَّه (وسواع من الليل أى هذه منه) وسُمِّيَ جزء من الليل والنهار بالساعة لأنه شىء يمضى ويستمر. فالأصل فى معنى الساعة هو الدوام والاستمرار والمضى والتتابع فهى زمن دائم مستمر، أى وحدات متكررة بلا توقف، واشتقت من لفظ سوع الساعة للدلالة على الوحدة الزمنية التى يتكون منها الليل والنهار، فالساعة - باعتبارها وحدة زمنية متكررة - مقياس للوقت والزمن.

أما الصلة بين الساعة التى هى انتهاء أجل الحياة فى الأرض مرة واحدة فى لحظة واحدة، وبين مفهوم الساعة الذى هو مقياس للوقت، هذه الصلة تكمن فى أن الساعة التى هى مقياس للوقت تطلق على وحدات متتابعة من الليل والنهار فيقال الساعة الأولى من الليل والساعة الثانية من الليل ثم الثالثة حتى يقال عن السَّحَر إنه الساعة الأخيرة من الليل، وهو يتبعه الفجر الذى هو الساعة الأولى من النهار، فالزمن أو الوقت فى هذه الحياة الدنيا ساعات متسلسلة متتابعة أى أنها وحدة متكررة لا تنقطع بسبب سريان الزمان فى حركة دائرية يعود إلى حيث بدأ، ليل يعقبه نهار وهذا النهار يعقبه ليل، وهكذا منذ أن بدأت الدنيا إلى أن يرثها الله تعالى.

أما الساعة التى هى نهاية الحياة على وجه الأرض، فإن الصلة بين معناها وبين المعنى اللغوى للساعة هو أن الزمن سيتوقف بانتهاء الدنيا، ولن يكون ثمَّ ليل أو نهار، وبالتالي قلن تكون يومئذ ساعات متتابعة بمعنى أجزاء من الليل أو أجزاء من النهار تختلف كل ساعة عن سابقتها وعن لاحقتها، وإنما ستكون ساعة انتهاء الحياة الدنيا ساعة واحدة ممتدة ذات صبغة واحدة لا زمن ولا تتابع ولا تسلسل ولا اختلاف بين ساعات فى الليل وأخرى فى النهار، إذ لن يكون بعد ليل ولا نهار، وإنما هى ساعة واحدة. ومن ثمَّ سُمِّيَت الساعة، فهى ساعة واحدة أى وحدة زمنية مستقلة عن التى قبلها والتى بعدها، تبدأ بصبيحة من السماء يموت على أثرها كل حي وتظل ممتدة حتى يخرج الناس من قبورهم بالبعث ثم مراحل الحساب والميزان والصراف والحوض والجنة لأهل الإيمان والنار والشقاء لأهل الكفر.

على ظهر الأرض ويتوقف فيها الزمان فيمتد ليصبح ساعة واحدة مستمرة بانقطاع التباين بين ساعات اليوم وتوالى الأيام والشهور والسنين، وهذا لا يكون إلا بانقطاع التسلسل الوقتى الذى عليه الزمن الحالى فى الحياة الدنيا.

إذن الساعة لحظة أو أقل قال تعالى ﴿ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ﴾ [النمل/ ٧٧] لكنها ممتدة فتشمل البعث من القبور ثم الحشر والوقوف للحساب ثم الميزان ثم الصراط ثم الذهاب إلى المصير الأبدى، إلى جنة أو إلى نار قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِقُونَ ﴾ [الروم/ ١٤] وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ [غافر/ ٤٦] فالساعة تقوم فى لحظة أو أقل من ثانية وهذا هو الوقت الذى يستغرقه «المح البصر» فيموت كل حى بالصيحة بلا هدم وبلا أى مظهر من مظاهر القيامة فى القرآن الكريم، ﴿ ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون ﴾ [٤٨ - ٥٠ يس] إذا سيموت كل حى فى مكانه لحظة وصول الصيحة إلى أذنيه.

ومن ثم يتجمد الزمن وتصبح هذه اللحظة ممتدة لتشمل البعث والحشر والحساب حتى يتفرق الناس فريقين: فريق إلى الجنة وفريق إلى السعير، والعباد بالله تعالى.

(٢١) معنى اليوم الآخر، ومتى يبدأ؟ ومتى ينتهى؟ ومراحله

ويخلاف الفهم الخاطيء عند أكثر الناس حتى عند بعض علماء الإسلام من أهل التخصص فى العقيدة والتفسير، فإن اليوم الآخر لا يبدأ فى الآخرة بدخول كل فريق إلى مثواه، كما أنه لا يبدأ لحظة قيام الساعة، وإنما هو يبدأ فى الدنيا وينتهى فى الآخرة لأن اليوم الآخر (بكسر الخاء) ليس هو اليوم الآخر (بفتح الخاء) ذلك أن القرآن الكريم يقابل الآخرة بالدنيا والحياة الآخرة بالحياة الدنيا والحياة الآجلة بالحياة العاجلة.

ومن ثم جاء الركن الخامس من أركان الإسلام (...) وباليوم الآخر) وهو غير

الآخرة إذ ليس اسمه الآخر، ومن ثم فهو اليوم الآخر بمعنى الأخير، فهو إذن اليوم الأخير من أيام الدنيا، وليس اليوم الأول من أيام الآخرة، لأن هذا اليوم الأول يبدأ بدخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، وهو يبدأ من حيث تنتهى الدنيا، وتنتهى الدنيا بانتهاء اليوم الآخر أى الأخير منها، وهذا اليوم يبدأ فجره فى الدنيا، وينتهى بنهاية الحساب وعبور الصراط.

ويبدأ فجره فى الدنيا ببدء الأشراف العظمى أو الآيات التى بين يدي الساعة أو أماراتها، فيجب على كل مسلم أن يصحح هذا الخطأ الشائع عن مفهوم اليوم الآخر بالتمييز بين اليوم الآخر والحياة الآخرة أو الآخرة.

(سئل ابن عباس رضى الله عنهما: متى يبدأ اليوم الآخر؟ فقال أوله فى الدنيا وآخره فى يوم الدين)^(١).

وقد حصر العلماء أسماء اليوم الآخر فى القرآن الكريم فوجدوها تسعة عشر اسما هى: يوم القيامة، يوم الفناء، الواقعة، القارعة، الآزفة، الصاخة، الساعة، يوم البعث، يوم الخروج، يوم الدين، يوم الحسرة، يوم الفصل، يوم الجمع، يوم الوعيد، يوم الحساب، الطامة الكبرى. الحاقة، يوم الخلود، يوم النشور، ويمكن تصنيفها إلى مراحل اليوم الآخر كالتالى: -

(١) اليوم الآخر: وهو الذى يبدأ بآيات الساعة فى الدنيا وينتهى بنهاية يوم الحساب ودخول كل فريق من الفريقين إلى مصيره الأبدى. فهو اليوم الجامع لجميع الأسماء الثمانية عشر التالية:

(٢) يوم القيامة، يوم الفناء، الواقعة، الراجفة.

(٣) الساعة، الصاخة، القارعة، الطامة الكبرى.

(٤) يوم الدين، يوم البعث، يوم الخروج، يوم النشور، يوم الجمع، يوم الوعيد، يوم الحساب، يوم الفصل، يوم الحسرة.

(٥) يوم الخلود، وهو بدء الحياة الآخرة.

(١) انظر لوامع الأنوار البهية للسفاريني جـ ٢.

وكل اسم من هذه الأسماء يطلق على اليوم كله، من قبيل إطلاق الجزء على الكل، ومن قبيل تسمية الشيء بخاصية من خصائصه المتعددة، كما أن الجزء يُطلق على عينه وكذلك يطلق اسم الكل على بعض الأجزاء، وإن كان في الأصل يعنى مجموع الأجزاء. ومن ثم فالיום الآخر (بكسر الحاء) هو الذى يبدأ بعصر الأشراف العظمى والآيات وينتهى بدخول الجنة أو النار والعياذ بالله منها.

(٢٢) تَصْنِيفُ لِلأحداث السابقة على الساعة إلى أشراف وأمارات وعلامات وآيات،

وردت مقدمات الساعة بأكثر من اسم:- أشراف الساعة، وعلامات الساعة، وأمارات الساعة، وآيات الساعة.

وجميع هذه الأسماء تُطلق على الأحداث التى تسبق الساعة وتدل على قرب وقوعها بدرجات متفاوتة فى القرب. ومن هذه الأحداث ما هو فلكى، ومنها ما هو طبيعى أو جيولوجى أو حيوى، ومنها ما يحدث بأفعال، البشر كالأحداث التاريخية، وهذه الأخيرة منها ما هو صناعى تقنى حضارى ومنها ما هو سياسى أو عسكرى أو اقتصادى، ومنها ما له صبغة خلقية كشيوع الفساد وإباحة الفحشاء وانتشار الجرائم وطفغان الظلم وغلبة الشر، ومن هذه الأصناف جميعا ما هو من الأشراف ومنها ما هو من العلامات ومنها ما هو من الإمارات ومنها ما هو من الآيات.

وقد قسم بعض العلماء الأشراف إلى ما هو بعيد فى الزمان عن الساعة وأطلقوا عليه الأشراف الصغرى، وما هو قريب جدا من الساعة أى ما يحدث قبل وقوعها مباشرة وبزمن قصير وأطلقوا عليه الأشراف الكبرى.

ونعزف عن هذا التقسيم لأسباب ونلتزم بما ورد منسوبا فى الكتاب والسنة إلى الساعة ونصِّف مقدماتها على أساسه، أى نصنفها إلى الأشراف والامارات والأعلام والآيات.

أما عن لفظ الأشراف فهو أعمها حتى أنه يكاد يتضمن بعضها، وقد ورد هذا اللفظ في قوله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾ [محمد/ ١٨] ومجىء الأشراف متمثل في بعث النبي المصطفى الخاتم ﷺ، لأن بعث آخر الرسل والأنبياء ونزول آخر الكتب دليل على قرب انتهاء أجل البشرية، فهو شرط من أشرافها ومن هذا قوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر/ ١] فانشقاق القمر الذي حدث في العهد المكي شرط من أشرافها. ويمكننا أن نتيقن من أن بعث المصطفى الخاتم ﷺ دليل على قرب انتهاء الدنيا إذا علمنا أن عدد الأنبياء من لدن آدم إلى خاتمهم صلى الله عليهم جميعا وسلم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا (فمن أبي ذر قال: قلت يا رسول الله كم المرسلون؟ قال: ثلاثمائة وبضعة عشر جما غفيرا) (١) وفي رواية أبي أمامة (قال أبو ذر: قلت يا رسول الله كم وفاء عدة الأنبياء؟ قال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جما غفيرا) (٢) فعمر الإنسان في الأرض طويل جدا، ربما يُقدَّر بعشرات الألوف من السنين إن لم يكن بمئات الألوف من السنين، ومن ثم قال النبي ﷺ (بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ) وأشار بإصبعيه الشريقتين السبابة والوسطى. وقال ﷺ (بُعِثْتُ فِي نَسَمِ السَّاعَةِ) (٣) وعن ابن عمر رضی الله عنهما (قال: كنا جلوسا عند النبي والشمس على قُعَيْقَعَانَ*) بعد العصر فقال: ما أعماركم في أعمار من مضى، إلّا كما بقي من النهار فيما مضى منه) (٤).

وقال ﷺ أيضا (بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ جَمِيعًا، إِنْ كَادَتْ لَتَسْبِقَنِي) (٥).

هذه الأحاديث جميعا تفسير لقوله تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾

(٢٠١) رواه أحمد في المسند / ح ٢١٠٩٦، ح ٢١٨٤٥.

(٣) ذكره الألباني في الصحيحة (٤٤٨/٢) ح (٨٠٨) وعزاه للدولابي في الكنى وابن منده في المعرفة.

(*) جبل بجنوب غرب مكة.

(٤) مسند الإمام أحمد - / ح ٥٩١١.

(٥) مسند الإمام أحمد - حديث بريد الأسدي / ح ٢٢٤٩٧.

[الأحزاب/ ٦٣] ولقوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء/ ١]. ولقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾ [٦-٧ المارج].

فى كل هذه النصوص المنزلة تكمن حقيقة أن الزمن خادع إذ يوهم تسلسله ودوام تتابعه فى حس البشر باستبعاد النهاية كأنه أبدي، فإذا انقضى الأجل أدرك الإنسان الفرد على الفور أنه لم يعش غير ساعة، أى أنه لم يلبث فى الدنيا إلا وحدة زمنية واحدة، تلك هى خدعة تكرارها ودورانها. وكما يكون هذا إدراك الفرد بعد موته، تدركه البشرية جمعاء يوم البعث ﴿كَانَهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ بَلَاغٌ﴾ [الأحقاف/ ٣٥] بل إن المجرمين يقسمون على أنهم لم يلبثوا غير ساعة.

إن انتهاء الدنيا أمر حتمى، ومن ثم فإن الساعة، التى هى لحظة إنتهائها، آتية لا محالة، قال تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ [طه/ ١٥]

وحيث إن أشرط الساعة هى الأحداث التى تسبقها، وهى مما علمناه من الوحي القديم والآخر، وهى تدل دلالة يقينية على قربها ومن ثم لم يقل سبحانه وتعالى (أخفيها) بل قال: (أكاد أخفيها) إشارة إلى الأمارات التى تدل على قرب وقوعها.

(٢٣) تصنيف العلماء الأشرط إلى صغرى وكبرى حسب البعد والقرب الزمنى من الساعة ومبررات رفضى لهذا التصنيف:

ومن ثم فلفظ الشرط يصدق على كل الأحداث التى حدثت وتحدث وستحدث منذ بعث النبي ﷺ إلى أن تقوم الساعة باعتبار أنها جميعا مقدمات وسوابق وأوائل لها، إلا أنه يخص ما هو بعيد عنها فى الزمن أى منذ بعث النبي ﷺ وهجرته ودخول الناس فى دين الله أفواجا، ثم الأحداث التى تلت وفاته ﷺ بين الصحابة ثم بين التابعين، ثم الأجيال التى توالى بعد هذا الجيل، هذه الأحداث المتسلسلة والمتتابعة بعضها على أثر بعض كل هذه الأحداث هى الأشرط الصغرى عند بعض العلماء. ولكن المصطلح الأدق اعتبارها أشرطا واعتبار القرب من الساعة علامات وأمارات وآيات.

فالأشراط تختص بما هو بعيد من الساعة من الأحداث، أما ما هو قريب منها فقد ورد ذكره في الأحاديث بأسماء أخرى، وهى العلامات والامارات والآيات.

وقد خلط العلماء بين هذه المصطلحات فلم يُمَيِّزُوا بينها، ولم يفرقوا بين استخداماتها كما وردت فى الكتاب والسنة. ومن ثم لجأوا إلى التفريق بين ما هو بعيد منها وما هو قريب. بأن الأولى هى الأشراط أو العلامات الصغرى، وأن القريبة من زمن الساعة هى الأشراط أو العلامات الكبرى.

ولكن بتقصى استخدام هذه الكلمات مضافة للساعة فى الكتاب والسنة توصلتُ - بفضل الله تعالى وحده - إلى التمييز بين استخداماتها نتيجة لبروز فروق فى هذه الاستخدامات متوافقة مع الفروق اللغوية بينها، تجعلنا نستغنى عن تصنيف الأحداث السابقة للساعة إلى صغرى وكبرى، لما لهذا التصنيف الثانى من لبس وغموض وتعارض، لأن من الأحداث البعيدة عن الساعة ما يوصف بالعظمة والأهمية التاريخية القصوى، ومع هذا فهو يوصف بأنه من الأشراط الصغرى مثل موت رسول الله ﷺ الذى هو أعظم مصيبة فى حياة الأمة إلى قيام الساعة، ومثل فتح بيت المقدس الذى يعتبر من أعظم أحداث التاريخ الإسلامى، وهو بلا شك إذا اعتبرناه من الأشراط، فهو من الأشراط العظمى، رغم أنه بعيد زمنيا عن الساعة، كما أن من الأحداث التى تسبق الساعة بزمن يسير، ما ليس له تأثير تاريخى يذكر ومن ثم لا يعد من العظمى أو الكبرى، وهذا وذاك يدل على أن هذا التصنيف غير دقيق وغير مطابق للواقع التاريخى لأحداث الأشراط، إذ ليس ثمة علاقة بين حجم الحدث وبين قرب أو بعده من الساعة والصَّغَر والكِبَر وصفٌ لحجم الشرط أو الحدث وليس له علاقة بالقرب والبعد أو بالعلاقة الزمنية بالساعة.

ولعل السبب فى تسمية الأحداث القريبة من الساعة بالكبرى هو اشتهار هذه الفترة الزمنية فى آخر عمر البشرية بما فيها من الآيات العشر، وبالفتن المهلكة وبالملاحم العظيمة، فاعتبروا هذه الأحداث أكبر وأعظم أثرا من غيرها، وهى وإن كانت عظيمة، إلا أن غيرها من أشراط الساعة المصاحبة لها من الأحداث الصغيرة

قليلة الأثر في حياة البشر وهي تعاصرها في الزمان، كما ثبت من أحداث التاريخ الإسلامي والعالمي بعد بعث المصطفى ﷺ ما هو عظيم وكبير الأثر في حياة البشر.

(٢٤) الفروق اللغوية والاصطلاحية بين الأشراف والعلامات والأمارات والآيات .-

لفظ الشرط هو المضاف الرئيسى للساعة حسب علمنا لأن ما ورد في القرآن الكريم في قوله: ﴿... فقد جاء أشرافها﴾ وأيضا ورد لفظ ﴿عَلِمَ للسَّاعَةِ﴾ أو ﴿عَلِمَ للسَّاعَةِ﴾ في قوله تعالى عن المسيح عليه السلام: ﴿وَأَنَّهُ لَعَلَّمُ السَّاعَةَ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ [الزخرف/ ١٦] وقرئت ﴿وَأَنَّهُ لَعَلَّمُ السَّاعَةَ﴾ بفتح العين واللام وكلاهما بمعنى الشرط والعلامة والدليل، لذلك استخدم كثير من العلماء لفظ علامات الساعة بدلا من أشراف الساعة، أو معها.

وكذلك ورد لفظ «الأمارة» مضافاً للساعة في حديث سؤال جبريل عليه السلام المصطفى ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان الذي جاء في آخره سؤال جبريل للنبي ﷺ (فأخبرني عن الساعة)؟.

قال: ما المستول عنها بأعلم من السائل.

قال: فأخبرني عن أماراتها - يعني أعلامها -؟

فقال: أن تلد الأمة ربتها...^(١) إلى آخر الحديث.

وفي رواية (فما أمارتها؟)^(٢).

فالأمارة هي العلامة. والأمارات هي العلامات أو الأعلام. وكلها أحداث تسبق الساعة وتدل على القرب الشديد لها.

(١) صحيح مسلم / ك الإيمان / ب بيان الإيمان والإسلام والاحسان ح ٥٩.

(٢) كتاب الإيمان لابن منته ح ١ حديث ٦ ص ١٣٢

كما ورد عن أهم وأخطر الأحداث التي تسبق الساعة مباشرة لفظ الآيات مضافاً للساعة في حديث الآيات إذ جاء فيه قوله ﷺ (إن الساعة لن تكون حتى تكون عشر آيات).^(١) إلى آخر الحديث.

والآية في اللغة هي العلامة، وهي الدليل الواضح القوي، ومن ثم أصبح لدينا أربعة مصطلحات كلها دلائل على الساعة: أشراط وأمارات وعلامات أو أعلام وأخيراً آيات الساعة. فما هو الفرق بين كل منها؟!

عند مدرسة رئيسية من مدارس اللغة لا مترادفات متطابقة في اللغة العربية بمعنى أن الألفاظ التي يظن البعض أنها مترادفات، ليست مترادفات إذ أن بينها فروقاً لغوية، لأنها، وإن اشتركت في جزء من المعنى، وهو أن كل واحد منها يدل على أن الساعة آتية، وأنها تقترب رويداً رويداً، إلا أن كل لفظ منها له، مع هذه الدلالة المشتركة بينها، ما يخصه من المعنى ومن الدلالة، لا يشاركه فيهما غيره.

ويمكن أن نتلمس هذه الفروق اللغوية بين هذه المصطلحات الأربعة من خلال استعمالها في الكتاب والسنة على النحو التالي:-

أولاً: الأشراف

ورد هذا اللفظ في قوله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾ [محمد/١٨] ومجىء الأشراف في الآية متمثل في بعث المصطفى الخاتم ﷺ لأن بعث خاتم النبيين الذي لا نبي بعده دليل على قرب انتهاء أجل البشرية، فهو إذن شرط من أشرافها لا تنتهي الحياة إلا بعد تحققه، ومعنى أنه تحقق، اقتراب الساعة.

فالأشراف تخص إذن ما هو بعيد وما هو قريب، لأن الشرط هو الذي يتوقف مجيء المشروط على حدوثه أولاً.

(١) صحيح مسلم ك/ الفتن وأشراف الساعة ب/ في الآيات التي تكون قبل الساعة/ ح ٧٢٣١.

ثانياً: الأمارات:

أمارات الساعة من الأشراف وقد ورد لفظ الأمانة في سؤال جبريل عليه السلام عن أمارات الساعة فجاء رد النبي ﷺ بذكر إثنين هما:

١ - أن تلد الأمة ربتها.

٢ - أن ترى الحفاة العراة رعاء الشاة يتطاولون في البنيان).

وهذان الحدثنان من السمات الحضارية والظواهر الاجتماعية التي تظهر وتستمر، الأولى - كما سنعلم هذا بعد - بإذن الله تعالى - من مظاهر التقدم الطبى والتقنى وفى مجال علم الأجنة وعلوم الحياة بصفة خاصة، والثانية أيضاً سمة حضارية فى مجال تقدم هندسة التشييد والبناء، ومن ثم فليست الأمانة من قبيل الأحداث التاريخية الفردية التي تحدث مرة ثم لا تعود بعينها، بل هى الظاهرة المتكررة وهى صبغة حضارية وسمة مدنية وظاهرة اجتماعية تقوم وتستمر، فهى وإن كانت من الأحداث السابقة على الساعة كالأشراف، إلا أنها تتميز عن الأشراف بأنها من أوائل الساعة، أى أنها تحدث بين يدى الساعة وتدل على القرب الشديد لها، لأن سؤال جبريل للرسول ﷺ كان أولاً عن موعد قيام الساعة بقوله (فأخبرنى عن الساعة؟)، قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل. قال: فأخبرنى عن أماراتها - يعنى أعلامها - فقال: أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاة يتطاولون فى البنيان).

قوله ﷺ: (ما المسئول عنها بأعلم من السائل) دليل على أن الاستفهام كان عن موعد وقوع الساعة ستها وشهرها ويومها.

ومن ثم فإن السؤال عن أماراتها هذا الذى جاء عقب هذه الإجابة إنما هو استفهام عن الأشراف التى تسبق وقوعها مباشرة أى عن أحداث آخر الزمان والعصر الأخير من عصور الدنيا.

وعلى هذا فالأمانة من أحداث آخر الزمان بعامة والذى يحمل السمات الحضارية والظواهر الاجتماعية منها بخاصة.

ثالثاً: العلامات

تحتمل علاقة الشرطية في اللغة التراخي بين الشرط والمشروط، كما تحتمل التابع والتوالى سواء بسواء، كأن تقول: إذا نزل المطر غزيراً جاء محصول الشعير وفيراً. أو تقول: إذا تعلم أكثر أبناء الشعب ازداد الوعي، وحدث الرخاء، فالأول على التراخي خلال الموسم والأخير على التراخي خلال الجيل أى عشرات السنين.

أما على التابع كأن تقول: إذا ارتفعت الشمس فى كبد السماء اشتدت حرارتها. أمّا العلامة فإنها إما أن تصاحب الحدث أو تدل على القرب الشديد لحدوثه فهى تتبعه كظله، لأن علامة الشيء معه أو قبله بقليل، فهى من هذا الوجه كالأمانة من حيث قربها الشديد للساعة، إلا أنها ربما تخص الأحداث الفردية دون الظواهر المتكررة. ومن ثم جاء تفسير أماراتها فى الحديث يعنى أعلامها. فالعلامات هى الأحداث الواقعة فى آخر الزمان والمنذرة بقرب وقوع القيامة، أو مجيء الساعة، وتصدق أكثر ما تصدق على أحداث تاريخية غير متكررة، أو ظهور شخصيات بعينها أو حدوث فتنة معينة، مما جاء وصفه فى النصوص، أو ملحمة من الملاحم فى موضع معين، وبين أقوام محددين.

ومثل هذه الأحداث، إذا كانت فى آخر الزمان، فهى من العلامات، وإذا كانت فى العصور البعيدة عن الساعة فهى من الأشراف.

أما إذا كانت لها صفة الدوام والاستمرار والتكرار والاضطراد والزيادة مع تقدم الزمن كالسمات الحضارية والظواهر الاجتماعية والعادات السلوكية والأدوات والآلات الصناعية فهى من الأمارات.

رابعاً: الأمانة واللغوية بينها وبين العلامة:

قال ابن فارس فى معجم مقاييس اللغة (أمر: الهمزة والميم والراء، الأمر من الأمور، والأمر ضد النهى، والأمر بفتح الميم النماء والبركة، والمعلم، والعجب^(١)) وما يخص موضوعنا هما الأصلان الرابع والخامس أى المعلم والعجب وجمعه

(١) ابن فارس/ معجم مقاييس اللغة ج ١ ص ١٣٧.

أمارات أى معالم، فإذا أردنا أن نفرق بين الأمر وبين العلامة دخل عنصر العجب أى أن أمارات الساعة ليست معالم وعلامات معتادة معلومة، لأنها، وإن كانت عادية لأهل زمانها، فإنها غريبة لأهل الأزمنة السابقة ومثيرة للعجب أيضا لأهل زمانها. والمعلم ليس مجرد دلالة وإنما أكثر، لأنه عند العرب الموعد، قال ابن فارس (وأما المعلم الموعد فقال الخليل: الأمانة الموعد) (وقال الأصمعي: الأمانة العلامة تقول: اجعل بينى وبينك أمانة وأماراً) (يقال جعلتُ بينى وبينه أماراً ووقتاً وموعداً وأجلاً، كل ذلك أمانة، فالأمارات تجمع بين عدة عناصر فى معناها أهمها:

(١) الموعد، وهذا يدل على شدة قربها من الساعة حتى كأنَّ حدوث الأمانة هو موعد الساعة أو هو مجيء وقتها.

(٢) العلامة لأنها دليل عليها.

(٣) العَجَب بما يفيد أن الأحداث ستكون غريبة على الإنسان، لم يعهدها من قبل فالأمارات عجائب والدليل على هذا أن الرسول ﷺ أطلق على واحدة من هذه الأمور العجيبة التى تحدث فى آخر الزمان أمانة، فقد جاء فى حديث طويل عن أبى هريرة (قال النبى ﷺ إنها أمانة من أمارات بين يدى الساعة، قد أوشك الرجل أن يخرج فلا يرجع حتى تحدثه نعلاه وسوطه ما أحدث أهله بعده)^(١).

وما السوط والتعل الذى يحدثه بما فعل أهله من بعده إلا التليفون المنزلى السلكى والتليفون المحمول على التوالى فالرجل يخرج من منزله ويغيب عن أهله وأبنائه فى شغل أو فى سفر فيتصل بأهله ليطمئن عليهم وليسأل ماذا فعلوا وماذا أتموا وهكذا. فهو عليه الصلاة والسلام لم يطلق عليها علامات أو أشراط وإنما أطلق عليها أمارات وقال: (إنها ستكون أمارات بين يدى الساعة) أى أمارات كثيرة قبل الساعة مباشرة لأن ما يكون بين يدى الشيء أو الإنسان هو الذى أمامه مباشرة حتى يكاد يلتصق فيه، وذكر واحدة من هذه الأمارات. كمثال لها، فقال بالتليفون السلكى والمحمول. لأن السلكى هو أشبه بالسوط الذى هو أشبه بالسلك وفى آخره كتلة سميكة من الشعر.

(١) رواية الإمام أحمد فى مسنده عن أبى هريرة حديث ٧٩٧٧.

أما المحمول فهو أشبه ما يكون بالنعل. وهذا أمر عجيب أن يخبر النعل صاحبه بما فعل أهله من بعده، ومن ثم أطلق عليها أمارات ولم يطلق عليها آيات، لأنها ليست أمورا خارقة للعادة، بل هي أمور عجيبة بالنسبة لزمن الصحابة والذين من بعدهم، وهي عند أهل زمانها عجيبة لأول ظهورها ثم لا تلبث أن تصبح معتادة لا غرابة فيها وبخاصة بالنسبة للجيل الذي يتعامل معها منذ الطفولة.

وأطلق ﷺ على ولادة الأمة رُبَّتْها أمارَة، وكذلك تطاول الحفاة العراة في البنين لأنهما تعبران عن سمات حضارية في الطب والبناء كما سنرى هذا بعد بإذن الله تعالى في أمارات الساعة العلمية والتكنولوجية والطبية في الجزء الثالث من هذا الكتاب.

خامسا: الآيات والضروقات التي بينها وبين كل من الامارات والعلامات:-

الآية في اللغة هي الدليل وهي العلامة أيضا، والآية من القرآن الكريم كأنها العلامة التي تهدي إلى غيرها كأعلام الطريق المنصوبة لهداية المسافر حتى لا يضل الطريق، وهي أيضا آية، لأنها معجزة، لأن كل كلام الله آيات أي معجزات.

والآيات أيضا العبر، كقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَأَخُوهُ آيَاتٍ لِلْمُتَذَكِّرِينَ﴾ والآية المعجزة كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾ أي معجزة ولم يقل سبحانه عن عيسى وأمه عليهما الصلاة والسلام آيتين لأن مجيئه منها من غير أب هو المعجزة وهو حدث واحد مفرد.

المعنى الزائد في لفظ الآية عن الثلاثة: الشرط والعلامة والامارة هو أنها تحتل أن تكون أمرا خارقا للسنن مخالفا للطبائع والنواميس السارية في الكون والأشياء والأحياء كالمعجزات في حين لا تحتل الألفاظ الثلاثة الأخرى هذا العنصر.

ومن ثم لم ترد الأحداث التي أجراها الله تعالى على أيدي الرسل والأنبياء مخالفة للسنن باسم المعجزات، ولا مرة واحدة وإنما جاءت في القرآن الكريم باسم الآيات لأنها بالنسبة للقدرة الإلهية متساوية مع الأمور المعتادة سواء بسواء، وإنما هي

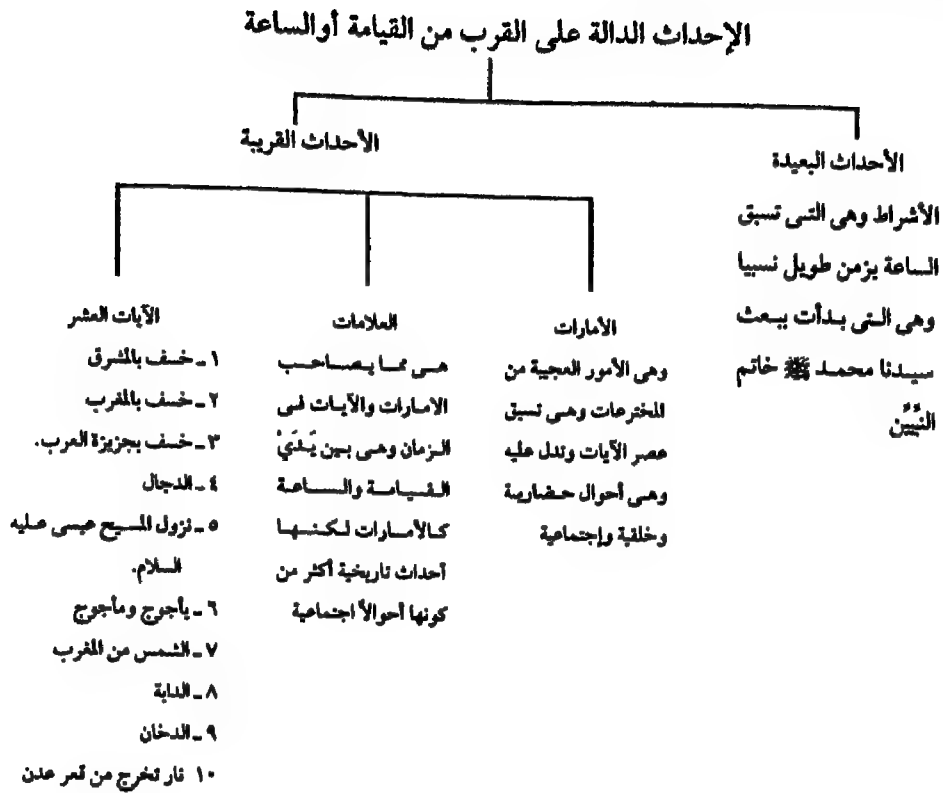
معجزات بالنسبة لاستطاعة البشر، قال تعالى: ﴿وَالَّذِي ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَلَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ﴾ [الأعراف/ ٧٣] فأطلق سبحانه على الناقة التي إنفتق عنها الجبل آية أى معجزة لأن معجيتها مخالف لسنن الحياة.

فالآيات المنسوبة للساعة إذن هى أشراط، ولكنها تتميز عن سائر الأشراط والامارات والعلامات بأنها خارقة لسنن الكون والحياة.

وهذا ما تؤكد الآيات القرآنية التى ورد فيها ذكر آيات الساعة، وكذلك الأحاديث النبوية التى نبأت عنها. قال تعالى ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ [الأنعام]. وذكر المفسرون أن تأويل قوله تعالى: (بعض آيات ربك) طلوع الشمس من مغربها، وخروج دابة من الأرض تكلم الناس، والدخان الذى يأتى من السماء، وهى التى يتغلق بحدوثها باب التوبة.

وقد سبق تفصيل الكلام عن الآيات العشر فى الجزء الأول.

ولبيان تصنيف^(١) الأحداث السابقة على القيامة الصغرى ثم الساعة والدالة عليهما نعرض هذا التصنيف.



(١) هذا التصنيف يختلف عن التصنيف الوارد في الجزء الأول ولكنه لا يتعارض معه وإنما يفصله ويوضحه وعلى كل حال فهذا التصنيف ينسخ الذي قبله.

الباب الثالث

حجب علم الساعة وكشف علم الأشراف

الفصل الأول: لا يعلم الساعة إلا الله تعالى وحده ولم يظهر أحداً

من خلقه على وقت وقوعها.

الفصل الثاني: الأصول الاعتقادية لأشراط الساعة أو علم

المستقبل في الكتاب والسنة.

الفصل الأول

لا يعلم وقت الساعة إلا الله تعالى وحده

٢٥- لا يعلم وقت الساعة إلا الله تعالى وحده ، ولم يظهر احداً من

خلقه على وقت وقوعها

(٢٥) لا يعلم الساعة إلا الله تعالى وحده، ولم يظهر احداً من خلقه على وقت وقوعها

لقد أكثر الناس من سؤال الرسول ﷺ عن موعد الساعة، فكان يرد عليهم دائماً بما يؤكد لهم أن هذا من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله وحده، وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف/ ١٨٧]. فسؤال السائلين هنا عن وقتها الدقيق بالتفصيل أى عن يوم وقوعها وفى أى ساعة ودقيقة ستقع، أو بعد كم عام وكم شهر وكم يوم من وقت سؤال السائل فإذا بالإجابة تؤكد أن رسول الله ﷺ، لا يعلمها وإن علمها عند الله تعالى وحده قال تعالى أيضاً ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب/ ٦٣] وقال تعالى أيضاً ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ (٤٢) فيم أنت من ذكرها (٤٣) إلى ربك منتهاها﴾ [النازعات/ ٤٤-٤٢].

فقوله سبحانه فى آية الأعراف ﴿لَا يُجَلِّيهَا﴾ أى لا يظهر ويكشف خفائها فى وقت وقوعها إلا هو سبحانه، وقوله تعالى ﴿وَتَقُلْتُ﴾ أى عظمت وجلت عن أن يعلم كل الخلق فى السموات والأرض وقت وقوعها (١) ويؤكد عدم معرفة رسول الله ﷺ وقت وقوعها قوله تعالى فى آية الأحزاب ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ أى ليس عندي، وإنما هو عند الله تعالى مما استأثر به من علم الغيب، فلم يطلعنى عليه، وجاء التأكيد الثانى لهذا المعنى فى قوله تعالى ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ أى أنت مثلهم فى هذا الأمر لا تدري وقتها الذى قد يكون قريباً وقوله تعالى: فى آيات النازعات ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا﴾ أى فيم أنت من استحضارها والنطق بوقتها وإعلامهم بها، فإن كل ذلك بعيد عنك، وليس فى مقدورك، وقوله تعالى ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا﴾ أى انتهى علم وقت حصولها إلى الله تعالى وحده

(١) تفسير الجلالين.

وقال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْثَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِيَ قَالُوا أَدْذُنَاكَ مَا مِنْ شَيْءٍ مِنْهُنَّ﴾ (فصلت/ ٤٧) وقال تعالى أيضاً ﴿وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (الزخرف/ ٨٥) ولا شك أن قوله تعالى ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾، وقوله تعالى ﴿وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ تأكيد بأن الله تعالى لا يشاركه في هذا الأمر غيره، فالآية الأخيرة جمعت ثلاث من خصائص الربوبية مما لا يجوز إلا لله عز وجل ولا يشاركه فيه غيره لا باسم الصفة ولا بحقيقة الصفة.

الأولى: أنه مالك السموات والأرض وما بينهما.

الثانية: أنه سبحانه عنده علم الساعة

الثالثة: إليه يرجع الناس جميعاً.

فإذا كان استئثار الله تعالى بعلم الساعة خاصة بين خاصيتين لله تعالى لا يشاركه فيهما غيره ولا يجوز أن يوصف بهما غيره حتى ولا على سبيل المجاز، وبأى معنى من المعانى، فإن علم الساعة هو من علم الله تعالى الذى يَخُصُّ وحده، ولا يشاركه فيه غيره مهما كان هذا الغير مقرباً إلى الله عز وجل، جاء فى الحديث الشريف: «خمس لا يعلمهن إلا الله ثم قرأ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤]» (١) وقال ابن كثير: «ولما جاء جبريل عليه الصلاة والسلام فى صورة أعرابى فسأل عن الإسلام ثم الإيمان ثم الإحسان أجابه ﷺ عن ذلك فلما سأل عن الساعة قال له: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، قال: أخبرنى عن أشراتها؟ فأخبره عن ذلك» (٢)

وقال القرطبى: «فاما وقتها فلا يعلمه إلا الله وفى حديث جبريل: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل» الحديث أخرجه مسلم.

(١) الحديث رواه البخارى وأحمد بن حنبل عن بريدة.

(٢) ابن كثير / النهاية، المجلد ٣٢

وكذلك روى الشعبى قال : « لقي جبريل عيسى عليه السلام فقال له عيسى : متى الساعة؟ فانتفض جبريل عليه السلام فى أجنحته وقال : ما المسؤول عنها بأعلم من السائل » (١)

وقد سألوا النبى ﷺ قبل موته بشهر عن موعد الساعة فقال: «تسألونى عن الساعة؟» وإنما علمها عند الله، وأقسم بالله ما على الأرض من نفس منقوسة تأتى عليها مئة سنة» (٢)

وحتى المسيح عيسى بن مريم ﷺ لايعلم موعد الساعة وهو من آيات الله العشر التى تقع بين يديها فمن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «لقيت ليلة أسرى بى موسى وعيسى، قال : فتذكروا الساعة، فردوا امرهم إلى إبراهيم ، فقال : لاعلم لى بها، فردوا الأمر إلى موسى فقال: لاعلم لى بها، فردوا الأمر إلى عيسى فقال: أما وجبتها فلايعلمها أحد إلا الله، وفيما عهد إلى ربي أن الدجال خرج ، قال : ومعى قضيبان، فإذا رأتى ذاب كما يذوب الرصاص، قال : فيهلكه الله» (٣).

ومعنى قوله: أما وجبتها فلايعلمها أحد إلا الله، أى: وقتها الدقيق الذى تقع فيها ولا تتخطأه بلحظة واحدة، وفى رواية ابن ماجه لهذا الحديث وهى رواية طويلة جاء فى نهايتها قول عيسى عليه السلام بعد ذكر إهلاك الله عزوجل لياجوج ومأجوج» فقيما عهد إلى ربي عزوجل: إن كان ذلك كذلك، فإن الساعة كالحامل المتم لايدرى أهلها متى تفجأهم» (٤)

والحامل المتم يكاد أهلها أن يتوقعوا مولدها على مدى الشهر او الأسبوع. وربما اليومين أو الثلاثة لكنهم يعجزوا عن معرفة الوقت واليوم الذى تلد فيه على سبيل التحديد الدقيق، أى على مستوى الساعة والدقيقة، والحديث يتضمن نفى العلم

(١) القرطبي / التذكرة ص ٦٢٤.

(٢) رواه مسلم، ك فضائل الصحابة، باب معنى قوله ﷺ: «على رأس مئة سنة لايقى نفس منقوسة».

(٣) مسند الإمام احمد ج ٥ ص ١٨٩.

(٤) ابن كثير / البداية ج ١ ص ١٩٠، وعزاه لابن ماجه، وعزاه إلى مسند الإمام أحمد من حديث ابن مسعود رضى الله عنه.

بتاريخ ووقت وقوع الساعة عن أولى العزم من الرسل محمد وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام جميعاً

لأن الرسول الخاتم ﷺ هو الذى يقص علينا ماكان من مذاكرتهم للساعة وسؤالهم عن موعدها، فلو كان نبينا الخاتم يعلم لأخبرهم، أما وقد انتهى الثلاثة إلى أن الله تعالى وحده، والنبى الخاتم ينقل لنا هذا المعنى مخبراً بإقرار المسيح بن مريم عليه السلام بعدم علمه بموعد الساعة وأنه لايعلم (وجبتها)، فإنه أيضا لايعلمها.

وفى النهاية لابن كثير: أما حينها فلايعلم به أحد إلا الله.

فهؤلاء الأربعة الكرام أولو العزم من الرسل، وهذا دليل نقلى آخر على أن علم الساعة استأثر الله به فى علم الغيب عنده ولم يطلع عليه أحد، لانبى مرسل، ولاملك مقرب. **قال ابن كثير فى التفسير: «فهذا النبى الأمى سيد الرسل وخاتمهم صلوات الله عليه وسلامه نبى الرحمة ونبى التوبة ونبى الملحمة والعاقب والمقضى والحاشر الذى تحشر الناس على قد ميه، ومع قوله فيما ثبت عنه فى الصحيح من حديث أنس وسهل بن سعد رضى الله عنهما: «بعثت أنا والساعة كهاتين»، وقرن بين أصابعه السبابة والى تليها» ومع هذا له قد أمره الله تعالى أن يرد علم وقت الساعة إليه، إذا سئل عنها فقال ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف/ ١٨٧). كل هذا يرفض وينقض نقضاً قاطعاً ما تردد عند بعض المتأخرين من أصحاب البدع الذين ردوا قولاً لادليل عليه من نقل أو عقل بل اجتمعت على نفيه أدلة النقل والعقل، وهذا القول هو أن الله تعالى قد أطلع رسوله وحبيه وخاتم رسله على موعد الساعة.**

وهذا مما شاع فى القرون المتأخرة التى ساد فيها الفكر الصوفى، وهذه القرون التى انتشرت فيها البدع الفكرية والاعتقادية والسلوكية، وهذه من البدع الاعتقادية، التى ساعد على انتشارها حب الأمة الشديد لنبينا الخاتم ﷺ.

ولكن هذا من الغلو فى الدين، وهو من الخطأ الفادح، ولايشفع له حب النبى ﷺ، لأنه مخالفة اعتقادية لكتاب الله تعالى ولسنة نبيه، وهكذا قد ثبت لنا

بالنصوص التى تنفى العلم بوقت الساعة عن كل الخلق: الرسل أولى العزم والملائكة المقربين عليهم السلام جميعاً حتى إسرائيل نافخ الصور الذى ينتظر الأمر بالنفخ فى الصور ولا يعلم متى يؤمر.

وعمّن وقعوا فى هذا الخطأ البرزنجى صاحب كتاب «الإشاعة فى أشراف الساعة» إذ قال عن وقت الساعة: «وإنها لا تنجى إلا بغتة كما قال تعالى ، وقد استأثر بعلمها، ولم يعلمها أحد من خلقه، وعلمها النبى ﷺ ونهاه عن الإخبار بها تهويلاً لشأنها وتعظيماً لامرأها» (١)

ولا شك أن هذا تناقض من البرزجى وقع فيه، وإذ صرح بأن الله تعالى استأثر بعلمها، ومع هذا واستثنى فصرح بأنه سبحانه أعلمها النبى ﷺ، من غير أن يأتى بالدليل الثقلى على هذا الاستثناء، إذ لا يصلح عند الأصوليين فى هذا المقام إلا الدليل الثقلى، ومن المحال وجود الدليل الثقلى الصحيح لأن الآيات القرآنية المحكمة والأحاديث الصحيحة دلت على أن الله تعالى حجب علم الساعة: أى وقت قيامها الدقيق: السنة والشهر واليوم والساعة والدقيقة والثانية عن كل خلقه، فمن زعم أنه سبحانه وتعالى استثنى الرسول ﷺ فعليه أن يأتى بالدليل من القرآن الكريم، وحيث أن هذا على فرض وجوده - يكون متناقضاً مع الآيات النافية للاستثناء، وحيث أنه من المستحيل التناقض أو الاختلاف بين آيات الذكر الحكيم، فإنه يستحيل أن يوجد نص من الوحى قرآناً أو سنة يفيد علم الرسول ﷺ بوقتها.

وقد قام العلماء بالردود المفصلة على هذا الزعم بالنقل والعقل منهم ابن القيم الذى قال: «وقد جاهر بالكذب بعض من يدعى فى زمان العلم، وهو يتشبع بما لم يعط، وأن رسول الله ﷺ، كان يعلم متى تقوم الساعة، وقيل له: فقد قال فى حديث جبريل: «المسؤول عنها بأعلم من السائل»، فحرفه عن موضعه وقال: معناه أنا وأنت نعلمها، وهذا من أعظم الجهل وأقبح التحريف، والنبى ﷺ أعلم بالله من أن يقول لمن كان يظنه أعزياً: أنا وأنت نعلم الساعة، إلا أن يقول هذا الجاهل أنه كان يعرف أنه

(١) البرزنجى/ الإشاعة لأشراط الساعة ص ٣، طبعة عبد الحميد أحمد صفى، القاهرة، بدون تاريخ

جبريل ورسول الله ﷺ هو الصادق في قوله قال «والذى نفسى بيده ماجاء فى صورة إلا عرفته غير هذه الصورة، وفى اللفظ الآخر «ماشبه على غير هذه المرة»، وفى اللفظ الآخر: «ردوا على الأعرابى فذهبوا فالتمسوه فلم يجدوا شيئاً»، إنما علم النبى ﷺ أنه جبريل بعد مدة ثم فى قوله فى الحديث : ما المسؤول عنها بأعلم من السائل شأنهما كذلك» (١)

وأما الإمام السيوطى رحمه الله فقد صرح بأن الساعة تقع فى خلال القرن الخامس عشر او نهايته على الأكثر استنباطاً من عدة نصوص.

قال هذا فى رسالة بعنوان «الكشف عن مجاوزة هذه الأمة الألف» (٢)، والننى حررها رداً على الحديث الذى شاع بين الناس حيثئذ وهو: أن النبى ﷺ لا يمكث فى قبره ألف سنة»، أى أن الساعة تقوم قبل ان يمر على يوم وفاته ألف سنة، فصرح السيوطى مجيباً السائل عن قوة هذا الحديث بأنه باطل لأصل له.

ثم استمرسل فى الرسالة ليثبت بالاثار والنصوص أن مدة هذه الأمة تزيد عن ألف سنة، وحيث أن السيوطى توفى عام ٩١١ هـ فإن هذا البيان الذى قدمه فى هذه الرسالة كان له الأهمية القصوى للمسلمين حيثئذ، بيد أن السيوطى لم يقتصر فى الرسالة على العنوان الذى وضعها له، إذ تعدى هذا الهدف إلى موضوع آخر تماماً هو ان الساعة، إن لم تكن قائمة قبل نهاية الألف، فإنها ستقوم قبل نهاية الخمسمائة بعد الألف.

ولاشك أن السيوطى قد اصاب فى استنباطه بأن عمر الأمة يتعدى الألف، بنا على أن الأشراف العظمى كالدجال ونزول المسيح عليه السلام وخروج الشمس من مغربها لم تحدث بعد، وهذه كلها عنده تقع قبل الساعة بمائة سنة على الأقل بدلالات بعض الآثار، ولما كان الزمن الذى كتب فيه السيوطى الرسالة هو آخر القرن التاسع، أو

(١) ابن القيم / المنار المنيف / تحقيق الشيخ أبو غدة ص ٨١.

(٢) مشورة فى كتاب / الحاوى للفتاوى / طبعة دار الكتب العلمية / بيروت ، ج ٢ ص ٨٦ / ٨٩.

أوائل القرن العاشر، أى السنين العشرة الأخيرة من حياته، ولم يكن قد خرج حينئذ المهدي أو الدجال فقد جزم بأن عمر الأمة يتجاوز الألف.

أما قوله بأنها لن تتعدى الخمسمائة بعد الألف ففيه نظر واحتمال الخطأ فيه وارد، بل الأرجح أنه أخطأ فى هذا الاجتهاد.

أولاً: لانه بنى الاجتهاد على استنباط من آثار غير صحيحة، إذ فيها ماهو ضعيف جداً، وفيها ماهو ضعيف، وفيها ما جاء بطرق صحيحة، ومعلوم ان مثل هذه الموضوعات الغيبية لا ينفع فيها إلا القوى، أو على الأقل الضعيف المنجبر.

ثانياً: أن اجتهاده الأخير هذا غير اجتهاده بالنسبة لموضوع الرسالة الأساسى الذى يدل عليه العنوان، وهو اجتهاد موفق اصاب فيه، وساعده على هذا معاصرته لنهاية القرن التاسع وبداية العاشر، إذ من المسلم به، أن ما كان مدعماً بالواقع التاريخى فى مسائل الأشراف وعلم المستقبل فهو من القوة بمكان، خصوصاً إذا كان تفسير النصوص صحيحاً، وكان فهم الواقع التاريخى صحيحاً أيضاً.

ومن ثم جزم السيوطى بأن هذه الأمة ستجاوز الألف، بينما الاحتمال الذى رجحه بأنها لن تتجاوز الخمسمائة بعد الألف، مع انه لم يجزم به، إلا أنه لم يستطع ان يقدم من الأدلة النقلية المباشرة ما يجعله مقبولاً عند اللاحقين له من العلماء، إما لضعف النقل، وإما لغموض الاستنباط وعدم وضوحه.

أما الأثر الذى اعتمد عليه السيوطى فهو ما قرّر أنه ورد من طرق: أن مدة الدنيا سبعة آلاف سنة، وأن النبي ﷺ بُعثَ فى أواخر السادسة أو القرون الأخيرة من الألف السادسة.

من ذلك مارواه الطبرانى فى الكبير عن الضحاك بن زمل الجهنى قال: رأيت رؤيا فقصصتها على رسول الله ﷺ فذكر الحديث، وفيه: إذا أنا بك يا رسول الله على منبر فيه سبع درجات وأنت فى أعلاها درجة، فقال ﷺ: أما المنبر الذى رأيت فيه سبع درجات وأنا فى أعلاها درجة فالدنيا سبعة الاف سنة، وأنا فى آخرها ألفاً.

وقد اختلف العلماء حول هذا الحديث، فقد أخرجه البيهقى فى دلائل

النبوة ورواه الطبراني في الكبير ورواه ابو جعفر ابن جرير الطبري في التاريخ موقوفاً على ابن عباس رضى الله عنهما من طرق صحيحة كما قرّر الطبري.

لكن الألباني حكم بأن الحديث موضوع، لكن ليس بالرواية السابقة فقد جاء في كتابه ضعيف الجامع الصغير حديث: «الدنيا سبعة آلاف سنة، وأنا في آخرها ألفاً، وهي رواية مختلفة عن رواية الطبراني.

ومن ثم فإن الحديث برواية الضحاك بن زمل رضي الله عنه قد لا يكون ضعيفاً جداً ولا حتى ضعيفاً فلا يلزم أن يكون موضوعاً كما قال الألباني عن هذه الرواية الأخيرة.

وعلى أي حال فإن السيوطي قد واجه نقداً شديداً من العلماء الذين أتوا بعده، وبخاصة نحن الذين عاصرنا مطلع القرن الخامس عشر، ولم يبعث المهدي، ولم يخرج الدجال بعد، ومعنى هذا أنه حتى لو بعث المهدي هذ العام أو خلال العقد الثالث من القرن الخامس عشر فإن الساعة بالضرورة لن تكون في نهاية هذا القرن، بل ربما تتجاوزها إلى القرن الذي يليه، أو الذي يلي القرن القادم، أو إلى ما شاء الله تعالى.

يَبْدَأُ ان ما يجب أن أسجله دفاعاً عن السيوطي رحمه الله تعالى، وإن كنت أرى خطأه أيضاً، هو أن اجتهد السيوطي في محاولة تحديد مدى من الزمان على مستوى القرن تقع فيه الساعة بناء على آثار استنبط منها هذه النتيجة، هو من الاجتهاد المشروع، لأنه لم يزعم أنه من الممكن معرفة الوقت الدقيق لوقوع الساعة، وإنما هو اجتهد فجزم بنفسى وقوعها قبل نهاية القرن العاشر، حسب الحديث الموضوع الشائع الذي قال عنه لأصل له، فدلل بالعقل وبالتنقل على بطلانه، وأتى بالأدلة على عدم وقوعها خلال الأربعة قرون التالية للقرن العاشر، وذكر احتمال توقع وقوعها في نهاية القرن الخامس عشر على الأكبر استنباطاً من آثار بعضها صحيح وبعضها ضعيف، فما دام لم يزعم إمكانية معرفة موعد قيام الساعة، وإنما زعم توقعاً بفترة قيامها خلال قرن أو عشرات السنين، فأرى أنه من الاجتهاد المشروع بناء على قوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ وبناء على قول المسيح عليه السلام في الحديث السابق ذكره

أن الدنيا بعد "أجوج" تكون كالحامل المتم لا يدري أهلها متى تفجأهم "فأهلها
يمكنهم أن يتوقعوا ولادتها في مدى معين من الزمان لاتعداه، وهذا ليس من قبيل
ادعاء الغيب، لكنه توقع قائم على استنباط، يصح إذا صحت المقدمات، وصحت
طريقة الاستنباط، ويخيب إذا خابت.

وعلى هذا فالسيوطي اجتهد اجتهداً مشروفاً وأخفاً، وهذا يرفع اللوم عنه
ويبرؤه مما وُصِفَ به بعض العلماء. أو بعض الكتاب من مدعى العلم.

وعلى كل حال مازال أمام قول السيوطي فرصة لتثبت صحته، وهي إذا ما تمت
بيعة المهدي عليه السلام خلال العشرين أو الثلاثين سنة الأولى من القرن الخامس
عشر الهجري فإن الحقيقة لن تبعد كثيراً عن قوله، وقد مضى حتى الآن قرابة الثمانية
عشر عاماً، وقد ظهر السفيناني الذي يسبق المهدي مباشرة مما يجعل فرصة ثبوت صحة
قوله رحمه الله قوية. والله تعالى أعلى وأعلم

الفصل الثاني

أهداف علم أشراف الساعة وفوائده

٢٦. فوائد علم أشراف الساعة

٢٧. أهم أهداف علم أشراف الساعة هو معرفة تسلسل الوقوع

للأحداث التي تدل عليها النصوص.

٢٨. الحكمة من حجب العلم بأزمة وقوع الفتن والملاحم

(٢٦) فوائد علم أشراف الساعة

يقف العلماء من قيام هذا العلم موقفين متعارضين:

الأول : الذين يؤيدون إمكانية قيام هذا العلم، وإمكانية تحقيق فوائده الى درجة كبيرة، حتى يمكن توقع الأحداث المقبلة على مدى المستقبل القريب او المستقبل البعيد، ويقدم هؤلاء حججاً كثيرة بدلولها على صحة موقفهم شرعاً.

بل يذهب البعض الى القول بوجوب إقامة هذا العلم، حتى يستفيد المسلمون من نتائجه في ميدان الصراع الحضارى والعسكرى الدائر بينهم وبين اعدائهم لأن النصوص الصحيحة، إذا لمجئنا في مطابقتها للوقائع التاريخية المعاصرة، يمكن ان تدلنا على الاحداث المقبلة وتعطينا تصوراً قريباً من صورة الصراع وتفاعلاته المستقبلية، أو على الأقل ترسم لنا خطوطه العريضة التى تمكن أصحاب القرار من اتخاذه على بصيرة. وأهم هذه الأدلة هي:

١- دلت النصوص على أن القرآن الكريم والسنة فيهما خبر من قبلنا من الأمم ونبأ من بعد جيل الصحابة، وما كتب الفتن وأشراف الساعة وأبوابها في كتب السنة إلا برهاناً ساطعاً على ذلك، وحيث ان هذا قسم عظيم ورئيسى من اقسام الوحي: قرآناً وسنة، وحيث أن الرسول ﷺ كان يستعيذ بالله من علم لا ينفع، وتوجيهاً لنا حتى نحرص على النفع من كل علم، فإن نفع هذا القسم الرئيسى من الوحي إنما يتمثل في توقع احداث المستقبل القريب ومعرفة الأعداء الحقيقيين الذين يشكلون الخطر الأكبر على المسلمين في صراعاتهم معهم.

فمن يرفض قيام هذا العلم فكأنما يحرم المسلمين من فائدة هذا القسم من الوحي، ويجعله علماً بلا نفع، وهو الأمر الذى استعاذ رسول الله ﷺ منه، لانه يصبح يوم القيامة حجة على العلماء، وليس حجة لهم.

وليس هذا دليلاً على جواز قيام هذا العلم فحسب، بل هو دليل على

أنه من الفروض أو الواجبات الكفائية على الأمة، أى على العلماء منهم، وبخاصة اصحاب هذا التخصص.

٢- أن دراسة هذه النصوص ومطابقتها على الوقائع الماضية، لمَّا يزيد الإيمان فى قلوب المسلمين، حيث يعتبر مطابقة الحديث الشريف على واقعة من الوقائع التى حدثت كما نص عليها الأثر الشريف معجزة جديدة تضاف الى معجزات النبي ﷺ وبرهاناً جديداً على صدق نبوته، ومن ثم يصبح من الواجب على العلماء متابعة أحوال الأزمنة السابقة عليهم وأحداث زمانهم وفى نفس الوقت عليهم مراجعة الكتاب والسنة والتأمل فى نصوصهما وتدبر معانيهما لمطابقة هذه النصوص على الوقائع التاريخية والأحداث المعاصرة، فإذا قام علماء كل جيل بذلك ظلت السنة متجددة فاعلة مؤثرة من بعده إلى أن يأتى أمر الله وهو مما يهدى به الله سبحانه قلوباً جديدة الى الإسلام ويزيد به المؤمنين إيماناً

٣- إن محاولة توقع أحداث المستقبل القريب بناء على دراسة منهجية جادة وموفقة وبأدلة علمية وبراهين أصولية يقبلها أهل هذا العلم، أو العلماء بعامه، ليس ضرباً من الرجم بالغيب أو الكهانة أو التنجيم حتى يرفضه بعض العلماء ، ولايجيزون هذه المحاولات أوقيام هذا العلم. مادام الهدف المستقبلى قائم على توقع وترقب الحدث من غير تحديد لموعده أو زمنه.

إن أكثر حجج الرافضين تدو حول المحاولات التى اخفقت فى التوقع لحدث معين فى زمن معين، هذه المحاولات التى لم تنقطع خلال تاريخ الإسلام كله.

من ذلك مثلاً: مَنْ توقع من العلماء أن المهدي سيخرج على رأس الثلاثمائة بعد الألف، وقد بنى توقعه على فهم معين للنصوص وترتيب محدد عنده للأحداث، وغيره توقعه على رأس القرن الرابع عشر الهجرى، ولكن خيبة هذا التوقع وذاك أوغيرهما لاتنفيد بطلان المحاولة أوعدم جواز قيام هذا العلم وتحريم أوكرهه البحث فيه، وما دام البحث بعيداً عن الموعد المحدد لقيام الساعة، وعن كل

مأثبات أن الله تعالى استأثر بعلمه، فللمجتهد المخطئ أجره، وللمصيب منهم أجران، لأنه علم مشروع وله فائدته للأمة.

إلا أن هذه المحاولات كانت تتم بصورة فردية حيث لم يقدّم للمستقبل علم مستقل له أصوله وأساسه وأهدافه ومناهجه، الأمر الذي كان له أثره في نتائج هذه المحاولات.

٤- إن أهم مسائل هذا العلم وقضاياها هي ترتيب الأحداث التي تضمنتها النصوص بحسب وقوعها في الزمان، لأن الوصول إلى هذا الترتيب الصحيح، يجعل التوقع ممكناً، بل وصحيحاً إلى درجة كبيرة، وهذا يحتاج إلى دراسة للنصوص لاستبعاد الضعيف جداً أو الموضوع منها ثم تقوية ما يمكن تقويته من الضعيف ووضعه في القائمة للاسترشاد به وسداً للثغرات، ثم تصنيف هذه النصوص، ثم ترتيبها بحسب الزمان منذ وفاة رسول الله ﷺ إلى العصر الراهن، ثم ترتيب ما تبقى منها حسب توقع حدوثه في المستقبل إلى قيام الساعة، وذلك غير محاولة تحديد موعد محدد للحدث أي محاولة معرفة يوم الحدث وشهره وسنته، وأما القول بأنه أت وسيحدث في المستقبل القريب فهذا جائز.

الثاني : وهو موقف العلماء الراضين للبحث في أمور المستقبل وتوقع الأحداث زعماً منهم أن هذا رجم بالغيب، وأنه مما يحدث الفتنة ويشير الاضطرابات في نفوس المسلمين، والتواكل أحياناً والتهور أحياناً أخرى.

وقد تقدم في حجج الفريق الأول الرد على بعض هذه المزاعم.

(٢٧) أهم أهداف أشراف الساعة هو معرفة تسلسل الوقوع للأحداث التي تدل عليها النصوص.

لقد وردت أشراف الساعة منجمة ومتفرقة خلال آيات القرآن الكريم، كما جاءتنا من خلال أحاديث الرسول ﷺ، من غير تحديد أو بيان لزمان الأحداث اللهم إلا من بعضها الذي اشتمل على ما يفيد حدوثها في آخر الزمان، أو بين يدي الساعة، أو في آخر الأمة كما أسلفنا، وهذا بيان عام لا يتضمن ذكراً للشهر أو للعام، ولا لليوم، حتى نص ابن كثير في النهاية على أن الآثار المتضمنة لوقوع حدث ما في سنة محددة غير صحيحة^(١)

وأما خطبة رسول الله ﷺ الطويلة التي استغرقت نهراً كاملاً من بعد صلاة الصبح حتى أذان المغرب، تلك التي لم يتوقف عنها إلا لصلاة الظهر وصلاة العصر، فلم تصلنا بنفس السياق و بنفس الترتيب و بنفس التفاصيل التي عرض بها رسول الله ﷺ أحداث الدنيا منذ بدء الخلق إلى نزول أهل الجنة منازلهم في الجنة ونزول أهل النار منازلهم فيها، أى أنه ذكر فيها ما كان حتى عصره ثم ماسيكون من بعده. ﷺ.

وعلة عدم وصولها إلينا كما ذكرها رسول الله ﷺ بالإضافة إلى أن هذا مراد الله تعالى لحكمة جليلة - هي أنه لم يكن في استطاعة أحد من الصحابة متابعة الخطبة من أولها إلى آخرها متابعة واعية بقظة تمكنه من حفظها كما سمعها لأن هذا فوق طاقة البشر، فمن تابعها منهم تعذر عليه أن يحفظها كما سمعها بتتابع أحداثها.

يدل على هذا قول حذيفة رضى الله عنه في الحديث المتفق عليه كما ورد بلفظ البخارى رحمه الله: «لقد خطبنا النبي ﷺ خطبة ماترك فيها شيئاً إلى قيام الساعة إلا ذكره، علمه من علمه وجهله من جهله، إن كنت لأرى الشيء قد نسيت فأعرفه كما يعرف الرجل الرجل إذا غاب عنه فرآه فعرّفه»^(٢)

وروى الإمام احمد بسنده عن ابى زيد الأنصارى قال: «صلى ﷺ الصبح ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر ثم نزل فصلى العصر ثم صعد

(١) النهاية فى الفتن والملاحم مجلد ١ ص ٢٩

(٢) عن إتحاف الجماعة للتوحيدي مجلد ١ ص ١٣

المنبر فخطبنا حتى غابت الشمس فحدثنا بما كان وما هو كائن فأعلمنا أحفظنا» (١)

وروى البخارى فى الصحيح بسنده عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: «قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً فأخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم، حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه» (٢).

وروى أبو داود فى سننه عن حذيفة قال: «قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً فما ترك شيئاً يكون فى مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدثه، حفظه من حفظه ونسيه من نسيه، قد علمه أصحابى هؤلاء، وإنه ليكون الشئ فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه، ثم إذا رآه عرفه» (٣). ثم قال ابن كثير رحمه الله تعالى بعد أن أورد هذه الروايات الثلاث: وهكذا رواه البخارى من حديث سفيان الثوري، ومسلم من حديث جرير كلاهما عن الأعمش به.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن على بن زيد عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال: «صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة العصر ذات يوم، ثم قام فخطبنا إلى أن غابت الشمس فلم يدع شيئاً مما يكون إلى يوم القيامة إلا حدثنا، حفظ ذلك من حفظه ونسى ذلك من نسيه، فكان مما قال: يا أيها الناس إن الدنيا خضرة حلوة وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء، إلى أن قال: وقد دنت الشمس أن تغرب، وإن ما بقى من الدنيا فيما مضى مثل ما بقى من يومكم هذا فيما مضى منه» (٤).

ومع تضعيف على بن زيد أحد الرواة فى سند هذه الرواية الأخيرة إلا أن ابن كثير قبله لوجود ما يقويه فى روايات صحيحة أخرى.

وما يمكن تسجيله من ملاحظات على هذه الروايات مايلي:

١- ورد فى الرواية الأخيرة أنه قام عليه الصلاة والسلام فيهم بعد صلاة العصر

(١) عن النهاية لابن كثير، مجلد ١ ص ٢٧.

(٢) صحيح البخارى ك/ بدء الخلق.

(٣) عن ابن كثير فى الفتن والملاحم، مجلد ١ ص ٢٨.

(٤) نفس المصدر ص ٢٨

بينما جاء فى الرواية الأولى أنه قام فيهم بعد صلاة الصبح ، وليس فى هذا أدنى اختلاف أو تعارض، إذ قد يكون بسبب أن الصحابى الجليل صاحب الرواية الأخيرة وهو أبو سعيد رضى الله عنه لم يحضر من هذا المقام إلا ما كان منه بعد صلاة العصر فروى ما سمعه فيه، وقص ما شاهده، بينما أصحاب الروايات الأخرى حضروا المقام من اوله اى بعد صلاة الصبح،

يؤكد هذا أنهم إتفقوا على ان موضوع الخطبة: هو جميع الأحداث منذ بدء الخلق من حيث أن رواية ابى سعيد ذكرت ما سيكون الى يوم القيامة وهو الجزء الذى حضره من هذا المقام العظيم للنبي ﷺ

٢- جاء فى الرواية الأولى استمراره ﷺ من بعد صلاة الصبح حتى المغرب قائماً لم ينزل من مقامه إلا للصلاة ، بينما لم يأت هذا صريحاً فى الرواية الثانية والثالثة، وربما جاء تلميحاً فى قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه: «قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً».

وفى قول حذيفة رضى الله عنه: «قام فينا رسول الله ﷺ قائماً» ، وهذا وذاك تعريبان عن طول القيام وعظمة المقام وأهمية المقال، فهو بمثابة الإجمال لما جاء تفصيلاً وفى رواية حذيفة، أى الرواية الأولى وهذا وذاك لا يتعارض أو يختلف معها.

٣- أفادت جميع الروايات أن هذه الخطبة كانت طويلة حيث يصح القول بأنها غملاً أسفاراً، ومن ثم لم يستطع بعض الصحابة، مع كثرة المستمعين، ولا حتى واحد منهم أن يحفظ هذا الحديث العظيم الطويل كاملاً بتفاصيله وترتيب أحداثه التى هى أحداث الكون منذ نشأته الى يوم الخلود.

يدل على هذا عبارة: حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه، وكذا عبارة فأعلمنا أحفظنا، وهى بنفس معنى العبارة الأولى وتدل على أن الأكثر علماً بهذه الأشراف هو الأقوى حفظاً وذاكرة.

ولكن الذى نود الوصول إليه هو أنه لم يثبت عن احد من الصحابة انه روى هذا

الحديث كاملاً منفصلاً مرتباً كما سمعته من رسول الله ﷺ فلم يصلنا بهذه الصورة
لا في خبر متواتر أو خبر آحاد، وإنما وصلنا مفرداً مجزئاً موزعاً على ما قسمه العلماء
من بعد أبوابها وفصولاً لأشراط الساعة وأحداث الفتن والملاحم .

ومن ثم تصبح مسألة ترتيب هذه الأحداث حسب تسلسل وقوعها في الزمان من
أهم وأخطر مسائل أشراط الساعة على الإطلاق، ومن المهام والواجبات الكفائية
على الأمة تلك التي سيحاسب عليها العلماء والمفكرون بصفة خاصة.

(٢٨) الحكمة من حجب العلم بأزمنة وقوع الفتن والملاحم والأشراط وقضايا الأحداث والأسماء الحقيقية لشخصيات الفتن.

لا يقع شيء أو حدث أو أمر: عَظُمَ وَكَبُرَ حَقْرُ أَوْ صَغُرَ فِي الْكُونِ إِلَّا بِقَدْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَمُشِيئَتِهِ وَعِلْمِهِ، وَمِنْ ثَمَّ فَمَا مِنْ شَيْءٍ يَحْدُثُ إِلَّا وَيَكُونُ وَفِي الْحِكْمَةِ الْإِلَهِيَّةِ الْخَاصَّةِ مِنْ حَدُوثِهِ، وَفِي نَفْسِ الْوَقْتِ يَكُونُ مَتَمَشِّياً مَعَ الْحِكْمَةِ الْإِلَهِيَّةِ مِنْ خَلْقِ الْكُونِ عَامَةً وَمُتَوَافِقَةً مَعَهَا وَمُحَقِّقَةً لَهَا أَيْضاً.

والحكمة الإلهية العامة أو الكلية من خلق السموات والأرض والإنسان هي الابتلاء، كما أوضحنا هذا من قبل بأدلته، والحكمة من نزول الوحي السماوى على رسل الله تعالى وأنبيائه هي توصيل الهدى الربانى لكى يفوز الذين يتبعون هدى الله تعالى بالجنة، فالخلق عطاء إلهى دنيوى وأخروى معاً.

أما العطاء الإلهى فى الدنيا فهو لتحقيق الابتلاء، وأما العطاء الإلهى فى الآخرة فهو للجزاء، ومن هدى الله تعالى ورحمته بالناس عامة وبالمؤمنين خاصة حجب تفاصيل الغيب والمستقبل عنهم، وكذا أحداث الابتلاءات التى منها الفتن، والمراحل الرئيسية التى يمر بها الوجود البشرى وسيجتازها كل الناس، وسواء الذى سيجتازه الإنسان: فرداً أو جماعة أو نوعاً وذلك لان الإخفاء التام المطلق يحرم الناس أو المؤمنين من خير عظيم، هذا الخير يتمثل فى تثبيت إيمانهم بالغيب واليقين بالساعة، وكما يحرمهم الإخفاء المطلق من أهم فوائد الهدى الربانى، وهوتوقى الوقوع فى الفتن، والردى والخسران فى الابتلاءات، من ذلك على سبيل المثال إخفاء موعد موت العبد عنه، لأن موته هو ساعته الخاصة، وكذلك إخفاء المكان الذى يموت فيه، وكذلك إخفاء ما سيكسبه فى مستقبل أيامه حتى الغد الذى هو اقرب الأيام إلى حاضره، لأن إخفاء هذا كله من أهم ضرورات تحقيق الابتلاء قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرَى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرَى نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾

ولكن فى نفس الوقت تحدث لهذه النفس التى حجب الله تعالى عنها متى وأين تموت، وماذا تكسب فى المستقبل، تحدث لها علامات وإمارات وأشراط تدل على قرب انتهاء الأجل منها الشيخوخة مثلاً، أو حادث يطرأ يؤثر على صحته، وبالنسبة للمؤمن فقد ثبت أن الله تعالى يَمُنُّ عليه بإعلامه بقرب الأجل بالمبشرات وهى الرؤيا الصالحة يراها أو ترى له، فيتوقع لقاء الله تعالى، ونفس السُّنة التى تحكم علاقة الفرد بالمستقبل تحكم علاقة الإنسان النوع بالمستقبل وبالساعة العامة أيضاً.

لقد أخفى الله تعالى موعد الساعة، فلا يعلمها غيره سبحانه وتعالى، فى نفس الوقت أعطى للمؤمنين عن طريق الوحي والنبوة علامات متمثلة فى أحداث رئيسية وشخصيات يدل ظهورها على قرب أجل الدنيا وقرب قيام الساعة.

فالحكمة من إخفاء موعد الساعة علاوة على أنه من العلم الذى خص الله تعالى به نفسه، هى الابتلاء حتى يؤمن مَنْ يؤمن عن بينة، فينال الثواب برحمة الله تعالى وفضله، ويكفر من يكفر عن بينة، فينال الجزاء بعدل الله تعالى، ففى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ حجب لهذه الخمس فلا يعلمهن إلا الله عز وجل ، ومع حجبه سبحانه علم الساعة عن جميع خلقه فإنه عز وجل لم يخفيها عنهم إخفاء مطلقاً، قال تعالى ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ (طه: ١٥) . وذلك لأن إطلاق الإخفاء متعارض مع الهدى الربانى، ومع مهمة النبى باعتبارها نذيراً وبشيراً وهادياً، ومن ثم قال تعالى ﴿أَكَادُ أَخْفِيهَا﴾ وفى هذا دلالة على تفضل الله تعالى على عباده بقدر من الإعلام بها متمثلاً فى الأخبار بسوابقها ونذرها وعلاماتها التى تدل على قربها، وهذا مما انزله الله تعالى على جميع رسله وأنبيائه، وفى جميع كتبه فما من نبى إلا حدث قومه عن اليوم الآخر، وعن الساعة وعن أهم أشراطها. فالحكمة من الإخفاء غير المطلق ظاهرة، والحكمة من الإعلام المقدر المحدود ظاهرة أيضاً.

أما الحكمة من وصول أشراط الساعة بما فيها من الفتن والملاحم بغير الترتيب

الزمنى لحدوثها فهي وثيقة الصلة أيضاً بحقيقة الابتلاء، وكذلك هي رحمة من الله بالمؤمنين، فلم يخبرنا الله تعالى في كتابه، ولم يخبرنا رسول الله ﷺ في سنته من هذه الأخبار إلا بالقدر الذى نهتدى به، ومنع عنا من التفاصيل أو الأوقات والأزمان ومن الأسماء الحقيقية لشخصيات الفتن التاريخية ما يضر الناس معرفته، وأخبر من مجمل الأحداث ما تنتفع به، ورَمَزَ لنا عن الأشخاص ما يمكن أن يعلم به العلماء أو الفقهاء عنهم ما يكتُمونه ولا يذيعونه إلا بقدر ما يمنع ضلال الناس وتهافتهم على الباطل وافتتانهم به.

لذا: فإن من أخبار الأحداث والفتن ما صرح به الرسول ﷺ لصحابته مثل امير المؤمنين على بن ابن ابى طالب وحذيفة بن اليمان وأبى هريرة رضى الله عنهم جميعاً، ولكنهم لم يصرحوا بكل ما علموا أو سمعوا من رسول الله ﷺ، إلا بقدر محدود مراعاة للظروف والأحوال وتحسباً للنتائج المترتبة على هذا بين عامة الناس.

يدل على هذا ما جاء فى كنز العمال: عن حذيفة قال: «لو حدثتكم ما أعلم لافترقم على ثلاث فرق: فرقة تقاتلنى، وفرقة لاتصرنى، وفرقة تكذبنى» (١).

كما عبر عن هذا المنهج فى الإبداء والإخفاء من حديث الرسول ﷺ فقال حذيفة: «ضرب رسول الله ﷺ أمثالا واحدا وخمسة وسبعة وتسعة وأحد عشر، وفسر لنا منها واحداً، وسكت عن سائرهما فقال: إن قوماً كانوا أهل ضعيف ومسكنة فقاتلوا قوماً كانوا أهل حيلة وعداء، فظهروا عليهم واستعلوهم وشَلَطُوهم فأسخطوا ربهم عليهم» (٢). وقد تحقق هذا الحدث بإستيلاء اليهود على فلسطين والقدس، ولقد كانوا أهل ذلة ومسكنة وضعف، وكان المسلمون أهل حيلة وعداء فانقلب الحال وظهر اليهود على العرب استعلوهم وأذلّوهم واسخطوا ربهم عليهم، فإخفاء أنهم اليهود فى هذا الحديث له حكمة عظيمة وهى حتى لا يترك المسلمون الجهاد فى معاركهم ضد اليهود قائلين أنهم سيهزموننا وردت بهذا السنة فالحكمة من الإخفاء واضحة كما أن التفسير لهذا المثل لم يأت بتصريح وتوضيح بقدر ما أتى بتلميح

(١) الشيخ على التلى الهندي/ كنز العمال فى سنن الأتوال والأفعال، مجلد ١١ ص ٢٢٧، حديث رقم ٣١٣٢١ مؤسسة الرسالة.

(٢) نفس المصدر والصفحة، حديث رقم ٣١٣٢٢

وتكنية وعلامات يمكن ان يفهمها خاصة العلماء والفقهاء دون عامة القراء والدارسين.

وبالنسبة لشخصيات الفتن وقادة الفرق فقد كان حذيفة يعرف اسماءهم رضى الله تعالى عنه، كما كان يعرف أسماء المنافقين، لكنه مأمور بان لا يصرح بها او يذكرها بأعيانها، يدل على هذا ما اخرج نعيم بن حماد فى الفتن بسنده عن حذيفة بن اليمان قال: «ما من صاحب فتنة يبلغون ثلاثمائة إنسان إلا ولو شئت أن أسميه باسمه واسم أبيه ومسكنه إلى يوم القيامة، كل ذلك مما علمنيه رسول الله ﷺ قالوا: بأعيانها؟ قال: أو أشباهها يعرفها الفقهاء، أو قال: العلماء، إنكم كنتم تسألون رسول الله ﷺ، عن الخير، وأسأله عن الشر، وتسألونه عما كان وأسأله عما يكون» (١)

فقول السائل لحذيفة: بأعيانها؟ أى هل تقول الأسماء بأعيانها، تلك الأسماء التى يُعرَف بها قادة الفتن فى أزمانهم فكان جوابه رضى الله عنه أو اشباهها يعرفها الفقهاء أو قال العلماء، أى أن بعض شخصيات الأحداث يقولها بأسمائها، والبعض لا يقول الأسماء، وإنما يخبر بما هو دلالة وعلامة او كناية عنه، مما يكون مفهوما للعلماء دون عامة الناس.

وحكمة إخفاء هذا كله او الغيب بعامة عن الناس مرتبطة بالابتلاء لأن الله تعالى يبتلى العباد أفرادا وجماعات ودولاً، وأيضاً على مستوى النوع الإنسانى كله بأحداث جبرية تصيهم قسراً وتنتهى بأفعال إختيارية يرادهم الفردية والجماعية، ونتيجة الابتلاء تكون بالضرورة إما شراً وإما خيراً، قال تعالى ﴿وَبَلَّوْكُمْ بِالْشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (الأنبياء / ٣٥) وقال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُّؤْمِنٌ﴾ (التغابن / ٢) أى بعد الابتلاء يصير الناس إلى فريقين: مؤمنين وكافرين، بعد أن كانوا بمقتضى الميلاد مؤمنين وموحدين بالفطرة وتحقيق الابتلاء لا يكون إلا بإخفاء القدر المكتوب عن المبتلى، سواء أكان القدر الجبرى أى الأمر الذى سَيَّلَى به، أم كان القدر الاختيارى الذى قَدَّرَ الله وقوعه من العبد، وليس قدراً عليه كالأول (٢)

(١) الحافظ أبو عبد الله نعيم بن حماد/ كتاب الفتن، تحقيق سمر أمين الزهيري، مجلد ١، ص ٣١، حديث رقم ١٦، ومكتبة التوحيد القاهرة، وأورده صاحب الكنز (٢) راجع كتابى القضاء والقدر فى الإسلام الجزء الأول، فصل القضاء والقدر، المكتب الإسلامى، بيروت

فمعرفة الابتلاء سلفاً مفسدة للابتلاء ومتعارضة معه.

ولبيان هذا نضرب مثلاً فنقول : لو ان المسلمين فى موقعة من المواقع الحربية فى مواجهة أعدائهم قد علموا أنهم سينتصرون وذلك بعلم يقينى من الوحي الذى يؤمنون به فإنهم سيتهاونون فى القتال ويتواكلون، وقد يؤدى هذا إلى فتنهم، بل قد يؤدى هذا إلى قلة المقبلين على الجهاد فى هذه الموقعة وهذا فى حد ذاته فتنة عظيمة.

وإذا علموا أنهم فى موقعة ما سينهزمون فإن هذا يؤدى إلى تقصيرهم ونكوصهم وتولى البعض منهم يوم الزحف، وشيوع الروح الأنهزامية فى الأمة، وهذا فيه ضياع عظيم للأمة وفتنة عظيمة إذ يؤدى كل هذا إلى إبطال الجهاد.

ولكن هذا العلم الذى يؤدى بالمسلمين إلى هذه النتائج لا يتحقق إلا إذا جاء خبر هذه الموقعة مفصلاً واضحاً مع النص على زمانها ومكانها وقادتها وأطرافها وأسبابها، ولذلك لم يرد فى نصوص الوحي مثل هذا الخبر المفصل ولو مرة واحدة، وإنما تأتى أخبار الفتن والملاحم وأشراف الساعة فى صيغ مجملة موجزة مجردة من التحديد أو التعيين للزمان والمكان والأسماء الحقيقية للشخصيات، ومن ثم فغالبا لا تعرف تأويلات هذه الأخبار الحقيقية إلا بعد حدوثها، إلا أن القلة القليلة من العلماء المتخصصين قد يعرفونها قبل وقوعها.

وقد يتضمن بعض الأخبار تفصيلات محددة على عكس هذا المنهج العام، أى فى أحوال استثنائية وهى التى تكون فيها هذه التفصيلات ضرورة للتحذير من شر خطير أو للحض على خير عظيم.

مثال ذلك ما جاء عن شخصيتين من شخصيات آخر الزمان نذكرهما:

١- المهدي وأسمه محمد بن عبد الله وهو من آل بيت النبي ﷺ من نسل الحسن بن على رضى الله عنهما، جاء عن وصفه وبيعته وأفعاله الفصول الكاملة فى كتب السنة، وذلك حتى لا يكون لمن يرفض بيعته حجة، وحتى يلتف المؤمنون المخلصون حوله لبعيد الخلافة الراشدة بإذن الله تعالى وعونه وقد حددت الأخبار أنه يأتى فى آخر الزمان.

٢- المسيح الدجال وقد جاء وصفه ومخرجه وأفعاله والأماكن التي يرتادها، وحربه للمسلمين ونهايته على يد المسيح الحق عيسى بن مريم صلى الله عليه وعلى نبينا وسلم، وذلك العلم التفصيلي لتحذير المؤمنين من فتنه لأنها أعظم فتنه في تاريخ البشرية منذ آدم إلى قيام الساعة.

لهذا كله لم يصلنا حديث رسول الله ﷺ الذي خطب الصحابة خطبة طيلة نهار كامل عن أخبار الدنيا منذ بدء الخلق إلى انتهاء المؤمنين إلى منازلهم في الجنة والكافرين إلى منازلهم في النار، لم يصلنا كاملاً متسلسلاً لأن هذا مفسد للإبتلاء وهو الحكمة العليا التي من أجلها خلق الله تعالى السموات والأرض والإنسان علاوة على أنه يضر بالمؤمنين كما أسلفنا، ومن ثم فإن وصول أخبار هذه الخطبة مفرقة ومختلفة عن ترتيبها الذي قاله رسول الله ﷺ، أمر مقصود ومراد- ككل صغير وكبير في الكون- لله رب العالمين وذلك للحكمة التي ذكرناها من قبل، وما لبعض أخبار الغيب من آثار على الناس قد تضرهم في دينهم ودنياهم.

قال حذيفة فيما رواه عنه نعيم بن حماد بسنده: «لو حدثتكم بكل ما أعلم ما رقدتم في الليل»^(١)

وهذا يدل على أنه يكتفينا كثيراً بما أخبر به رسول الله ﷺ من أحداث المستقبل القريب منه والبعيد أيضاً، لما سيصيبهم من الفزع، وربما يؤدي الخير إلى أن ينقسم المستمعون إليه فرقة تكذبه ولا تصدقه وفرقة تعاديه أو تقتله، وفرقة لا تنصره على عدوه كما ورد قوله من قبل.

ومن ثم كان من منهج العلم بأشراط الساعة الإجمال أكثر من التفصيل، والتلميح بدلا من التصريح، وذلك حتى يتوقع خاصة المسلمين وعلماءهم النابهون المتفقهون في هذا الفن الحدث بعد الحدث في موعد قريب من زمن حدوثه غالباً على وجه التقريب وليس على وجه التحديد، وعلى سبيل الظن والتغليب والترجيح، وليس على سبيل الجزم والتأكيد، لأنه لا يعلم الغيب على وجهه الصحيح وبصورته الدقيقة إلا الله عز وجل وحده، وهو سبحانه لا يظهر على غيبه أحداً، إلا من ارتضى

من رسول ومن خلال هذه النافذة أو الثقب المتاح لنا من بعد رسول الله ﷺ للنظر من خلاله إلى المستقبل ومن خلال ما وصلنا عن صحابته الأجلاء وعن تابعيهم ومن تبعهم إلى عصرنا هذا من علماء الحديث يمكننا أن نتقرب أحداثا وأن نتوقع أحوالا وأشخاصا يخرجون على البشرية بالخير، وبعضهم بالشر، ومن ثم يكون هذا العلم هاديا للمؤمنين، ومرشدا ومبشرا ونذيرا، وتحقق به مهمة رئيسية من مهام خاتم النبيين ﷺ، محققا متجددا عبر الزمان عن طريق فهم ما أخبرنا به ومطابقته بالأحداث.

الباب الرابع

علم أشراط الساعة بين السابقين والمعاصرين

الفصل الأول: خطة الحافظ نعيم بن حماد رحمه الله تعالى في ترتيب كتابه الفتن وتصوره لتسلسل الأحداث.

الفصل الثاني: أبو عمر وعثمان بن سعيد الداني وكتابه السنن الواردة في الفتن وعوائلها والساعة وأشراطها.

الفصل الثالث: خطة القرطبي رحمه الله تعالى في كتابه التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة.

الفصل الرابع: خطة ابن كثير في كتابه النهاية في الفتن والملاحم.

الفصل الخامس: خطة الشريف محمد بن رسول الحسيني البرزنجي رحمه الله تعالى في كتابه: «الاشاعة لأشراط الساعة».

الفصل السادس: ترتيب السفاريني للأشراط في كتابه لوامع الأنوار البهية.

الفصل السابع: كتاب مطابقة الاختراعات العصرية لما أخبر به سيد البرية لرائد علم أشراط الساعة المعاصر أبو الفيض أحمد بن محمد الصديق الغماري الحسني رحمه الله تعالى.

الفصل الثامن : كتاب الشيخ محمود بن عبدالله التويجى
«إنحاف الجماعة بما جاء فى الفتن
والملاحم وأشراط الساعة».

الفصل التاسع : الشيخ أبو بكر الجزائرى ورسالتاه: اللقطات فى
بعض ما ظهر للساعة من علامات، والأحاديث
النبوية الشريفة فى أعاجيب المخترعات الحديثة.

الفصل العاشر: الخطة وتقسيم الأشراف فى كتاب أشراف الساعة
للأستاذ يوسف الوابل.

الفصل الحادى عشر: ترتيب الأشراف حسب وقوعها بين
الأولين والمعاصرين.

الفصل الثانى عشر: ترتيبى للأحداث التى تترقبها أجيالنا
المعاصرة استخلاصا من النصوص وما
اتفق عليه جمهور العلماء.

الفصل الأول

٢٩- خطة الحافظ نعيم بن حماد رحمه الله تعالى في كتاب الفتن

(٢٩) خطبة الحافظ نعيم بن حماد رحمه الله تعالى لترتيب كتاب الفتن

اختلف العلماء قديما وحديثا في عرض أحاديث الفتن وأشرط الساعة، وسنعرض لخطبة كل منهم ومنهجهم في العرض وترتيبه العام للأشراط بحسب الأسبقية في الزمان.

ولعل أقدم الحفاظ الذين أفردوا للفتن كتابا خاصا مستقلا هو الحافظ نعيم بن حماد المروزي المتوفى عام ٢٨٨هـ وهو ممن روى عنه البخاري رحمه الله تعالى في غير الصحيح، وذلك لأن نعيما رحمه الله عند البخاري وعند العلماء في أحاديثه شيء، فقد قال عنه الذهبي: «نعيم من كبار أوعية العلم لكنه لا تركز النفس إلى رواياته»، وقال أيضا: «لا يجوز لأحد أن يحتج به، وقد صنف كتاب الفتن فأثنى فيه بعجائبه ومناكيره».

وقال عنه النسائي: قد كثر تفرده عن الأئمة المعروفين بأحاديث كثيرة فصار في حد من لا يحتج به.

وقال عنه مسلمة بن القاسم: وله أحاديث منكورة في الملاحم انفرد بها (١).

ولعل أكثر المأخوذ على نعيم رحمه الله أن أحاديثه منكورة وغريبة لما تضمنته من أخبار تكاد تكون مخالفة للمعهود والمألوف في زمانهم، ومع أن ما تعيشه البشرية الآن من مخترعات وأساليب في الاتصالات والمواصلات والمعمار وغير ذلك كله أمور غريبة جدا ومنكورة، ولا يمكن إذا عرضت على القدماء تصديقها وأكثر أحاديث الفتن تتضمن أخبارا أنكرها العلماء، لأنها غريبة وغير طبيعية بالنسبة لزمانهم فظنوها من خرافات الدجالين والكذابين والإسرائيليات التي دخلت على نعيم رحمه الله تعالى، بينما هي واقعية وعادية بالنسبة لزماننا الذي حدث فيه من الإختراعات ما يعد بالنسبة لهم خيالا وخرافة.

ولا شك أن نعيما رحمه الله من العلماء الثقات، وإن كانوا قد صنفوه في الضعفاء لأسباب أخرى، ومن ثم فإن كثيرا من أحاديثه قواها العلماء لورودها عن

أسانيد وطرق أخرى، وما سوى ذلك فهو ضعيف، وقد يكون القليل منه ضعيف جداً.

أما عن خطته في ترتيب النصوص حسب أحداث الفتن وأسبقية الأشراف في الزمان فقد عمد إلى تصنيف الأحاديث والآثار التي تتحدث عن فتنة بعينها أو عن شخصية من شخصيات الفتن فجمعها تحت عنوان واحد، وفي جزء من أجزاء الكتاب يخصصها.

وفي نفس الوقت رتب الأشراف أو الأجزاء حسب ما رأى أنه الأسبق في الزمان، وبطبيعة الحال فقد كان موقفاً في ترتيب الفتن والأشراف والأحداث التي حدثت من بعد وفاة النبي ﷺ حتى عصره، وذلك بعد أن جاء تأويل هذه النصوص في الواقع وفسرها التاريخ كما فسرت هي أحداثه.

أما بالنسبة للنصوص التي تحدثت عن أحداث لم تحدث حتى عهد فقد أجتهد في ترتيبها، وكما سنرى لم يكن توفيقه في هذا الترتيب تاماً، إذ جانبه الصواب في بعضها، حيث حدثت بعض هذه الأحداث مخالفة للترتيب الزمني الذي سجله في كتابه.

لذلك جمع منهجه بين الترتيب الزمني وبين التصنيف بحسب الأبواب والموضوعات التي دلت عليها النصوص، وأما بالنسبة للأشراف التي بين يدي الساعة فقد أجتهد في ترتيبها أيضاً ووافقه اللاحقون له من العلماء على بعضه وخالفوه في البعض الآخر.

وحيث أنه وجد بعض الأحداث والملاحم والفتن التي لم يعرف موضعها التاريخي في الترتيب الذي وضعه فقد أفرد لها أبواباً بعناوين مستقلة دون أن يبين العلاقة الزمنية التي بينها وبين الأحداث الأخرى، فجاءت في أجزاء متفصلة مقطوعة عما قبلها وعما بعدها.

وقد اطلعتُ على كتاب الفتن من خلال صورة المخطوطة المودعة بمكتبة مخطوطات جامعة أم القرى، وأثناء دراستي لها ظهر الكتاب مطبوعاً في مجلدين

فتحولتُ من صورة المخطوطة إلى هذه النسخة المطبوعة التي اقتصر عمل المحقق فيها على ترقيم الأحاديث والآثار الواردة بالكتاب.

ولقد أفرد نعيم رحمه الله في الكتاب عددا من الأبواب للموضوعات الفقهية مثل ما يُستحب من الأعمال في زمان الفتن مع بعض الأحكام الفقهية التي يُحتاج إليها المسلم للإهتمام بها في الفتن للوقاية من الوقوع فيها .

بل إنه صنف بابا بعنوان « المعقل من الفتن » سرد فيه الآثار والروايات التي تنص على الجهات أو الأمصار أو الأقاليم أو المدن التي يحتمى المسلم فيها من الفتن العظمى، مثل ما جاء من أن مكة والمدينة هما المعقل من فتنة الدجال، والطور هو المعقل من فتنة يأجوج ومأجوج، والمعقل من فتنة المغرب اليمن وهكذا.

ولقد بدأ نعيم الكتاب بالأحاديث النبوية التي نبأت بالخلفاء من بعد وفاة النبي ﷺ وهم الخلفاء الراشدون الأربعة ثم انتقل بعد ذلك إلى النصوص الدالة على ملك بنى أمية والفتن التي حدثت في عهودهم ثم خصص جزءا للنصوص التي نبأت بانقطاع ملكهم وعلامات ذلك، ثم عرض النصوص الخاصة بقيام دولة العباسيين حتى عصره.

وحيث أن نعيما رحمه الله قد توفي في خلال دولة بنى العباس فإن ترتيبه للنصوص الدالة على الفتن والملاحم حتى عصره جاء مطابقا للواقع كما قلنا لكن ترتيبه للنصوص التي تتحدث عن أحداث وفتن وأشراف بعيدة أو قريبة من الساعة وهي التي لم تحدث حتى عصره جاء اجتهدا قايلا للخطأ وللصواب.

ومن ثم جعل باباً من أبواب الجزء الثالث بعنوان « أول علامة تكون في انقطاع ملك بنى العباس » وأيضاً ما يذكر من علامات في السماء فيها انقطاع ملك بنى العباس » ثم ختم هذا الجزء بعنوان « ما يذكر من غلبة سفلة الناس وضعفائهم ».

وحيث أن هذا العنوان الأخير من أحوال آخر الزمان الذي بين يدي الساعة، والتي تقع فيه الأشراف القريبة منها فإن هذا يدل على أن نعيما اعتبر العباسية هي آخر

دول الإسلام يلى سقوطها على الفور عصر الفتن والملاحم الذى يسود ويحكم فيه سفلة الناس فجعل موضوع الجزء الرابع من الكتاب بعنوان « أول علامة تكون من علامة البربر وأهل المغرب فى خروجهم » كذلك « ما يكون من فساد البربر وقتالهم فى أرض الشام ومصر »، ثم عنوان يلى حملة البربر يتحدث عن صفة السفينانى وأسمه ونسبه، وتستمر أخبار فتنة السفينانى هذا خلال موضوعات الجزء الرابع والخامس وحتى فى الأجزاء التى تلى الخامس باعتبار أن السفينانى هو الشخصية الأهم والأخطر فى الشخصيات الإسلامية عنده.

ثم يعرض بعد ذلك النصوص التى تتحدث عن المهدي الذى يأتى مباشرة بعد السفينانى ويتسلم منه خلافة العالم الإسلامي.

ثم يذكر ما جاء عن الدجال وهى أحاديث وآثار كثيرة نتحدث عن أو صافه وأفعاله وفتنته وأتباعه ومخرجه وخروجه وأساليبه فى فتنة الناس، ومدة ملكه للأرض ما عدا مكة المكرمة والمدينة المنورة حتى نزول المسيح الحق ابن مريم عليهما السلام وقتله للدجال وما يكون من صلاة المسيح عليه السلام خلف إمام المسلمين وقائدهم وهو المهدي الثانى أو الثالث ثم خروج يأجوج ومأجوج.

ثم خصص الجزء التاسع من كتابه للأحاديث والآثار الخاصة بالخسف والزلازل والرجفة والمسخ، ثم جعل بقية كتابه فى الأمور العظام وهى: طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة التى تكلم الناس، ثم خروج الحبشة وهدمهم الكعبة المشرفة.

ثم خصص الجزء الأخير من كتابه للنصوص التى تحدد أوقات الفتن بالسنين والشهور والأيام وهكذا يمكن القول أن نعيما رحمه الله تعالى خالف بتصنيفه وترتيبه الواقع التاريخى الذى حدث بعده فيما يلى:

١- لقد ذكر فى مستهل الجزء الرابع النصوص التى تتحدث عن خروج البربر وأهل المغرب وغزوهم لمصر والشام، وذلك بعد الفصل الخاص بزوال الدولة العباسية، وهذا الأمر لم يحدث حتى الآن رغم مرور قرون عديدة على زوالها.

٢- ذكر نصوصا تتحدث عن صراع بين العباسيين والأمويين بقيادة السفيناني ، الذى يدفع الخلافة للمهدي، وذلك بعد نصوص أحداث حملات البربر وأهل المغرب ، معلوم أنه لم يحدث شيء من هذا بعد سقوط العباسيين منذ قرون طويلة والبربر وأهل الغرب الذين يغزون مصر يأتون من الحدود الغربية لمصر.

٣- عرض نعيم النصوص الدالة على مجيء الرايات السود من خراسان لتأييد المهدي، وجعل هذه النصوص وكل ما يتعلق بالمهدي من موضوعات الجزء الخامس، الذى يلى الجزء المتضمن لنهاية الدولة العباسية، مما يدل على أن تصويره للأحداث اشتمل على اعتقاد أو توقع بأن العلامات الكبرى التى تبدأ بالسفيناني ثم المهدي ثم الدجال تأتى مباشرة بعد سقوط الدولة العباسية، وهذا كله مخالف للواقع التاريخي من بعده.

٤- بالرغم من تضمن كتاب الفتن لنصوص كثيرة عن الترك إلا أن نعيما لم يتصور أن تقوم خلافة إسلامية تركية أى العثمانية بعد سقوط الخلافة العباسية، ومن ثم صنف هذه النصوص ضمن حملات إعتداء غاشمه على أمصار العالم الإسلامى تأتى من الغرب مرة ومن الروم مرة ومن الشرق مرة ومن الترك مرة ومن الحبشة على جنوب مصر مرة أخرى، وأيضا من الحبشة على الحجاز لهدم الكعبة فى آخر الزمان، وفى حين أن الواقع التاريخي أثبت أن العثمانيين الأتراك أقاموا خلافة إسلامية وحَدَّتْ، العالم الإسلامى قرابة خمسة قرون.

ولكنه محق فى هجوم تركى غاشم على العراق وسوريا عبر الجزيرة وهو الذى تترقبه بعد الحلف الإسرائيلى الأمريكى التركى المعاصر^(١).

٥- تضمنت الأجزاء بدءا من الرابع والخامس حتى الأخير أخبارا متفرقة عن السفيناني فبدأ أن أكثر وأخطر الفتن هى التى فى عهده أو هى على الأقل تلى فتنة الدجال فى الخطورة والأهمية، مع أنه مجرد شخص واحد من شخصيات الفتن، وأرى أن هذا يعكس صورة الصراع الذى ترك ظلاله على عصر نعيم، وهو الصراع بين العباسيين والأمويين مما جعل نعيما يتوقع نهاية الدولة العباسية على أيدي الأمويين ، وتصور بالتالى أن السفيناني الذى هو من نسل أبى سفينان، هو الذى

(١) راجع تفاصيل أحاديث نعيم عن هذا الهجوم بكتايب البيان النبوي.

سيقضى على الدولة العباسية، ثم يأتي المهدي الهاشمي ليقضى على حكم السفيناني، ويقيم بعده الخلافة الراشدة التي تملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً.

٦- وكما خلت تصنيفات نعيم من تصور للدولة العثمانية فقد خلت أيضاً من تصور لما حدث من اليهود في العصر الحديث من الإفساد في الأرض بعامّة، وفي فلسطين بخاصة، لأن أحداً من علماء المسلمين لم يكن ليتصور هزيمة المسلمين أمامهم ولذلك لا نجد عن هذا فصلاً في كتابه، مع أن الأحداث التي تعيشها الأمة الإسلامية منذ سقوط الخلافة العثمانية حتى الآن تستحق أن يفرد لها فصلاً تحت عنوان «فتنة اليهود والملاحم التي بينهم وبين العرب» وغير ذلك من الأحداث التي تعيشها الأمة منذ عشرات السنين، لكن هذا لا ينسبنا أن نعيما أخرج نصوصاً عن اليهود وقتالهم في آخر الزمان، لكن هذا ضمن قتال مسيح الهدي ابن مريم عليها السلام للمسيح الدجال، فهو لم يتصور أن يكون لليهود دولة في فلسطين إلا برئاسة الدجال بعد خروجه المعلن، وهذا مخالف للواقع المعاصر لأن دولة اليهود قامت قبل السفيناني والمهدي وهما قبل زمن الدجال، وهم لم يخرجوا جميعاً بعد.

٧- تحدث نعيم عن ملحمة الاسكندرية، إذ يغزوها جيش من المغرب وجعل هذا في زمان المهدي مع أن الإسكندرية قد جاءها من الجيوش الغربية جيش نابليون وجيش نلسون الإنجليزي منذ قرن وربع تقريباً، ولم يكن هذا في زمن المهدي، وهو مخالف للواقع إلا أن تكون هذه الحملة لم تحدث بعد وهذه الملحمة غير معارك الملحمة العظمى.

٨- رتب الأشراف العظمى أو الآيات العشر العظمى للساعة التي وردت في أحاديث متعددة فجعل الخسوف الثلاثة: خسف بالشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب، بعد يأجوج ومأجوج، وهذا يختلف معه فيه بعض من جاء بعده من العلماء، إذ جعلوا الخسوف قبل الدجال ولكن مهما يكن من ملاحظات على تصنيف الحافظ نعيم بن حماد رحمه الله في الفتن، فإنه بلا شك الأستاذ لكل الذين جاءوا بعده ممن كتبوا في هذا العلم وصنفوا في أشراف الساعة.

الفصل الثاني

أبو عمرو: عثمان بن سعيد الداني وكتابه
السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها

- ٣٠- خطة الداني في كتابة السنن الواردة في الفتن
- ٣١- ترتيب العلامات والامارات والآيات حسب تسلسلها
عند الداني.

(٣٠) خطة أبي عمرو: عثمان بن سعيد المقرئ الداني في كتابه: السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراتها:

هو أبو عمرو: عثمان بن سعيد المقرئ الداني نسبة إلى دانية والقرطبي نسبة إلى قرطبة، كان من موالى بنى أمية بالأندلس، ولد سنة ٣٧١هـ أو ٣٧٢هـ، كما أخبر هو عن نفسه، وعاش ٧٢ سنة إذ كانت وفاته سنة ٤٤٤هـ (١).

اقر له المؤرخون أمثال الذهبي وابن الجوزي بأنه كان على عقيدة أهل السنة والجماعة بمذهب السلف في صفات الله تعالى، وسائر المسائل الاعتقادية التي خالف فيها المتكلمون والفلاسفة عقيدة السلف رحمهم الله تعالى.

وقد أثنى عليه العلماء والمؤرخون واعتبروه علما من أعلام القراء والحفاظ في عصره فقال عنه الذهبي: الإمام الحافظ المجود المقرئ الحاذق عالم الأندلس (٢)

وقد قام الدكتور ضياء الله بن محمد إدريس المباركفوري بدراسة الكتاب وتحقيقه ونشرته دار العاصمة بالرياض عام ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م، في ثلاثة مجلدات ضم كل مجلد جزأين فجاء الكتاب حسب خطة مصنفه في ستة أجزاء.

قدم المصنف أبو عمرو الداني في الجزء الأول أبوابا عن أحكام الفتن وما يجب على المؤمن أن يتخذ من مواقف وأعمال للنجاة من غوائلها، فذكر الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة الأمرة باتقاء الفتن مثل قوله تعالى: ﴿وَأَتَّقُوا فِتْنَةً لَأُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (٣٥) [الأنفال]، وقول الرسول ﷺ: «بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم» (٣)

فجاءت عناوين بعض هذه الأبواب دالة على هذا المعنى مثل باب ما جاء في التعوذ من الفتن وجعل بعضها تحذيرا شديدا من الوقوع فيها مثل قوله «باب ما جاء

(١) السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراتها تأليف أبو عمر وعثمان بن سعيد المقرئ الداني تحقيق الدكتور رضا الله بن محمد إدريس المباركفوري، دار العاصمة بالرياض..

(٢) مقدمة السنن للمحقق ١٠٩.

(٣) السنن ص ٢٥٧.

فى القاتل والمقتول فى الفتنة» وباب قوله ﷺ سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» (١)
وقدم النصيحة للمؤمنين فى الفتنة تحت عنوان «باب الإمساك فى الفتنة» وأيضاً
«باب الأمر بلزوم البيوت فى الفتنة» (٢)
كما عقد باباً بعنوان «النهى عن الخروج عن الأئمة والأمراء وخلعهم وسبهم
والطعن عليهم وما جاء من التغليب فى ذلك» (٣)
وعقد المصنف باباً فى النهى عن بيع السلاح والدواب فى الفتنة، بل عقد باباً فى
النهى عن الكلام فى الفتنة فأورد الأحاديث الدالة على ذم الكلام فيها، وأن بعض
وقع اللسان قد يكون مثل الضرب بالسيف أو أشد منه. (٤)
كذلك أورد المصنف أكثر من أثر يحذر من كسب المال فى الفتنة وبسببها مثل قوله
ﷺ: «من أصاب ديناراً أو درهما فى فتنة طبع الله على قلبه بطابع النفاق حتى يؤديه،
وقوله ﷺ: «ستكون فتنة لا ينجو منها إلا من لم يصب منها شيئاً، فمن أصاب من مالها
كمن أصاب من دمها» (٥)
كما وضع المؤلف فى هذا الباب أن حب الفتنة والرضا القلبي عنها وعن وقوعها
أو ميل قلب العبد لأحد طرفى الفتنة وتأييده له ضد الطرف الآخر ولو بالقلب فقط
هو مشاركة حقيقية ووقوع فى الفتنة كمن شارك فيها بالعمل والقول، ومن ثم يتحمل
أوزارها مثلهم تماماً: دماء وأموالاً وأعراضاً.
وأورد فى هذا المقام حديث ابن مسعود الذى قال فيه: «تكون أعمال من رضى بها
من غاب عنها فهو كمن شهدها، ومن كرهها من شهدها فهو كمن غاب عنها» (١)
وأورد كذلك قول النبى ﷺ لفريق من المتقاتلين فى الفتنة ينتهى بصاحبه إلى نفس
المصير فى الآخرة.

(١) السنن ص ٣٣١.
(٢) السنن ص ٣٨١.
(٣) نفس المصدر ٤٦٣.
(٤) السنن ص ٣٦٣.
(٥) نفس المصدر ص ٤٤٣.
(٦) المصدر السابق بص ٤٦٥.

لعل أبو عمرو الداني يكون رائداً في إثبات هذا المعنى في باب مستقل بغية التنبيه إلى خطورة الوقوع في الفتنة ليس بالعمل أو بالقول فقط بل أيضاً بالتأييد القلبي.

ويمكننا أن نستنبط من هذا الجزء من كتاب الداني أن مفهوم الفتنة عنده هي نزاع أو خلاف بين طائفتين من المسلمين يصل بهما إلى الاقتتال بالسلاح وإراقة الدماء، ومن ثم فليس الواقع في الفتنة هو فقط الذي يحمل السلاح في وجه أخيه المسلم، بل هو أيضاً الذي أسهم في النزاع بالعمل وبالمال وبالتحريض قولاً وفعلًا وبيعاً وشراءً، وحتى بالميل القلبي مؤيداً هذا الفريق أو ذاك راضياً بقلبه عن إراقة دماء الطرف الذي يعارضه.

ولعل القول باللسان الذي يكون أشد من الضرب بالسيف في الفتنة هو مثل ما يكون في زماننا هذا من الإعلاميين المستخدمين وسائل الإعلام المعاصرة مرئية ومسموعة ومقروءة، لأن الكاتب في الصحف أو المتحدث في الإذاعة والتلفزيون له تأثيره وتضليله للملايين المسلمين الأمر الذي يؤدي بالضرورة بكثير من المسلمين إلى المشاركة في إراقة كل نقطة دم في المعركة وساهم في قتل كل قتيل، وهذا يكون بلا شك أكبر وزرأ من شارك بسيفه وقتل أو جرح بعض الأشخاص.

من أجل ذلك عقد المؤلف رحمه الله تعالى باباً أورد فيه من النصوص ما يدل على التحذير الشديد من الخروج على الحكام والأمراء أياً كان ظلمهم وتجاوزهم، لأن ما يحدث نتيجة الخروج من انتهاك للحرمة دماء أو أعراضاً وأموالاً أعظم شراً بكثير من ظلمهم، ومن ثم فإن الخارجين على السلطان يتحملون أوزار ذلك كله.

وهكذا اقتصر الجزء الأول والثاني من كتاب السنن للداني على بيان الفتن وما جاء فيها من نصوص تحذر من الوقوع فيها، والنصائح التي يتوخاها المؤمن للنجاة من غوائلها فلم يخرج موضوع هذين الجزئين عن الفتن.

ومن ثم فإن خطة الكتاب جاءت موافقة لعنوانه وهو «السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها» فاستغرقت الفتن الجزأين الأول والثاني، واستغرقت موضوعات الساعة وأشراطها الأجزاء الثلاثة: الرابع والخامس والسادس.

أما الجزء الثالث فقد جاء حاملاً لموضوعات هي بين الفتن والأشراط وكأن المؤلف يرى أنها لا هي إلى الفتن فقط، ولا هي إلى الأشراط فقط، إذ هي من وجه من الفتن ومن وجه آخر من الأشراط.

فموضوعات الجزء الثالث هي التي أوردتها بعض العلماء بعد الداني على أنها أشراط دائمة مستمرة تأخذ خلال الزمان صفة الاستمرار والانتشار مثل الأحوال والعادات والبدع والأهواء المضلة والأفعال المنافية للشرع كظهور المنكر واعتياد الناس عليه حتى يصير معروفاً وغياب المعروف حتى يصبح مع تقدم الزمان غريباً على الناس ويصير عندهم منكراً وغير ذلك من قلب الأحوال والأوضاع والقيم.

وهذا كله من الفتن الدائمة المستمرة المتزايدة عبر الزمان، وهي في نفس الوقت بما يزداد مع تقدم الزمان فيكون دليلاً على الاقتراب من نهاية الدنيا، ويكون أيضاً من إمارات الساعة وأشراطها القريبة.

لكن أبا عمرو الداني التزم مفهوماً خاصاً للفتنة حصره في الحديث الساخن الذي تمثل في القتال بين طائفتين مسلمتين أو على الأقل اعتبار هذا الحديث هو قمة الفتنة التي تحدث بين المسلمين.

كذلك نستطيع أن نستنبط من تصنيف وتبويب أبي عمرو الداني لكتابه أن الخسف والمسخ والقذف والرجف والطاعون وغير ذلك من الكوارث ليست عنده من الفتن كما أنها ليست من الأشراط بل هي عقوبات ربانية يعاقب بها الله تعالى الأمة على المعاصي والفسق والذنوب بناءً على وقوعهم في الفتن، إذ هذه الأحداث هي مما تصيب البشرية منذ وجودها على الأرض فهي ليست من أشراط الساعة، كما أنها مترتبة على وقوع الناس في الفتن وليست هي من الفتن.

ولذلك أورد هذا كله ضمن موضوعات الجزء الثالث عند أبي عمرو الداني عن تدهور الحالة الإيمانية بين شعوب الآلة الإسلامية مع تقدم الزمان وانتشار الفسق والمعاصي بينهم وزيادة بعد الأمة عن دينها، مع تقدم الزمان، الأمر الذي قد يشيع روح اليأس من الإصلاح والعودة إلى الكتاب والسنة، فيشبط هذا روح الدعاة، ويضعف عزيمة المجاهدين.

ومن ثم لم ينس المصنف رحمه الله تعالى أن يختم هذا الجزء بباب هام أراد أن ينبه إلى مزية من مزايا الأمة الإسلامية، وخاصية من خصائصها التي تنفرد بها عن سائر الأمم السابقة، وبخاصة اليهود والنصارى، ألا وهي استمرار طائفة الحق والإيمان بين طوائف الأمة الضالة وفرقها المنحرفة، ليس فقط استمرارها وجوداً، بل استمرارها ظاهرة لتكون حجة على سائر الفرق والأمم الضالة الأخرى، فعقد باباً لقول النبي ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين» وأنها «لا تجتمع على ضلالة» وأنه «لا يزال فيها من إذا سئل وفق» ونحو ذلك.

وتبدو لنا أهمية ختم الجزء الثالث بهذا الباب إذا علمنا أن الفتن والأحوال السيئة التي تصيب أكثر طوائف وشعوب الأمة، بحيث يصبح البعض كفاراً خارجين عن الملة، والبعض فساقاً عصاة خارجين عن دائرة أهل السنة والجماعة لا تؤدي إلى ضياع أمة الإسلام على النحو الذي حدث لليهود أو للنصارى، فاجتمعوا على الضلال، ولا يستلزم حدوث هذا كله في تاريخ أمة الإسلام اليأس من الإصلاح والعودة لدين الله تعالى، إذ يفيد هذا الخبر الصحيح لحجة طائفة من الأمة من الفتن مهما اشتدت وشاعت وترسخت فلا يصيبها ما أصاب الفرق والطوائف الأخرى من الضلالات والفتن.

وهذه الطائفة تظل هي المسلمة المؤمنة المجاهدة في سبيل الله القابضة على دينها كالقبض على الجمر، فتكون غريبة بين الطوائف والفرق الأخرى المفتونة، ويكون أهلها هم الغرباء الذين بشرهم رسول الله ﷺ بالدرجات العلى والأجر الجزيل بقوله عليه الصلاة والسلام مبشراً: «..... فطوبى للغرباء».

أما الجزآن الرابع والخامس فقد خصصهما المصنف للساعة وأشراطها ودلائل اقترابها والملاحم والفتن والآيات.

أما الجزء السادس والآخر من الكتاب فقد خصصه للأخبار الواردة في الملحمة العظمى بين العرب والروم التي تنتهى بفتح القسطنطينية ورومية ثم خروج الدجال ونزول المسيح عليه السلام وخروج يأجوج ومأجوج.

وبعدها ذكر أخبار الدابة وطلوع الشمس من مغربها ثم ختم الكتاب بباب عن النفخ في الصور وهو الحدث الذي تقوم به الساعة الوسطى.

(٣١) ترتيب العلامات والأمارات والآيات حسب تسلسلها عند

أبى عمرو الداني

ذكرنا من قبل أن الموضوع الرئيسى والصريح للأجزاء الثلاثة الأخيرة من الكتاب هو أشراط الساعة.

لكن ليس معنى هذا أن الأجزاء الثلاثة الأولى تخلو تماما من بعض الأشراط، إذا وسعنا مفهوم أشراط الساعة من المفهوم المحدد الذى استخدمه أبو عمرو الداني فى خطته، ذلك أنه يصح القول أن المصنف يفرق بين مفهوم الفتنة ومفهوم شرط الساعة. ذلك بالرغم من أن المفهومين متداخلان، وليسا مستقلين، لأن كثيرا من الأشراط فى الحقيقة هو من الفتن، كما أن كثيرا من الفتن وردت فى الرويات والآثار على أنها من أشراط الساعة.

فإذا صح القول بأنه ليس كل شرط من أشراط الساعة فتنة بالضرورة، فإنه مما يصح أيضا، أن كل فتنة ورد ذكرها فى السنن من أخبار المستقبل هى من أشراط الساعة سواء أكانت من الأشراط البعيدة أم القريبة التى بين يدي الساعة

ومن أمثلة أشراط الساعة التى ليست من الفتن المهدي، ونزول المسيح عليه السلام، فالأول تنعم الأمة فى عهده نعمة لم تنعمها قط من الرخاء والغنى والعدل والقوة والعزة والمنعة والنصر على أعداء الإسلام، ومعلوم أن المهدي من الأشراط التى بين يدي الساعة.

والثاني: وهو نزول المسيح عليه السلام ليقتل الدجال ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ويعم به الإسلام ربوع الأرض، فهو قضاء على أعظم فتنة فى تاريخ البشر ألا وهى فتنة الدجال، وهو فى نفس الوقت من أعظم أشراط الساعة بل هو من آياتها العشر. وهو أيضا من أعلامها.

لكن يصح القول بأن كل فتنة من الفتن التى نبأت عنها الروايات هى شرط من أشراط الساعة، إذا فهمنا الأشراط بأنها الأحداث والأحوال والتغيرات التى تصيب الأمة منذ وفاة رسول الله ﷺ إلى قيام الساعة، فهذا المفهوم الواسع أو هذا الماصدق الشامل يجعل الأشراط قسمين: بعيدة عن الساعة وقريبة أو مباشرة لها.

ومن ثم فكل فتنة شرط أو علامة من علامات الساعة، وليس كل شرط أو علامة فتنة، وعلى هذا لم يكن تخصيص بعض الأجزاء للفتن في كتاب أبي عمرو موافقا لهذا المفهوم، لأن هذه الفتن هي أشراط وعلامات وإمارات للساعة، كما أن كثيرا من الأحداث والأحوال التي وضعها ضمن أبواب الأشرط هي في حقيقتها من أعظم الفتن، مثل فتنة الدجال الذي جاء ذكره ضمن الآيات العشر أى الأشرط العشر الخارقة للسنن، التي يدى الساعة، ومع هذا فقد ورد عند المصنف من الأشرط ولم يرد ذكره في الفتن.

وهكذا ضمن أبو عمرو رحمه الله الأجزاء الثلاثة الأولى كثيرا من أشرط الساعة البعيدة، باعتبارها فتنة، وليس باعتبارها أشرطاً، فكأنه خصص هذه الأجزاء الثلاثة الأولى لما تعارف عليه العلماء من بعده بالأشرط الصغرى أو البعيدة وأطلق عليها الفتن، ثم جعل بقية الكتاب لما تعارف عليه العلماء من بعده باسم الأشرط الكبرى أو الامارات القرية من الساعة التي هي الآيات العشر، وما يتخللها من أمارات وعلامات سماها العلماء الأشرط العظمى أو الكبرى.

لذلك جعل عنوان الباب الأول من الجزء الرابع بعنوان ما جاء فى الساعة وأشرطها ودلائل اقترابها، فحصر مفهوم الأشرط عنده فى العظمى تلك التى تدل على القرب الشديد للساعة، وهذا واضح من قوله فى نهاية عنوان الباب : ودلائل اقترابها.

ثم سرد كثيرا من هذه الأشرط التى اتفق جمهور العلماء على أنها من العلامات الكبرى القرية مثل ذهاب العلم وكثرة الجهل، ومثل تقارب الزمان والتطاؤل فى البنیان، وموت الفجأة، وانتفاخ الأهلة، ورفع الأشرار، ووضع الأخيار، وكثرة النساء، وقلة الرجال، وخراب البلدان الواحدة تلو الأخرى، فذكر خراب المدينة المنورة

ومكة المكرمة والكوفة والبصرة والشام ومصر وهكذا وكلها عند أكثر العلماء من العلامات التي تسبق قيام الساعة بزمان يسير.

كذلك مما اتفق عليه العلماء أن الملاحم العظيمة بين أمة الإسلام من ناحية وبين النصارى (الروم) واليهود بقيادة الدجال من ناحية أخرى، هي من العلامات القريبة التي تسبق أو تصاحب الآيات العشر وتعاصرها. ومن ثم عقد الداني الجزء الخامس والسادس من كتابه للملاحم ولعائل المسلمين من الملاحم والفتن فذكر في الجزء الخامس ما ورد في السنن عن الآيات ومنها:

خروج النار ، والدخان، والريح، كما ذكر ما ورد في العلامات القريبة المعاصرة لبعض الآيات مثل القحطاني والسفياني والمهدى وهذه كلها من الشخصيات المعاصرة لأحداث آخر الزمان والمتخللة للآيات.

لكن الملاحظ أن الترتيب الذي جاء بهذه الأحداث ليس موافقا لوقوعها إذ جعل بابا في أول الجزء لخروج النار، مع أنها آخر الآيات، كما نص على ذلك الحديث الشريف، ووضع في هذا الباب الآثار الواردة في النار التي تخرج من المشرق فتحشر الناس إلى المغرب، ووصفها الحديث بأنها أول أشرار الساعة، ولم يحاول المصنف أن يوضح ما إذا كانت هذه غير تلك أم هي نار واحدة، ومعلوم أن هذا الخلاف قائم بين العلماء فيرى فريق أنها نار واحدة ويرى الآخر أن هذه غير تلك.

ثم ذكر أخبار الدخان ثم الريح التي تقبض نفوس المؤمنين ثم أخبار القحطاني ثم السفياني ثم المهدي ثم ذكر خبر الجيش الذي يتوجه لغزو الكعبة، فيخسف به ثم خبر موقعة كلب التي تكون بين المهدي والسفياني.

وترتيب الداني لأخبار هذه الأحداث في خطته يوافق عليه أكثر الذين كتبوا وصنفوا في الأشرار في بعض الأحداث، ويخالفونه في البعض.

لأن الدخان والريح من الأحداث التي تقع بعد نزول المسيح عليه السلام، فهما ليسا قبل السفيناني والمهدي كما وردا عنده.

أما ترتيب ظهور السفيناني فالمهدي فخسف الجيش فموقعة كلب فهو مما لا خلاف فيه عند جمهور العلماء.

أما القحطاني الذي جعله سابقاً للسفيناني فلم يرد من الآثار ما يدل على أسبقيته للسفيناني.

واتفق الداني مع جمهور العلماء على ترتيب أحداث الملاحم في الجزء السادس حسب وقوعها في الزمان بإذن الله تعالى، فجعل الباب الأول من هذا الجزء في خروج الروم للملحمة ففتح القسطنطينية ففتح رومية ثم خروج الدجال ثم خروج يأجوج ومأجوج ثم ذكر ما ورد في عيسى بن مريم عليه السلام، ثم ما جاء في الدابة ثم عقد باباً بعد ذلك لطلوع الشمس من مغربها، ثم ذكر نفخ الصور الذي ستقوم به الساعة.

وهذا الترتيب موافق عليه الجمهور ما عدا ذكره يأجوج ومأجوج قبل نزول المسيح عليه السلام لأن يأجوج ومأجوج لا يخرجون إلا بعد أن يقتل المسيح عليه السلام الدجال كما دلت على هذا النصوص ذاتها، كذلك خالف أبو عمرو الداني العلماء إذ ذكر أخبار الدخان في الجزء الخامس منفصلاً عن طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة مع أن الثلاثة تحدث في يوم واحد تقريباً، وكل منها إذا ظهر في مكان ما في الأرض يغلق بخروجه باب التوبة فأكثر العلماء أنها تحدث في أوقات متقاربة إذا ظهرت واحدة فإن الأخرى تظهر على أثرها قريباً.

ومع هذا يمكن القول أن تصور الداني لتسلسل الآيات والعلامات أكثر وضوحاً من سابقه، وأقرب لما أتفق عليه أكثر من كتبوا عن الأشراط من بعده، حيث نضج علم الأشراط خلال المصنفات العديدة التي صنفها، وحققها كثير من علماء الحديث اللاحقين له، وكتابه هذا بلا شك بما تضمنه من تبويب لموضوعات الفتن والأشراط، ولما دلت عليه خطته من ترتيب للأحداث حسب فهم المؤلف رحمه الله تعالى، أقول

يعتبر ركيزة هامة من ركائز علم الأشراف فى الإسلام، هذا العلم الذى أسهم فيه المؤلف بكتابه هذا إسهاما هاما كان له أثره المستمر العميق فى نمو هذا العلم ونضجه على أيدي من جاءوا بعده.

وبالرغم من أن المؤلف لم يميز بين الآيات العشر وبين الأشراف الكبرى التى هى متخللة ومصاحبة للآيات من ناحية، كما لم يميز تمييزا دقيقا بين الفتن والأشراف، إلا أن سفره هذا يعتبر بحق من أهم وأوضح وأنفع ما صنفه علماء السنن فى الفتن والأشراف.

رحم الله أبا عمرو عثمان بن سعيد الدانى وجزاه الله تعالى عنا وعن المسلمين المتتبعين بعلمه خير الجزاء.

الفصل الثالث :

خطة القرطبي رحمه الله تعالى في كتابه
التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة

٣٢- خطة القرطبي ومنهجه في كتابه.

(٣٢) خطة القرطبي^(١) ومنهجه في كتاب التذكرة في احوال الموتى وأمور الآخرة

يتضح لنا من عنوان كتاب الإمام القرطبي رحمه الله تعالى أن أكثر موضوعاته عن الموت والبرزخ والبعث والحساب والميزان والصراط والحوض والجنة وما فيها من نعيم والنار وما فيها من ألوان العذاب، وقد استغرقت هذه الموضوعات أكثر أجزاء أو فصول الكتاب، وهي لا تدخل في موضوعنا، أما الذي يدخل في موضوعنا فقد شغل ما أطلق عليه القرطبي «كتاب الفتن» وهو آخر كتب هذا السفر الذي شغل قرابة سبعمائة صفحة نال منها كتاب الفتن قرابة مائة وسبعين صفحة عرض فيها مع الشرح والبيان والتعليق النصوص الواردة في كتب السنة وكتب التفسير عن موضوعات الفتن منذ مقتل الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان رضى الله عنه وأرضاه باعتبار أن هذا أول باب من أبواب الفتن فتح ولم يغلق بعد ذلك أبداً، ثم عرض باباً بعنوان «لا يأتى زمان إلا والذي بعده شر منه»، أى أن الفتن تزداد كلما تقدم الزمان، ثم عرض ما يجب على المؤمن علمه حيال الفتن من اعتزال الفريقين المتصارعين من المسلمين، ثم جاء بالنصوص الدالة على وجوب تعلم كتاب الله تعالى والإلتزام بأحكامه، وتقوى الله تعالى توقياً للفتن والنجاة منها.

وبعد أن تحدث عن بعض المسائل المتعلقة بالفتن ذكر مقتل الحسين رضى الله تعالى عنه. ثم تحدث عن التحذير من فتنة المال والنساء، ثم بدأ الكلام عن إمارات الملاحم وتداعى الأمم على أهل الإسلام، فذكر ما جاء فى قتال الترك للمسلمين وسياقتهم للمسلمين^(٢) وسياقة المسلمين لهم^(٣)، ثم تحدث عن ملاحم البصرة وبغداد والاسكندرية ثم تحدث عن الخليفة الكائن فى آخر الزمان ويقصد به المهدي وأفرد بضع صفحات للسفنيانى الذى يسبق حكمه خلافة المهدي، وفصل القول فى

(١) هو الإمام الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر بن فرج الأنصارى القرطبي المتوفى سنة ٦٧١ هـ.

(٢) الأرجح عندى أن سياقتهم للمسلمين هو كتابة عن حكمهم للمسلمين من خلال الخلافة العثمانية.

(٣) فى آخر الزمان فى عهد المهدي حيث يفتح القسطنطينية مرة ثانية.

المهدي وفيمن يوطئ له ملكه، وهم اصحاب الرايات السود القادمون من خراسان، وذكر حكمه وأعماله حتى فتح القسطنطينية للمرة الثانية، ثم أفرد عنواناً لأشراط الساعة، وهو يقصد بها الآيات العظمى فذكر الخسوف ثم الدجال ثم تحدث عن نزول المسيح عليه السلام، وذكر خبراً يقول: إن حوارى المسيح عليه السلام بعد نزوله هم أصحاب الكهف، وتحدث بعد هذا عن يأجوج ومأجوج.

ثم تحدث عن دابة الأرض التي تكلم الناس، وذكر خبراً يقول إنها ناقة صالح عليه السلام، ثم أفرد باباً لطلوع الشمس من مغربها، وغلق باب التوبة والأخبار الواردة في زمن مكوث الناس في الدنيا بعد ذلك ومدته.

ثم تحدث عن أحوال الناس بعد ذلك حتى تقوم الساعة.

وقد أفرد القرطبي باباً للآيات العشر التي تكون قبل قيام الساعة وعرض النصوص الواردة فيها ولم يحاول ترتيبها بحسب وقوعها في الزمان، وعرض روايات متعددة تختلف في الترتيب، من هذه الروايات ما تضمن

الترتيب التالي:-

- | | |
|-------------------------|----------------------------|
| ١- خسف بالشرق. | ٢- خسف بالمغرب. |
| ٣- خسف بجزيرة العرب. | ٤- الدخان. |
| ٥- الدجال. | ٦- دابة الأرض. |
| ٧- يأجوج ومأجوج. | ٨- طلوع الشمس من مغربها. |
| ٩- نار تخرج من قعر عدن. | ١٠- نزول عيسى عليه السلام. |

الثانية: ومنها ما جاء في الآيات بالترتيب التالي:

- | | |
|----------------------|-----------------------------|
| ١- الشمس من مغربها. | ٢- الدخان . |
| ٣- الدجال. | ٤- الدابة. |
| ٥- خسف بالشرق. | ٦- خسف بالمغرب. |
| ٧- خسف بجزيرة العرب. | ٨- نزول المسيح عليه السلام. |
| ٩- يأجوج ومأجوج. | ١٠- نار تخرج من قعر عدن. |

الثالثة : في رواية ثالثة جاء هذا الترتيب:

- | | |
|--------------------------|-------------|
| ١- طلوع الشمس من مغربها. | ٢- الدجال . |
|--------------------------|-------------|

- ٣- الدخان.
- ٤- دابة الأرض.
- ٥- ياجوج ومأجوج.
- ٦- نزول المسيح عليه السلام.
- ٧- خسف المشرق.
- ٨- خسف المغرب.
- ٩- خسف جزيرة العرب.
- ١٠- نار عدن.
- ومن ثم عقب على ذلك القرطبي قائلا: «جاءت هذه الآيات مجموعة غير مرتبة ما عدا حديث حذيفة المذكور أولا، فإن الترتيب فيه يثُمّ وليس الأمر كذلك على ما نبينه.» (١)
- وذلك لأن الأحاديث الصحيحة تضمنت ما يفيد نقض هذا الترتيب أيضا، وتوجد روايات لحديث حذيفة لا يتضمن (ثُمَّ) حسب وقوعها في آخر الزمان، وإنما جاءت في الروايات مجمعة على سبيل الإحصاء، ومن ثَمّ اختلفوا حول ترتيبها في الوقوع.
- ويرى القرطبي أن الخسوف وقعت أو وقع بعضها منذ عصر النبوة والصحابة، وعلى هذا فقد جعلها أولى الآيات وصرح بوقوعها، وهذا خطأ وقع فيه بعض العلماء من بعده، وكذا صاحب كتاب الإشاعة في أشراف الساعة كما سيأتي الكلام عنه بعد.
- ومما ورد في كتاب القرطبي خبر بعنوان «دروس الإسلام وذهاب القرآن»، قبل الكلام عن الآيات العشر مع أن هذا الحديث لا يكون إلا بعد طلوع الشمس من مغربها كما هو معلوم بالضرورة، لأن أهل الإيمان والقرآن موجودان في أيام بعض هذه الآيات، وإنما يكون رفع العلم والقرآن بعد الريح التي تقبض أوراخ المؤمنين، وهي لا تكون إلا بعد غلق باب التوبة بالآيات الثلاث (الشمس - الدابة الدخان).
- ولكن هذا لا يعتبر خطأ من القرطبي لأنه رحمه الله لم يقصد عرض الأشراف والآيات مرتبة حسب وقوعها في الزمان أي أنه لم يحاول ذلك، ولم يرغب إليه، ولم يبن خطة كتابه على هذا الأساس بدليل أنه جعل أخبار الآخرة والجنة والنار قبل أخبار أشراف الساعة.

الفصل الرابع

خطة ابن كثير في كتابه النهاية في الفتن والملاحم

٣٣ - خطة ابن كثير في كتابه النهاية في الفتن والملاحم

(٣٣) خطة الحافظ ابن كثير الدمشقي (رحمه الله) في كتابه النهاية في الفتن والملاحم

هو أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي المولود سنة ٧٠٠هـ أو بعدها بقليل كما ذكر ذلك الذين ترجموا له، وتوفي سنة ٧٧٤هـ ومن أشهر كتبه «التفسير» و«البداية والنهاية» وهو مرجع نفيس في التاريخ في ١٤ مجلد كبير^(١). وقد أرخ فيه من بدء الخلق حتى أحداث سنة ٧٦٨هـ أي قبل وفاته رحمه الله بنحو ٦ سنوات

أما المجلدين الخامس عشر والسادس عشر من هذا الكتاب فهما بعنوان «النهاية» وكما سماها ابن كثير نفسه لأنه جمع فيهما ما صح لديه من أخبار الفتن وأشرط الساعة والملاحم وأحوال الآخرة^(٢)، وقد تم طبعهما في سنة ١٤٠٢هـ-١٩٨١ م بنفس الاسم^(٣).

أما من خطته في الكتاب: فقد بدأ بذكر الأحاديث الصحيحة التي أخبر بها رسول الله ﷺ عن أحداث عامة وخاصة ستقع بعده وتحدث لصحابته من بعده، وقد حدثت بالفعل كما أخبر بها الصادق المصدوق ﷺ، مما يعد إعجازاً للنبي وأدلة كثيرة على صدق نبوته ﷺ، وقد جعل عنوان هذا الباب: بعض ما أخبر الرسول ﷺ، وبدأها بإخبار الرسول ﷺ بأنهم سيفتحون مصر، وإخباره بذهاب دولتي فارس والروم، ثم إشارة نبوية إلى أن عمر رضي الله عنه سيقتل، ثم إشارة نبوية إلى ما سيصيب عثمان بن عفان رضي الله عنه من المحنة، ثم جعل بعد ذلك عنواناً: إشارة نبوية إلى أن عمار بن ياسر سيقتل، ثم ذكر الخبر بأن مدة الخلافة ثلاثون سنة، ثم تتحول إلى ملك، ثم إشارة نبوية إلى أن الحسن سيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين، وهو كما حدث عند ما بايع الحسن رضي الله عنه معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما.

(١) طبعته مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٥٨هـ

(٢) قام بتحقيق كتاب النهاية الأستاذ محمد عبد العزيز ونشرته دار التراث الإسلامي بمصر سنة ١٩٨١

(٣) بتحقيق الأستاذ محمد أحمد عبد العزيز نشر دار الفكر العربي

وهكذا نجد أن ابن كثير قدرتب فصول هذا الباب ترتيباً موافقاً تماماً لتحقيق هذه الأحداث في الواقع التاريخي بعد وفاة رسول الله ﷺ، فجعل خبر فتح مصر قبل خبر القضاء على دولتي فارس والروم، تماماً ثم جعل بعدهما خبر مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، لأن هذا موافق لتسلسل هذه الأحداث، ثم خبر محنة عثمان رضي الله عنه ومقتله، ثم خبر مقتل عمار بن ياسر رضي الله عنه بعد ذلك، وأتى بعد هذا بخبر تحديد مدة الخلافة الراشدة بثلاثين سنة، وقد تمت هذه الثلاثين بستة أشهر، تولى فيها الخلافة الحسن رضي الله عنه، بعد مقتل الخليفة الراشد الرابع على بن أبي طالب رضي الله عنه، وبعدها صار الحكم ملكياً على يد معاوية رضي الله عنه.

كل هذا يدل على النزعة التاريخية عند ابن كثير رحمه الله تعالى، فهو يتوخى التسلسل التاريخي للأحداث، وعلى أساس هذا التسلسل يصنف الأحاديث الشريفة الصحيحة، التي نأى بها الرسول ﷺ، عن هذه الأحداث، وهو يتوخى من هذا هدفاً هاماً، وهو تقديم المزيد من الأدلة على صدق النبوة المحمدية، لمن تنفعه مثل هذه الأدلة من غير المسلمين فيؤمن، وكذلك هي نافعة للمسلمين إذ تزيدهم إيماناً مع إيمانهم، ومثل هذا الأمر يعد هدفاً لذاته سعى إليه البيهقي في كتابه دلائل النبوة، ولكن ابن كثير في النهاية يبدأ بإيراد أخبار الأحداث، التي حدثت بعد وفاة النبي ﷺ، ويمضي قدماً في الكتاب حتى ينتهي بأخبار أهل الجنة وأحوالهم ومعيشتهم الأبدية فيها، وكذا أخبار أهل النار وألوان العذاب فيها، ومن ثم فهو يرى أن الأحداث التي بدأت بعد وفاة النبي ﷺ هي بداية النهاية، والنهاية عنده ليست بقيام الساعة بل بدخول الجنة أو النار والعياذ بالله تعالى منها.

وحيث أن كتاب النهاية يقع في مجلدين فإن الأول تناول أكثر أشرط الساعة التي بدأت كما ذكرنا بأخبار فتح مصر والقضاء على فارس والروم وانتهى بالنصوص التي تتحدث عن لحظة قيام الساعة بعد ذكر أكثر أخبار الأشرط التي حدثت قبل عصره وأثبت حدوثها إثباتاً تاريخياً.

مثال ذلك: ذكره للحديث الشريف المتضمن « ظهور نار من أرض الحجاز تضيئ لها أعناق الإبل ببصرى من أرض الشام »، ثم تعقيته على الخبر بقوله: أن هذه النار ظهرت في المدينة المنورة واستمرت شهرا عام ٦٥٤ هـ.

ثم انتقل بعد هذا الخبر إلى تصنيف الأحاديث الحاملة للأخبار التي هي غيوب مستقبلية بعد زمانه فقال: ذكر إخباره ﷺ بالغيوب المستقبلية بعد زماننا هذا^(١)

والتي لم يعد بعضها غيبا بالنسبة لزماننا فذكر أولا من الفتن التي ستصيب الأمة بدلالة الأحاديث الصحيحة وأحوالا عامة للأمة مثل ما أشار إليه النبي ﷺ من تعاقب الخير والشر، وعودة الإسلام غريبا كما بدأ غريبا، ومثل افتراق الأمة، كذلك ما خص الله تعالى به أمة المصطفى الخاتم من أنها لا تجتمع على ضلالة، بينما اجتمعت الأمم السابقة؛ اليهود والنصارى وغيرهما على الضلال.

كذلك عرض بعض الأحكام التي يحتاج إليها المسلم في الفتن من الإذن باعتزال الناس عند اشتداد الفتن وتحكم الأهواء، والنهي عن تمنى الموت، ومع جواز تمنى الموت والدعاء به اتقاء الفتنة وخوفا منها.

وبعد هذه الصفحات القليلة انتقل ابن كثير رحمه الله تعالى إلى ما هو مباشر ورئيسي في موضوعنا وهو ما أدرجه تحت عنوان: « بعض أشرط الساعة التي أخبر بها رسول الله ﷺ »، فذكر رفع العلم في آخر الزمان، ثم بعد ذلك ذكر فضلا في المهدي الذي يكون في آخر الزمان، وأورد من الأخبار الواردة فيه، والتي صحت عنده صفحات عديدة ثم أورد نصوصا تحت عنوان: ذكر أنواع من الفتن ستكثر وتتفاقم في آخر الزمان.

ثم تحدث عن أمور تعلم أنها حدثت في عصرنا هذا، منها ما جعله تحت عنوان: إخبار الرسول ﷺ بما ستفجر عنه الأرض العربية من ثروات هائلة، وما سيكون لهذه الثروات من إثارة الشقاق وأسباب النزاع والقتال بين الناس.

ولكنه يورد تحت هذا العنوان قول ﷺ: « يوشك الفرات أن يحسر عن كنز من

(١) ابن كثير / النهاية ج ١ ص ٢٧ / دار الفكر العربي .

ذهب فمن حضره فلا يأخذ منه شيئا^(١)»

وكان العنوان يشير إلى أن ابن كثير رحمه الله تعالى يفهم أن هذا الجبل من ذهب إنما هو كناية عن ثروات تخرج من باطن الأرض العربية وإن لم يصرح بذلك.

والحق أن البترول الذي انفجرت عنه الأرض العربية هو ما ينطبق عليه أنه ثروات هائلة، كما أنه كان سببا في النزاع والقتال بين العرب، وأقرب حدث للأذهان هو غزو العراق للكويت، وما ترتب عليه من تواجد للقوات الأمريكية بالكويت والجزيرة والخليج بعد ذلك درءاً لتكرار هذا الغزو، وانقسام العرب وفرقتهم المستمرة.

ثم ذكر خبر الدجالين الذين يسبقون الساعة وخروج الناس أفواجا من الدين وردة بعضهم إلى الصنمية، وتجمع الأمم وتكالبهم على المسلمين مع كثرة عددهم طمعا فيهم واستخفافا بهم.

ثم ذكر خبر انتشار الغدر والخيانة بين الناس حتى لا يأمن المرء جليسه، وانتشار أنواعها من الفتن والشروور تكون النجاة منها في اعتزال المجتمع.

ثم ذكر أخبار فتنة الأحلاس التي تدوم وتستمر، ثم خبر الفتنة التي يكون وقع اللسان فيها كوقع السيف، ثم أخبار فتح القسطنطينية ورومية.

ثم ذكر بعض الأخبار عن خراب بعض البلدان إلا أنه حكم على الحديث بالوضع، ثم انتقل بعد ذلك إلى الموضوع الرئيسي في موضوعات الفتن وهو العلامات أو الآيات التي تقع بين يدي الساعة، وهي الآيات العشر، فذكر أولا بعض العلامات التي بين يدي الساعة وأهمها فتح القسطنطينية ورومية بعد الملحمة الكبرى.

ثم تناول الآيات العشر اللاحقة بين يدي الساعة أيضا، فذكر حديث حذيفة ابن أسيد الذي جاء الآيات مرتبة فيه كما يلي :

- | | |
|-------------|---------------------------|
| ١- الدخان . | ٢- الدجال . |
| ٣- الدابة . | ٤- طلوع الشمس من مغربها . |

(١) النهاية ج ١ ص ٦٤ وقد عز الحديث للبخاري .

٥- نزول عيسى بن مريم عليه السلام.

٦- بأجوج ومأجوج.

٧- خسف بالمشرق.

٨- خسف بالمغرب.

٩- خسف بجزيرة العرب.

١٠- نار تخرج من قبل المشرق تسوق الناس الى محشرهم.

ثم عقب بعد ذلك برواية أخرى جاء في آخرها: ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس او تحشر الناس تبيت معهم حيث باتوا وتقبل حيث قالوا.

كأنه بذلك يقبل هذا الأخير في الحديث ولم يحاول ابن كثير ترتيب هذه الآيات بحسب وقوعها في الزمان أي الترتيب الذي ستقع به، ولكنه عاد مرة أخرى إلى ذكر قتال الملحمة العظيمة مع الروم الذي آخره فتح القسطنطينية، إذ بعد فتحها فتح رومية ثم يخرج الدجال، فأورد الأحاديث التي صحت عند العلماء حول هذه الملحمة العظيمة، وكأنه عمد إلى ترتيب الحدث قبل الحدث، حسب وقوعه في الزمان، لأنه أتى بعد هذا خبر نزول المسيح عيسى بن مريم عليه السلام وقته للدجال.

وذكر بعض أحاديث عن الروم وبعض خصالهم الحسنة وكثرتهم في الناس قبيل قيام الساعة، ثم أورد حديث الملحمة الكبرى وفتح القسطنطينية وخروج الدجال في سبعة أشهر^(١) وهذا يفيد ترتيب هذه الأحداث وقربها الشديد وهي تدور حول آيتين من الآيات العشر، هما خروج الدجال ونزول المسيح وقته ليأه.

إلا أن ابن كثير لم يرتب الآيات حسب الترتيب المرتقب أن تحدث به في الزمان، فقد عاد وأفرد للأحاديث الواردة في الدجال عنواناً رئيسياً «الكلام على أحاديث الدجال»^(٢)، ذكر فيها أحاديث ابن صياد ثم التحذير من الدجال وأوصافه وانتهى إلى ترجيح القول بأن ابن صياد هو الدجال الأكبر، وإن كان أحد الدجاجلة الكبار الكثر، ثم ذكر حديث الجساسة ونزول المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، ومقتل الدجال، واستمر في ذكر أخبار الدجال حتى شغل قرابة المائة صفحة ثم انتقل إلى ذكر نزول عيسى بن مريم عليه السلام من السماء إلى الأرض^(٣).

(١) النهاية ج ١ ص ٩٧.

(٢) النهاية ج ١ ص ١٠٣.

(٣) السابق ص ١٨٢.

ثم بعد ذلك أتى بالأحاديث التي تتحدث عن يأجوج ومأجوج (١)، ومن ثم فإن ابن كثير يتفق مع نعيم بن حماد رحمهما الله تعالى على النحو التالي :

١- المهدي. ٢- فتح القسطنطينية ورومية.

٣- خروج الدجال . ٤- نزول المسيح عليه السلام وقتل الدجال.

٥- خروج يأجوج ومأجوج.

ثم عقد بضع صفحات ضمت اخبار خروج الدابة من الأرض (٢). ثم ذكر خبر طلوع الشمس من مغربها (٣) ثم ذكر الدخان الذي يكون قبل يوم القيامة (٤).

ومن ثم يكون ابن كثير قد رتب الآيات الست على النحو التالي:

١- الدجال. ٢- نزول عيسى عليه السلام.

٣- خروج يأجوج ومأجوج. ٤- الدابة.

٥- طلوع الشمس من مغربها ٦- الدخان.

ويتفق أكثر العلماء معه في هذا الترتيب فتكون خطته في عرض هذه الآيات الست موافقة لترتيب حدوثها في الزمان، ويبقى بعد هذا اربع آيات هي:

١- خسف المشرق. ٢- خسف المغرب. ٣- خسف جزيرة العرب.

٤- النار التي تخرج من قعر عدن وهي آخر العلامات.

بيد أني لم اجد في خطة ابن كثير ما يشير الى ترتيب حدوث هذه الآيات الأربع، والجدير بالذكر أن ابن كثير رحمه الله تعالى لم يعتمد الى الترتيب الزمني للأشراط والآيات التي بين يدي الساعة، ولم يحاول ذلك، إلا أنه رتب بعض الآيات بحسب وقوعها في الزمان دون البعض، لأن بعض لآيات ورد بالنصوص ما يفيد اسبقية حدوثها على بعض، وهذه هي التي أوردتها مرتبة، اما الأربعة الأخيرة وهي الخسوف الثلاثة والنار فقد تحجر في ترتيب حدوثها كثير من العلماء ومنهم نعيم كما ذكرنا، ومن ثم سكت عنها ابن كثير.

لكن من الجدير بالذكر ايضاً أنه ذكر من الأشراط قبل الآيات ما لا يحدث إلا بعد

(٢) السابق ص ٢٠٨.

(٤) السابق ص ٢٢٣.

(١) السابق ص ١٩٤.

(٣) السابق ص ٢١٤.

وقوع بعض الآيات أو ما يحدث متخللاً للآيات منها: رفع العلم، وغزو الأبحاش للكعبة المشرفة وهدمها، إذ جعلها قبل طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة وفي هذه خلاف بين العلماء، ولكنه يتفق مع أكثر العلماء، إن لم يكن كلهم في أن المهدي وفتح بلاد الروم يسبقان خروج الدجال.

وهذه النتيجة لها قيمتها الكبرى علمياً وتاريخياً، لأن ابن كثير له منهجه النقدي المتشدد سواء للسند أو للمتن، هذا التشدد الذي جعله يسقط كثيراً من الأخبار والنصوص الصحيحة لغرابتها أو لمجرد الضعف الخفيف في السند الأمر الذي يجعلنا مطمئنين إلى صحة النصوص التي تنبئ بمجيء المهدي وإقامة الخلافة الراشدة وفتح قسطنطينية مرة ثانية ثم فتح روما التي منها جانب في البحر وجانب في البر، ومن ثم يخرج الدجال على أثر ذلك، ثم ينزل المسيح عيسى بن مريم عليه السلام على أثر خروجه أو بعد أربعين يوماً لخروجه. ثم يقتله ثم خروج يأجوج ومأجوج بعد ذلك.

لأنه إذا كان منهج ابن كثير المتشدد في النقد قد قبل هذه الأخبار فلا سبيل لأحد بعده لإنكارها.

والخلاصة: أن خطة ابن كثير رحمه الله تعالى لم تجعل ترتيب الاشارات التي لم تحدث حتى عصره حسب وقوعها مطمحاً رئيسياً، ولم تجتهد لمعرفة ترتيب الآيات، وما توصل إليه من ترتيب الآيات الستة المذكورة ليس اجتهداً وإنما هو بدلالة النصوص الصريحة، ومن ثم لم يذكر مطلقاً الآيات الأربع، وهذا منهج العالم الحصيف الذي لا يكتب ولا يتحدث إلا بما ثبت صحته لديه.

ولئن كان ابن كثير كذلك، وهو بلا شك منهاج وسبيل الراسخين في العلم من علماء هذه الأمة، فإن علماء آخرين أثروا الاجتهاد في هذه القضية الهامة غير خائفين من الخطأ املاً في أن يمن الله تعالى عليهم بالحق واصواب، فينفع الله باجتهداتهم المسلمين، وينالوا أجر المجتهد المصيب، أو يمن الله تعالى عليهم بالمغفرة إذا أخطأوا وينالوا أجر المجتهد الذي لم يوفق إلى الصواب.

من هؤلاء الذين سنعرض لخططهم ومنهجهم البرزخي والسفاريني وبعض العلماء المعاصرين.

الفصل الخامس

خطة الشريف محمد بن رسول الحسيني
البرزنجي رحمه الله تعالى في كتابه:
«الإشاعة لأشراط الساعة»

٣٤ - خطة البرزنجي في كتابه الإشاعة

٣٥ - تسلسل أحداث «الأشراط العظمي» الأمارات والآيات عند

البرزنجي

(٣٤) خطة البرزنجى فى كتابه الإشاعة لأشراط الساعة

هو الشريف محمد بن رسول الحسينى البرزنجى من فقهاء الشافعية له علم بالتفسير والأدب، رحل الى بغداد ودمشق ومصر، استقر فى المدينة ودرس بها، وفيها توفي سنة ١١٠٣ هـ وله عدة كتب هذا واحد منها.

وقد صدرت الطبعة الاولى للكتاب بدون تحقيق بالقاهرة وذكر البرزنجى ما دعاه الى تأليف الكتاب بقوله: «فإنى لما رأيت الحافظ جلال الدين ابا الفضل عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطى ذكر فى خطبة كتابه الذى ألفه فى بيان حال الموتى المسمى بشرح الصدور بشرح حال الموتى فى القبور مانصه: وأرجو إن كان فى الأجل فسحة ان اضم إليه كتابا إن شاء الله تعالى فى أشراط الساعة وآخر فى احوال البعث والقيامة وصفة الجنة والنار على وجه الاستيعاب ايضا، حقق الله ذلك بمنه وكرمه.

ووجدته قد ألف فى احوال البعث وما بعده كتابا سماه «البدور السافرة فى أمور الآخرة» ولم اجد له كتابا فى اشراط الساعة إما لعدم تأليفه او لانعدامه اولغير ذلك، احببت ان أولف فى أشراط الساعة كتابا مستوعبا لها، وكما أراد الحافظ السيوطى فيكون برزخا بين كتابيه شرح الصدور والبدور السافرة او مقدمة لهما(١).

ومن ثم يمكن القول ان البرزنجى هو اول من افرد لأشراط الساعة كتابا مستقلا مستوعبا لما كتبه السابقون عليه فى هذا الموضوع، إذ كان اكثر العلماء يجعلون الأشراط فصلا فى باب الفتن، كما خلط بعضهم بين الفتن والأشراط فى حين كل فتنة من الأشراط، وليس كل شرط من اشراط الساعة فتنة، لأن المهدي الذى يعتبره العلماء من الأشراط العظمى ليس فتنة، اوزعيما لفتنة، وإنما هو خليفة راشد وقائد هدى وقامع فتنة، على هذا فموضوع الأشراط مستقل عن الفتن، إن كان ثم تداخل بينهما، الأمر الذى يوجب إفراد هذا الموضوع فى كتب مستقلة، وهو ما فعله البرزنجى بتوجيه من السيوطى رحمهما الله تعالى.

ذكر البرزنجي خطته العامة في الكتاب بقوله : انقسمت الإمارات الى ثلاثة اقسام:

- ١- قسم ظهر وانقضى وهي الإمارات البعيدة
- ٢- وقسم ظهر ولم ينقض، بل لا يزال يتزايد ويتكامل، حتى إذا بلغ السعاية ظهر القسم الثالث.
- ٣- والقسم الثالث هو الإمارات القريبة الكبيرة التي تعقبها الساعة كنظام خرز انقطع سلكها.

فلنذكر كل باب على حدة، وهذاترتيب لم اره لغيري، ولعله اقرب الى الضبط وانفع للعوام إن شاء الله تعالى»^(١)

ومن ثم جعل الكتاب ثلاثة ابواب لكل باب قسم من الاشراف، وقد جعل عنوان القسم الأول : الإمارات البعيدة التي ظهرت وانقضت، وقد بدأها بموت النبي ﷺ، وهو من اعظم المصائب في الدين بل هو اعظمها»^(٢)

ثم استرسل في سرد النصوص النبوية التي نبأت عن الأحداث التالية التي هي اقرب للشر وللقتل، مثل قتل عمر بن الخطاب، ثم قتل عثمان بن عفان رضي الله عنهما، ثم وقعة الجمل ووقعة صفين ووقعة النهروان ثم مقتل الإمام علي بن ابي طالب رضي الله عنه، ثم موت الحسن بن علي رضي الله عنه، ثم مقتل الحسين رضي الله عنه ثم وقعة الحرة ومنها خراب المدينة، ثم قتل ابن الزبير وهدم الكعبة، ثم بعد ذلك انتقل الى فتنة الفاطمية واستيلائهم على المغرب، وثم غزو التتار للعالم الإسلامي.

كذلك لم يقتصر في هذا الباب على الأحداث التاريخية، إذ أضاف اليها بعض الاشراف التي نبأ بها رسول الله ﷺ في مجال الأحداث الطبيعية او الكونية او الجيولوجية، مثل نار الحجاز التي اضاءت لها اعناق الإبل بصرى بالشام هذا الحدث

(١) البرزنجي / الإشاعة ص ٣

(٢) الإشاعة ص ٤

الذى ذكر ابن كثير رحمه الله أنه حدث فى عصره وذكر البرزنجى أنه قد صاحبه زلازل شديدة وحدث بعده بستين غرق اهل بغداد والعراق بفيضان شديد لنهر دجلة ثم غزو التار وقتل الخليفة المستعصم.

ثم ذكر فتنة الرافضة واستبدادهم بالملك بعد ذلك، ومن اهم علاماتهم انهم لا يشهدون جمعة ولا جماعة ويطعنون على السلف الأول اى يسبون الصحابة.

ثم ذكر خبر خروج الدجالين الكذابين الذين زعموا أنهم رسل الله عز وجل، كما نبأ عنهم المصطفى الخاتم ﷺ.

ونحدث بعد ذلك عن القرامطة باعتبار ان أبا طاهر القرمطى احد هؤلاء الدجاجلة ونحدث عن زوال الجبال عن اماكنها ووقوع الخسوفات الثلاث وكثرة الزلازل والرجف والمسح والقذف والريح الحمراء، وظهور الكوكب الذى له ذنب ، ورضخ رؤرس اقوام بكواكب من السماء، وكثرة الموت والقحط.

ثم يختم هذا الباب بتنبيه فى قوله ﷺ (الفتن بعد المائتين) فقال : إن هذا يحتمل أن تكون المائتان بعد الهجرة، ويحتمل أن تكون المائتان بعد الألف، ثم يرجح الإحتمال الأول لان اكثر ما ذكره فى هذا الباب من الفتن الخلافية وفتن الفرق والأحداث الجيولوجية من الزلازل والخسف قد حدث فى القرن الثالث وما بعده، والجدير بالذكر هنا ان البرزنجى قد رأى ان الخسوفات الثلاثة التى هى بعض الآيات العشر قد حدثت فيما حدث بعد المائتين وقبل الألف، وهذا خطأ منه سنوضحه فى حينه من بعد بإذن الله تعالى.

وهو يرى أنه لو كان المقصود بالمائتين بعد الألف لا يلزم أن يتأخر المهدي الى القرن الثالث عشر لانه يجوز أن يأتى المهدي قبيل هذه الآيات التى يكون المقصود بها طلوع الشمس من مغربها والدابة والدخان، ومن ثم يرجح ظهور المهدي خلال المائة الثانية بعد الألف أى قبل عام ١٢٠٠ هـ وقطع بذلك بقوله (فلا يتأخر عن المائة الثانية قطعاً).

ثم انتقل بعد هذا إلى الأحاديث التى أنبأنا فيها الرسول ﷺ عن الأمارات التى

ظهرت واستمرت، بعد ظهورها، وتزايد الى ان تتكامل فيحدث بتكاملها القسم الثالث من الأشراف

وقد أطلق البرزنجي على هذا القسم من الأشراف الأمارات المتوسطة، وهو موضوع الباب الثاني من الكتاب، وبقراءة هذا الباب ندرك انه يقصد بالامارات التي لا تنقضى وتستمر وتزايد الأحوال السياسية والاقتصادية والعلاقات الدولية وكذا احوال المسلمين الخلقية والأسرية وتطورات هذه الأحوال عند البشر عموماً.

فأورد الأحاديث التي تدل على زيادة الشر في الأرض يوماً بعد يوم وطغيان الكفر والإلحاد وانحسار الإسلام والإيمان رويدا رويدا حتى لا يكون الإيمان إلا في الحجاز او مكة والمدينة المنورة وهذا في آخر الزمان بطبيعة الحال.

والأحاديث الدالة على الإنحلال الجنسي وإباحة الزنا والشذوذ وقطيعة الرحم وحكم الرويضة وسفلة الناس واللاثام، وفشو الكذب والغدر وكذا تخوين الأمين وإثمان الخائن الى آخر ذلك من الأمور الخلقية والأحوال الاجتماعية للناس التي نبأ عنها رسول الله ﷺ وبدأ حدوثها منذ قرون وتزداد وتشيع بين الناس حتى صار المعروف منكراً والمنكر معروفاً ومنها شيوع الربا.

ولا شك ان التغيرات الاجتماعية والخلقية والسياسية والاقتصادية هي من الأمور التي تحدث خلال اجيال متعددة وليس حدوثها طفرة خلال العام الواحد او الجيل الواحد.

وكذا ما يستحدث من تطور عمراني او تقدم صناعي أيضاً هو من هذا القسم لأنه ينحقق خلال الأجيال والقرون مثل التطاول في البنيان الى ان نطحت العمارات السحب.

وكذلك مثل زخرفة المساجد وتحلية المصاحف وإطالة المنابر وما ورد عن حديث الرجل لسوطه، وكثرة القذف، وتقارب الأسواق وغير ذلك من الأحوال المتزايدة حتى إذا اكتملت بدأ القسم الثالث من الأشراف وهي التي افرد لها الباب الثالث.

وغنى عن البيان ان البرزنجى لم يعاصر اكتمال هذه الاشرط الوسطى، وإن كان قد شاهد وعاین كثيرا منها كما ذكر ذلك اكثر من مرة.

اما القسم الثالث فقد خصص له البرزنجى الباب الثالث والآخر من الكتاب وقد سماه فى الاشرط العظام والامات القريبة التى تعقبها الساعة، وقد افرد لهذا الباب اكثر من مائة وعشرين صفحة اى قرابة ثلثى الكتاب، وهى عنده التى ستبدأ فى آخر الزمان بين يدى الساعة بعد ان تكتمل الاشرط الوسطى تماما.

ومعلوم لنا مما سبق أن موضوع هذا القسم مما اختلف فيه العلماء فلم يتفقوا على ترتيب احداثه، إلا فيما يخص بعض الأحداث التى دلت الأحاديث على ترتيبها، ومعلوم لنا ايضا مما سبق ان الآيات العشر التى تسبق الساعة مباشرة هى اهم احداث هذا القسم، وللبرزنجى اجتهاده الخاص لترتيب هذه الأحداث كما سنرى.

(٣٥) ترتيب وقوع الأشرار العظيمة (الإمارات والآيات) عند البرزنجي

- ١ - الفتن الواقعة قبل المهدي.
- ٢ - العلامات التي يعرف بها والأمارات الدالة على قرب خروجه
- ٣ - اسمه ونسبه ومولده ومبايعته ومهاجره وحليته وسيرته.
- ٤ - ذكر الملحمة الكبرى وهي التي تكون بين الأمة الإسلامية بقيادة المهدي وبين الروم (أوربا)
- ٥ - ذكر خروج الدجال : اسمه ونسبه ومولده.
- ٦ - حليته وسيرته وزمنه
- ٧ - خروجه ووقته ومدته وكيفية خروجه وطريق النجاة منه.
- ٨ - نزول عيسى بن مريم عليه السلام، حليته وسيرته
- ٩ - قتله للدجال
- ١٠ - مدته ووفاته.
- ١١ - خروج يأجوج ومأجوج ثم هلاكهم.
- ١٢ - خروج القحطاني والجهجاه والهيثم والمقعد.
- ١٣ - طلوع الشمس من مغربها.
- ١٤ - الكلام على دابة الأرض
- ١٥ - الدخان.
- ١٦ - الريح الطيبة التي تقبض ارواح المؤمنين
- ١٧ - عقم النساء.
- ١٨ - رفع القرآن من المصاحف والصدور

١٩ - هدم الكعبة

٢٠ - رجوع الناس الى عبادة الأوثان

٢١ - ربح تلقى الناس فى البحر

٢٢ - قصد الزمان وتقارب الأيام.

٢٣ - نار تخرج من قعر عدن تسوق الناس الى محشرهم وهى آخر الآيات العشر.

ثم ختم الكتاب بخاتمة فى ذكر الباقي من عمر الدنيا الى قيام الساعة بعد خروج النار، وأورد قبل ذلك ان عمر الدنيا بعد قبض المؤمنين بالريح وبقاء الأشرار مائة وعشرين عاماً.

والذى يمكن ملاحظته على خطة البرزنجى مايلي:

١- لاشك أنه يُعتبر حتى عصره من أكثر العلماء توفيقاً فى وضع خطة التى لم يسبقه احد إليها، فهى تمتاز بوضوح الرؤيا بالنسبة لأشراط الساعة، إذ جعل الأبواب بحسب طبيعة الأشراط مع مراعاة ترتيب الأشراط فى كل باب بحسب اسبقية كل منها فى الحدوث فكان تاريخياً بالنسبة لما وقع من الأشراط قبل عصره، وكان ترتيبه اجتهادياً بالنسبة لما هو مستمر حتى عصره وبالنسبة لما بعده.

٢- اخطأ البرزنجى بوضع الخسوفات الثلاث ضمن الباب الأول باعتبار أنها قد حدثت فى زمن بعض الخلفاء العباسيين معتمداً على وقوع بعض الخسوف والزلازل فى مختلف بلاد العالم الإسلامى، وقد ذكر عدداً كبيراً من الخسوف والزلازل تدليلاً على رأيه هذا، ولكن هذا خطأ منه لأسباب متعددة:

أ- أن الخسوفات الواردة ضمن الآيات العشر ثلاث بالعدد كما نصت عليها الأحاديث الخاصة بالآيات وهى: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، بينما الخسوف التى ذكرها أكثر من ثلاثة.

ب - الخسوفات الثلاث آيات فهى إذن أحداث خارقة لسنن الطبيعة او قوانين اضطرابات القشرة الأرضية التى تحدث بين الحين والآخر فى بعض قطع الارض

غير المستقرة ذات البراكين والزلازل، وكونها آيات، اى انها ستكون خسوفا عظيمة ولم يحدث لها نظير من قبل ، بينما الخسوف التى عرضها البرزنجى من قبيل الأحداث الجيولوجية المحلية المعروفة المتكررة.

ج - الآيات كلها تقع بين يدى الساعة، وهى من العلامات العظمى كما عبر عنها البرزنجى فكيف يقع بعضها فى القرون الخمسة الهجرية الأولى ، ثم يتأجل أو يتأخير وقوع البعض حتى نهاية القرن الحادى عشر الذى عاصره البرزنجى وكذلك حتى نهاية القرن الرابع عشر الذى نعاصره نحن الآن ومعلوم أن الآثار كثر فى إثبات ان الآيات كخزوات منظومات فى سلك، إذا انقطع تساقطت منه تباعا بحيث لا يكون بين بعضها والآخر فترات زمنية طويلة .

د - لم يدرج البرزنجى الخسوف ضمن الأشراف الكبرى كما انه لم يفرق فى هذه القسم بين الآيات والأشراف او العلامات، ومع ان حديث الرسول ﷺ لم يطلق على هذه العشرة سوى لفظ الآيات ومنها الخسوف ، فإذا بالبرزنجى يدخل فى هذا القسم من الأشراف ما ليس من الآيات ، كما انه ادخل فى غير هذا القسم الخسوف وهى من الآيات.

هـ - ونتيجة لإسقاط الخسوف من الآيات لمجد البرزنجى قد رتب الآيات السبع الباقيات كالتالى :

٤- نزول المسيح عليه السلام

٣- الدجال.

٦- طلوع الشمس من مغربها.

٥- يأجوج ومأجوج

٨- الدخان

٧- الدابة

٩- النار التى تخرج من قعر عدن

وهو بلاشك موفق بالنسبة لترتيب هذه الآيات اكثر من غيره من العلماء السابقين، عليه كما رأينا وكما سنرى تفصيلاً، ولو لم يغفل وضع الخسوف معها لكان له سبق الوصول إلى الترتيب الذى ترجع صحته عندى فى الجزء الأول من هذا الكتاب

و- يلتمس القارئ لهذا القسم من كتاب البرزنجي بعض التردد والاضطرابات حيال ترتيب العلامات العظمى المصاحبة والمتخللة للآيات وهو ما وجدته عند كل السابقين عليه، من هذا مثلاً: أنه جعل رفع القرآن الكريم من الصدور والمصاحف بعد قبض أرواح المؤمنين بالريح الطيبة وهذا قول متناقض لأن الصدور الحاملة للقرآن الكريم صدور مؤمنين وبالتالي لا يبقى صدر بعد الريح التي تقبض أرواح المؤمنين حافظاً للقرآن كما لا يبقى قرآن في المصاحف بعد قبضهم حيث لا يتفجع به أحد من الكافرين.

ولكن أياً كانت الملاحظات على خطة البرزنجي في كتابه، فمن حقه علينا أن نقول أنها أفضل خطة للأشراط حتى عصره وأنه رحمه الله تعالى قد صدق عندما قال عنها، « وهذا ترتيب لم أره لغيري، ولعله أقرب إلى الضبط وانفع للعوام ان شاء الله تعالى » وأشهد أنه كما قال بإذن الله تعالى.

بل ربما صح القول أنه لم يكتب بعد البرزنجي في الأشراط أحداً إلا وتأثر بخطته غير المسبوقه، وأثره واضح في المعاصرين كما سنرى عندهم بإذن الله تعالى.

الفصل السادس

ترتيب السفارينى للإشراف في كتابه لوايح الأنوار البهية

٣٦- ترتيب السفارينى للإشراف في كتابه لوايح الأنوار

(٣٦) خطة العلامة محمد سالم السفاريني في كتابه لوامع الأنوار البهية.

عاصر السفاريني رحمه الله القرن الثاني عشر الهجري حيث توفي بنابلس عام ١١٨٨ هـ، ومن ثم يكون قد استفاد من الشريف البرزنجي ومن سبقوه من العلماء الذين كتبوا في هذا العلم، ويعتبر كتابه «لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرر المضيئة في عقيدة الفرقة المرضية»، سفرًا ضخماً بحث في الجزء الأول منه جميع مسائل التوحيد الرئيسية وعرض فيها لأقوال الفرق المخالفة لعقيدة السلف وأهل السنة والجماعة وتصدى للرد عليها لبيان زيفها ومواضع الإنحرافات فيها.

وفي الجزء الثاني تناول بعض السمعيات التي تختص باليوم الآخر والموت والبرزخ وانتهى إلى عقد باب خاص بأشراط الساعة عرض فيه للأقسام الثلاثة حسب خطة الشريف البرزنجي.

أ - ما قد مضى وانقضى.

ب - ما ظهر واستمر.

ج - العلامات الكبرى

وقد اختصر القسمين الأول والثاني في بضع صفحات ثم فصل تفصيلاً دقيقاً في القسم الثالث في قرابة الثمانين صفحة حتى يحق لنا أن نعدل عنوان هذا الباب عنده ليكون في أشراط الساعة الكبرى بدلاً من العنوان الحالي وهو في أشراط الساعة، لان الأشراط ماقبل الكبرى لم تكن عنده إلا كتمهيد لموضوع الأشراط الكبرى.

ومع ان السفاريني قد بدأ الأشراط الكبرى بأحاديث المهدي على الفور من غير أن يقدم الترتيب الذي سيتبعه في عرض الأشراط الكبرى والآيات إلا أنه يفاجئنا في منتصف الباب تقريباً بعد الكلام عن طلوع الشمس من مغربها وهي العلامة الثامنة عنده بعقد مبحث صغير عن ترتيب الآيات، وكان الأجدر ان يكون هذا المبحث في اول الفصل، إذ يتضمن هذا المبحث خطته في عرض الآيات والأشراط الكبرى قال السفاريني: وقال الحليمي من الشافعية: أول الآيات الدجال ثم نزول عيسى عليه السلام ثم طلوع الشمس من مغربها.

«قلت: (١) والذي يظهر، والله أعلم، أن أول الآيات خروج المهدي ثم الدجال ثم نزول عيسى عليه السلام ثم خروج ياجوج ومأجوج ثم هدم الكعبة ثم الدخان ثم ارتفاع القرآن ثم طلوع الشمس من مغربها، ويحتمل أن طلوع الشمس مستقدم على رفع القرآن وخروج الدابة عقب طلوع الشمس من مغربها في يومها أو قريباً منها، وهذا هو النسق الذي مشيناً عليه وإخترناه والله أعلم، وأما خروج السفينتين فإنه وإن كان قبل خروج المهدي إلا أنه لم يعد خروجه آية وإنما هو علامة لخروج المهدي والله أعلم (٢)».

(٣٧) ترتيب السفارين للإمارات والآيات التي يطلق عليها الكبرى حسب حدوثها في الزمان؛

أما ترتيب الأشراف عنده، فقد اجتهد رحمه الله تعالى ليقيم لنا الأشراف والآيات متسلسلة من أول العلامات الكبرى إلى آخرها التي تقوم بعدها الساعة، وهي عنده كالتالي:

١- ما يسبق المهدي من علامات وفتن هي

أ- خروج السفينتين ويعاصره الأبقع والأصهب والأعرج الكندي

ب- خروج الحارث والمنصور، وذكر شعيب ابن صالح

٢- العلامة الأولى المهدي: اسمه واسم أبيه وسبب تسميته بالمهدي ونسبه وحليته وصفته وسيرته وبيعته وما يتصل بها ومدة ملكه.

٣- العلامة الثانية وهي الدجال

أ- مجاء في صفته وقول البعض أنه شيطان لا إنسان

ب- عظم فتنته ومدة بقائه وطول بعض أيامه.

(١) القائل هو السفاريني انظر لوامع الأنوار ج ٢ ص ١٤١

(٢) السفاريني / لوامع الأنوار ج ٢ ص ١٤٢

أنا استخدم مصطلح الكبرى هنا التزاماً بأمانة عرض مذهبه، وإن كنت لا أوافق عليه حسب ما فصلته من قبل تحت عنوان المصطلحات الأربعة. د. الدسوقي.

ج - جنة الدجال وناره، هل حقيقة ام تخيل ؟!

د - المؤمن الذى يقتله الدجال.

٤- العلامة الثالثة وهى نزول عيسى عليه السلام.

أ- الأدلة على نزوله من الكتاب والسنة والإجماع.

ب - حليته وسيرته.

ج - وقت نزوله ومحلّه وما يجرى على يديه

د - قتله للدجال وقتل المسلمين لأتباعه من اليهود

٥- العلامة الرابعة : خروج يأجوج ومأجوج

أ- إثبات وجودهم وخروجهم بالكتاب والسنة

ب - اشتقاق الاسمين، وإثبات نسبهم وقبائلهم.

ج - سبب خروجهم وإهلاكهم

د - هلاكهم

٦- العلامة الخامسة هدم الكعبة

٧- العلامة السادسة الدخان

٨- العلامة السابعة : رفع القرآن

٩- العلامة الثامنة: طلوع الشمس من مغربا.

١٠- العلامة التاسعة: دابة الأرض.

١١- العلامة العاشرة: النار التى تخرج من قعر عدن

وبالرغم من أن السفينانى من العلامات المعاصرة للمهدى إلا أن السفارينى لم يدرجه من العلامات او الآيات الكبرى، معللاً مسلكه هذا بأنه ليس من الآيات وإنما هو من علامات خروج المهدي.

وما يمكن ملاحظته على خطة السفاريني مايلي:

١- خلط السفاريني بين الآيات العشر التي تسبق الساعة مباشرة وبين العلامات فلم يفرق بين مفهوم كل منهما، وهو أمر يورث اللبس وهذا ما حدث عنده وعند من جاءوا بعده، وبالرغم من أن رسول الله ﷺ أفرد للآيات العشر حديثاً، ولم يطلق اسم الآية إلا عليها، بينما ذكر ماسوى هذا من العلامات تحت اسم الأشراف، ومن ثم فقد وجب التمييز بين مفهوم الآية ومفهوم الشرط أو العلامة كما وضحتُ هذا في الباب الأول.

٢- أدخل السفاريني المهدي في الآيات، واعتبره واحداً منها، مع أن الروايات لم تذكره منها إذ جاءت فيها جميعاً على سبيل الإحصاء عشر فقط وليس فيها المهدي، وأدخل السفاريني أيضاً فيها هدم الكعبة ورفع القرآن الكريم ومن ثم ترتيبه للعلامات العشر قد اشتمل على ثلاث علامات ليست من الآيات، ومع ملاحظة أنه توقف عند آخرها وهي النار التي تخرج من قعر عدن، وهي في حديث الآيات العشرة والآخرة .

٣- اغفل السفاريني الخسوف الثلاثة الواردة بأحاديث الآيات، وأحل محلها العلامات الثلاث السابق ذكرها، فانضبط العدد وجاءت النار رقم (١٠) في العلامات الكبرى، كما أطلق عليها، وعلى هذا فقد اعتبر السفاريني هذه الخسوف من العلامات التي انقضت، ومن ثم فهي ليست من الكبرى عنده، هذا خطأ وقع فيه كما وقع فيه البرزنجي من قبل، لأن هذه الخسوف هي من أحداث القيامة المصاحبة لزلزلة الساعة، كما وضحت من قبل في الجزء الأول .

٤- لم يورد السفاريني من العلامات الكبرى: الريح التي تقبض أرواح المؤمنين، ورفع العلم بقبض العلماء، والمحملة، وفتح القسطنطينية مرة ثانية، وفتح رومية. هذه جميعاً من العلامات الكبرى التي نصت عليها كثير من الأحاديث وهي مصاحبة للمهدي أو للعهد المهدي، وهو لم يوردها لأنها ليست من الآيات بالرغم من أنه أورد المهدي الذي تحدث في عهده هذه الأحداث وهو ليس من الآيات، ولعله رحمه الله توخى ذلك لضبط العلامات إحصائياً فلا تزيد عن العشر. وهذا كله

نتيجة الخلط بين مفهوم الآية ومفهوم الشرط او العلامة، وعدم التمييز بين كل منها. ومن ثم يمكن القول ببناء على هذه الملاحظات ان الآيات التي هي خرزات في سلك تتوالى إذا انقطع ، كما وصفها الحديث الصحيح، هي جميعا من العلامات العظمى، وإن لم تكن كل العلامات العظمى، إذا كان فهمنا للعلامات العظمى أنها التي تحدث بين يدي الساعة والمباشرة لها.

فالخسوف الثلاثة إذن هي من العلامات العظمى، وما يقع بين يدي الساعة، لم تقع من قبل، ومن فهي إما أن تكون قبل المهدي مباشرة، او معاصرة له، أو بعده مباشرة، أو قد تكون بين الآيات السبع الأخرى، فمن الخطأ إذن تصنيفها ضمن العلامات الصغرى التي انقضت من قبل في عصر الخلافة العباسية او ما بعدها.

لاشك أن المهدي من العلامات العظمى، بدليل معاصرته للدجال ومعاصرته ايضا لنزول المسيح عليه السلام، وكل منهما من الآيات من ثم فهو عندي من الأمارات.

ومن ثم فإنه يصح استنباط العلماء القائل بأن السفينتين من العلامات العظمى او الكبرى، مع انه ليس من الآيات، وذلك لمعاصرته للمهدي، لكن السفارينى رحمه الله تعالى أصر على أن الكبرى عشر فقط: ثلاث علامات وسبع آيات وهذا مما أورث اللبس والخلط بين الآيات والعلامات عند العلماء من بعده، وعقد مسألة ترتيب وتعيين زمان الخسوف وموضع هذه الآيات الثلاث بين الآيات العشر.

لذا يمكن القول ان هذا الترتيب الذى وضعه السفارينى للأشراط الكبرى إنما هو مجرد نقل عن البرزنجي مع الاختصار والحذف

وليس للسفارينى من اجتهاد سوى اختيار مصطلح العلامات الكبرى متحاشيا لفظ الأشراط، كما انه لم يعتبر هذه العشر هي الآيات، وإن كان أغلبها من الآيات .

ولو توقف رحمه الله تعالى قليلا للتمييز بين الآية والشرط، واستخدام كل واحد منهما حسب مفهوم محدد له ، لما وقع فى هذا الخطأ، ولما وجد نفسه مضطرا لاستخدام لفظ «العلامة» بدلا من «الشرط والآية» وهما اللفظان الواردان فى

الكتاب والسنة، و لكن يعمل هذا كله ويبرره عنده ويصبح عذراً للسفاريني ان موضوع الأشراف في كتابه الكبير ليس سوى فصلاً من باب ضمن أبواب كثيرة تضم فصولاً متعددة رحمه الله تعالى وأثابه على اجتهاده ورحمنا معه وأثابنا معه وغفر لنا زلاتنا العلمية وخطايانا السلوكية وكلاهما يستحيل ان ينجو اى عالم او باحث من الوقوع فيهما لما كتبه الله تعالى على ابن آدم، إذ خلقه خطاءً.

ولكن نَحْدُثُ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ عَلَيَّ أَنْ أَنْوِّهَ هُنَا إِلَى ان التمييز بين المصطلحات الأربعة: الشرط والعلامة والامارة والآية كما وردت في هذا الجزء الذى بين يدي القارئ وأيضاً ما جاء عن الآيات في الجزء الأول، كل هذا يرفع اللبس حول ترتيب هذه الأحداث ، هو مما لم يسبقنى أحد من العلماء إليه، وما ذكرته إلا لنحْدُثُ بِنِعْمَتِهِ عَلَيَّ التى خَصَّنِي بِهَا سُبْحَانَهُ كما امرنا عز وجل بقوله تعالى: ﴿أَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ ﴿فله الحمد والشكر سُبْحَانَهُ.

الفصل السابع

كتاب مطابقة الاختراعات العصرية لما
أخبر به سيد البرية لرائد علم أشراف
الساعة المعاصر أبو الفيز أحمد بن محمد
الصادق الغماري الحسن رحمه الله تعالى

٣٨ - كتاب مطابقة الاختراعات العصرية لما أخبر به سيد البرية
للغماري.

٣٩ - أهداف الشيخ الغماري من تصنيف كتاب المطابقة.

(٣٨) كتاب مطابقة الاختراعات العصرية لما أخبر به سيد البرية للغمارى.

توفى الشيخ الغمارى رحمه الله فى أوائل التسعينيات الميلادية من هذا القرن، ولا شك عندى أنه - لا غيره - رائد علم أشراف الساعة فى هذا العصر، بكتابه المذكور أعلاه، وبالرغم من أهمية هذا الكتاب القصوى فى مجال علم أشراف الساعة إلا أنه لم يطبع تقريباً إلا طبعة واحدة منذ أمد طويل يدل على هذا الورق الأصفر وغلاف الكتاب وطريقة إخراجه وقامت بنشره دار الرشيد الحديثة بالدار البيضاء، مع أنه مطبوع ببلبان، هذا كله يدل على أن الكتاب طبع طبعة واحدة فى الخمسينيات أو الستينيات من هذا القرن الميلادى على الأكثر.

ركنت قد سمعت من بعض الأساتذة الزملاء بجامعة الملك سعود وأم القرى عن هذا الكتاب وما تضمنته صفحاته من مفاهيم وتفسيرات رائدة وجديدة سواء منها ما يختص ببعض آى الذكر الحكيم عن أشراف الساعة أو تلك التى تخص كثيراً من الأحاديث النبوية الشريفة عنها، ومع البحث والسؤال عنه كثيراً لم نثر عليه إلا بالدار البيضاء، ويقع الكتاب فى أكثر من أربعين ومائة صفحة من القطع المتوسط.

وينفرد المصنف رحمه الله تعالى بكتابه هذا عن جميع الذين سبقوه والذين صنفوا بعده فى أشراف الساعة من حيث الهدف من التصنيف والخطه والأسلوب، وإن كان يتفق مع كتب الأقدمين فى الفتن والأشراط من حيث المنهج لأن الشيخ رحمه الله تعالى من علماء الحديث المعاصرين، بل ويشهد له كتابه هذا أنه من الحفاظ المجتهدين الملمين، فهو من ناحية لم يتأثر فى خطه كتابه بخطط وتصنيفات العلماء السابقين الذين عرضنا لمصنفاتهم ابتداءً من نعيم بن حماد وانتهاءً بالسفارينى رحمهم الله تعالى جميعاً، فلم يجعل الغمارى رحمه الله فصول الكتاب بحسب ما شاع بين العلماء من تصنيف للأشراط البعيدة والقريبة، وذكر شخصيات الفتن فى فصول خاصة كالسفيانى والدجال وأجوج ومأجوج وغير ذلك مما علمناه من العروض السابقة لمصنفاتهم وخططهم، ولعل ما حدا بالشيخ الغمارى رحمه الله

تعالى إلى التفرد بخطة خاصة لم يسبقه أحد إليها كما لم يتبعه فيها أحد ممن كتبوا بعده في الأشراف في أيامنا هذه، أقول إن الذي حدا به إلى هذا هو الهدف الذي توخاه رحمه الله تعالى من مصنفه.

(٣٩) أهداف الشيخ الغماري من تصنيف كتاب المطابقة.

لقد كان للعطور التقنى والصناعى والعلمى فى العصر الحديث وقع شديد على نفوس الناس، وهذا التطور والتحول الحضارى الذى أخذ يتسارع بشكل مذهل مع أوائل القرن العشرين الميلادى، فلم يتصف هذا القرن حتى ظهرت الاختراعات فى الآلات والأجهزة التى تغطى جميع مناحى الحياة فى مجال الاتصالات والمواصلات وآلات الزراعة والصناعة والتجارة والبناء والإدارة وأسلحة الحرب فى البر والبحر والجو وعمارة المدن من شق الطرق والأنفاق بنسف الجبال وإزالتها فاستحدث الإنسان فى هذه المجالات جميعاً ما أذهل المعاصرين وأثار عجبهم، وما جعلهم على يقين بأن ما حدث يصعب بل يستحيل أن يصدقه أهل الأجيال السابقة، ومن ثم جرى على السنة المؤمنین سؤال عن وجود أخبار هذه العجائب فى القرآن الكريم والسنة الشريفة، خاصة أنه قد ورد أن فيهما نبأ من قبلنا وخبر من بعدنا إلى قيام الساعة.

لقد تساءل كثير من المسلمون: ألم يخبرنا سيد البرية عليه الصلاة والسلام عن هذه الأمور الغريبة العجيبة التى تحدث، وصارت واقعا معاشا ولم يكن أحد من السابقين يتصور وقوعها أو يصدق بحدوثها لو أخبر بها؟.

وكما أخبر الشيخ الغماري رحمه الله تعالى عن نفسه إذ كان قد تلقى هذا السؤال كلما انتقل من مصر إلى مصر آخر من أمصار الأمة الإسلامية، فسأله عن هذا فى المغرب وفى مصر وفى الشام وفى الحجاز، ومن ثم دفعه هذا إلى مراجعة كتب السنن بحثاً عن إجابة لهذا التساؤل فى أحاديث المصطفى الخاتم ﷺ فإذا به يفاجأ بالأخبار الكثيرة فى الفتن التى تحدث: إن صراحة وإن ضمناً أو إشارة، عن كل ما جرى من اختراعات، بل يفاجأ بحديث رسول الله ﷺ عن الأمور العظام التى ستحدث فى آخر الزمان بين يدي الساعة، وأنها ستكون غريبة على الناس، حتى يتساءل المسلمون حيثئذ: هل حدث نبيكم ﷺ عن هذه الأمور فيما حدث عن أشراف الساعة، وعن أنباء المستقبل؟.

فأورد الشيخ الغماري رحمه الله ما رواه البزار والطبراني في الكبير من حديث سمرة أن النبي ﷺ قال: «سترون قبل أن تقوم الساعة أشياء ستكرونها عظاما تقولون هل كنا حدثنا بهذا، فإذا رأيتم ذلك فاذكروا الله تعالى واعلموا أنها أوائل الساعة» (١).

كما ذكر رواية لأحمد في حديث طويل عن الدجال جاء قوله ﷺ: «ولن يكون ذلك حتى تروا أمورا يتفاقم شأنها في نفوسكم وتساءلون بينكم هل كان نبيكم ذكر لكم منها ذكراً؟» (٢).

قال الشيخ الغماري تعقيماً على هذين الخبرين: «فهكذا والله كنتُ أسأل في المجالس فيقال لي عند ذكر هذه المخترعات: هل أخبر النبي ﷺ: بهذه العجائب؟ أو هل ورد في الأحاديث النبوية ما يشير إليها؟ فأجيب بما في علمي من ذلك» (٣).

ثم بدأ الشيخ رحمه الله تعالى فألف الكتاب لتحقيق الهدف الذي يعبر عنه عنوانه بدقة وهو «مطابقة الاختراعات العصرية لما أخبر به سيد البرية».

فجعل عنوان الموضوع الأول من مواضيع المطابقة هو إخباره ﷺ بظهور «بابور السكة الحديد والأطومبيل وما في معناهما» (٤).

فيتحدث في هذا الفصل عن وسائل الركوب الجماعية ثم وسائل الركوب الفردية ويذكر الآيات الكريمة المشيرة إلى وسائل المواصلات الآلية الحديثة ثم يفسرها بما ورد من أحاديث عن رسول الله ﷺ في نفس الموضوع فلا يدع مجالاً للريب أو الشك أو أدنى احتمال لرفض تفسيره بالرغم من مخالفته لما فسر به المفسرون القدماء هذه الآيات.

وهذا هو منهجه في معالجة مواضيع الكتاب إذ يبذل جهده ويقدم من النصوص والاستنباطات ما يؤكد به المطابقة بين ما أخبرت به السنة وبين الواقع البشري المعاش في هذا العصر. فذكر قوله تعالى: ﴿وَأَيَّةٌ لَهُمْ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي

(٢) نفس المصدر ص ٦.

(٤) المطابقة ص ٦.

(١) المطابقة ص ٥.

(٣) نفس المصدر والصفحة.

الْفُلُكِ الْمَشْحُونِ (٤١) وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ (١). ويرفض تفسير القدماء الذين فسروا قوله تعالى: ﴿مِنْ مِثْلِهِ﴾ بالإبل وهو يعذرهم لأنه لم يكن في زمانهم ما يشبه الفلك في حمل الركاب والبضائع سوى الإبل، وهو يقطع ببطان القول بأنها الإبل، ويؤكد بأن المثل المقصود في الآية هو السكة الحديد والحافلات والطائرات.

ويستدل على هذا بقول ابن عباس والحسن والضحاك: «وخلقنا لهم سفناً أمثال تلك السفن يركبونها» (٢). ثم ذكر قوله تعالى: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقْ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٣). أى من جنس المخلوقات للركوب والزينة وهى كما ذكرها الشيخ الغمارى رحمه الله: أنواع العجل والعربات من بسكليتة وأوطمبيل وغيرهما (٤).

فآية سورة يس فى وسائل الركوب الجماعة، وهذه الآية فى وسائل الركوب الفردية.

ويستدل أيضاً على هذا كله بقوله تعالى فى أشراف الساعة: ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ (٥)، ولأن العشار هى الإبل التى بلغت عشرة أشهر وتصلح للسفر عليها، وقد تم تعطيلها عن الركوب بعد اختراع وسائل الركوب الفردية منها، ويؤكد الشيخ رحمه الله تفسيره هذا بقول الرسول ﷺ فى نفس المعنى: «والله لينزلن ابن مريم حكماً عدلاً فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية ولتتركن القلاص فلا يسعى عليها»، والقلاص جمع قلوص بفتح القاف وهى من الإبل كالفتاة من النساء (٦).

فهذا الجزء الأخير من الحديث الشريف يفسر قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ بترك استخدامها فى السفر وحمل البضائع، وهو ما حدث بعد اختراع وسائل الركوب الحديثة.

وهكذا يستطرد الشيخ فى كتابه تحقيقاً للمطابقة بين نصوص الوحى الحاملة لأخبار المستقبل وأشراف الساعة وبين ما قد تحقق فعلاً من هذه الأخبار.

(٢) المطابقة ص ٧.
(٤) المطابقة ص ٧.
(٦) نفس المصدر والصفحة.

(١) يس آية ٤١.
(٣) النحل آية ٨.
(٥) التكوين آية ٤.

لكن الهدف الذى يسعى إليه الشيخ من كتابه ليس هو المطابقة فحسب، وإن كانت المطابقة هدفاً يتحقق به اليقين فى صدق النبوة المحمدية، ومن ثم زيادة إيمان المسلم، وهذا من أعظم وأجل الأهداف التى ينبغى للعالم المصنف أن يسعى إليها، إذ لا يلبث القارئ فى كتاب المطابقة أن يشعر بأن صاحبه رحمه الله تعالى يجعل المطابقة وسيلة لتحقيق هدف آخر له خطورته العظمى فى حياة الناس بعمامة والأمة الإسلامية بخاصة، هذا الهدف هو البرهنة بما لا يدع مجالاً للشك عند القارئ بأن البشرية تعيش فى آخر الزمان^(١).

فهذا الحديث الشريف عن تعطيل القلاص أو العشار يربط بوضوح وجلاء بين زمن نزول المسيح عليه السلام وبين وجود وسائل المواصلات الحديثة، ومن ثم قرر الشيخ أن البشرية قد دخلت عصر الأشرار الكبرى بهذه المخترعات الحديثة، وأن الأمة الإسلامية على وشك الدخول فى عصر المهدي والدجال ونزول المسيح بن مريم عليه الصلاة والسلام، ويؤكد الشيخ الغمارى هذه النتيجة بما يورده من الآثار التى تفيد أن المسيح الدجال لعنه الله تعالى يستخدم السيارات والطائرات والوسائل الحديثة إذ ثبت فى الروايات الصحيحة أنه يطوى الأرض فى أربعين يوماً ويطوف الأرض على دابة وأن سرعته كالغيث استدبرته الريح وهذا إشارة إلى الطائرة التى تسبق الريح وتجعله خلفها.

ويورد الشيخ أيضاً الأحاديث الواردة فى المهدي وتدل على أنه يذهب من مكة إلى المدينة، ثم يعود إلى مكة، ثم إلى المدينة، ثم إلى مكة، ثم إلى المدينة، ثم إلى مكة، خلال الفترة من انتهاء الحج فى منتصف ذى الحجة حتى ليلة عاشوراء حيث يبيع عند المقام، الأمر الذى اعتبره السابقون منكراً لعجز الإبل عن قطع هذه المسافة ذهاباً وإياباً بين الحرمين ثلاث مرات، خلال خمسة وعشرين يوماً، لكنه أصبح الآن بالسيارة أو بالطائرة ميسوراً فى ساعات أو أيام قليلة ويستنبط من هذا الخبر نتجتين:

الأولى: أن زمن ظهور المهدي قد قرب وأن أوانه بعد اختراع وسائل المواصلات الحديثة.

(١) ولا يقدح فى قولى هذا تشدق بعض المتعالمين (الهواة) الذين يحاولون إبطال هذا القول بالقول أن نهاية الدنيا وآخر الزمان بدأ منذ بعث المصطفى الخاتم ﷺ.

الثانية: أنه لا غبار على متن هذه الأحاديث وما فى معناها التى تحمل أخباراً حكم عليها السابقون من العلماء بأنها منكرة لاختلافها مع ما كانت عليه أساليب معيشتهم وصبغة حضارتهم، وأنه كان من الخطأ الحكم على الحديث الذى صحح أو حسن سنده بالضعف، لأنه يخبر عن أمور منكرة فى زمن هؤلاء السابقين، وكان الأولى بهم ما دام الحديث صحيحاً سنداً أن يفوضوا أمر هذه الأخبار إلى الله تعالى.

ولو ربط السابقون بين حديث رسول الله ﷺ الذى قال فيه: «سترون قبل أن تقوم الساعة أشياء ستكثرونها عظيماً...»، إلى آخر الحديث وبين هذه الآثار التى أنكروها، لعلموا أن هذه الأخبار المنكرة ستكون بإذن الله تعالى وقدره معتادة، ولما رفضوا بذلك هذه الأخبار التى حدث بها الصادق المصدوق الذى لا ينطق عن الهوى.

لقد فسر الشيخ رحمه الله تعالى الأحاديث النبوية الشريفة عن زى الأرض زياً، أى انضمام بعضها إلى بعض، بأن هذا قد تم بعصر السرعة وتقدم وسائل المواصلات، وكذلك الأخبار الكثيرة عن تقارب الزمان وتقارب الأسواق إذ هى إشارة أو كناية عن تقدم وسائل الاتصال الحديثة والمعاصرة من برق وهاتف وتلكس.

وقدم الشيخ من النصوص ما تتضمن إشارات واضحة إلى أجهزة الصوت الحديثة مثل الميكروفون وجهاز التسجيل والراديو.

وفسر قول الله عز وجل ﴿... وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ بحشرها فى أقفاص حدائق الحيوان، وفسر قوله تعالى: ﴿... وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ بأنها آبار البترول الكائنة فى باطن الأرض بحاراً ممتدة، وتسجيرها أو حرقها داخل الأفران فى المصانع فى محركات القطارات والسيارات والماكينات وجميع الآلات والأجهزة التى تدور بمشتقات البترول.

وفسر قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ بأنه قد حدث فى هذا العصر إذ نسفها الإنسان بالديناميت ثم حملها بالسيارات إلى خارج المدن وذلك لشق الطرق ونقب الأنفاق داخل الجبال.

ويؤكد الشيخ الغمارى صحة تفسيره هذا بقوله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى

تروا أمورا عظاما لم تكونوا ترونها وحتى تزول الجبال عن أماكنها»^(١).

ففى هذه الرواية لهذا الحديث هذه الزيادة إذ من أعظم الأمور التى يصعب على غير أهل العصر أن يصدقها أن ينقل الإنسان الجبل ويحمله بعيدا عن مكانه.

كما يفسر الشيخ الغمارى أيضا قوله تعالى فى شرط آخر من أشراط الساعة الكبرى ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ بأن هذا الشرط قد تم وحدث الآن وانكدرت النجوم فلم يعد الناس فى المدينة المضاء بالمصابيح الكهربائية الساطعة قادرين على رؤية النجوم، فقد انكدر ضوءها بسبب الإشعاعات الصادرة من مصابيح المدينة.

كما فسّر الخبير الوارد عن مخاريق الدجال بقوله: للسماء أمطرى فتمطر، وللأرض انبتى فتبت بأنه قد حدث بالمطر الصناعى وبالتقدم التقنى الزراعى.

وهكذا يمضى الشيخ الغمارى فى تقديم الأحاديث التى تحمل الإشارة الصريحة إلى بعض المخترعات العصرية كما يقدم الروايات التى تشير إليها أو يستنبط منها حدوث هذه المخترعات باعتبار أنها من الامارات التى بين يدي الساعة.

ثم ينتقل إلى المرويات الدالة على الأحوال الخلقية والدينية المنهارة مثل إخباره عليه السلام بطغيان النساء^(٢)، وخروجهن سافرات عاريات^(٣) وانجارهن مع الرجال فى الدكاكين وهو شائع الآن.

كذلك ذكر الروايات المخبرة عن كثرة الشرط لاعتماد الحكام على الشرطة فى زمن حكم الجبابرة، ثم انتقل إلى المرويات التى نبأت عن الأحوال السياسية والدولية للأمة، ويدل على مطابقتها لما عليه هذه الأحوال^(٤).

كذلك عقد الشيخ الغمارى فى كتابه فصلا للأثار الواردة التى تتحدث عن قيام دولة إسرائيل بمساعدة الأمم والشعوب الأخرى تحقيقا لقوله تعالى: ﴿... إِلَّا حَبْلَ مَنْ اللَّهِ وَحَبْلَ مَنْ النَّاسِ﴾ وذكر أخبار تدل على قتال أهل مصر وأهل سوريا لليهود إشارة إلى حروب عام ١٩٤٨، ١٩٥٦، ١٩٦٧، ١٩٧٣.

(١) المطابقة ص ٨.

(٢) المطابقة ص ٤٠.

(٣) نفس المصدر ص ٤٢.

(٤) نفس المصدر ص ٥٠.

ثم بعد ذلك عقد فصولاً للمرويات التي أنبأت عن التغيير الذى أصاب الأمة فى العادات، مثل تركهم للعمائم وذكر الأثر الوارد الذى قرن بين ترك الأمة للعمامة وضياح عزة الأمة وقوتها، وهو قول الرسول ﷺ: «العمائم تيجان العرب فإذا وضعوها وضعوا عزهم»، وقد فعل المسلمون والعرب ذلك تقليداً أعمى للفرجة المستعمرين فكان من علامات ضياح العزة بذوبان شخصية العربى الإسلامية فى الشخصية الغربية، وليس أكثر هواناً للمرء من ذوبان شخصيته فى غيره فما بالك إذا كان ذلك تقليداً لعدوه الكافر.

ثم عقد فصولاً لذكر المرويات التى تنبئ بإشاعة الزنا والمجاهرة به وعدم الحياء من مزاولته والإعلان عن ذلك كما جاء فى حديث رسول الله: «... فلا يستحي يومئذ من الزنا...»^(١).

كذلك تعرض الشيخ للتغيير الذى حدث فى النظام التربوى الإسلامى وقلدت فيه الأمة أهل الغرب وذكر المرويات التى نبأت بهذا.

ويستمر الشيخ فى عرض الفصول التى حاول خلالها المطابقة بين ما نبأت به النصوص وبين أحوال وأخلاق وأنظمة طرأت على حياة الأمة الإسلامية وحدثت كما نبأ بها رسول الله ﷺ.

كل هذا ليثبت أن البشرية دخلت عهد الأشراف العظمى، وأن الآيات العشر ستحدث بين يوم وآخر، وقد سجل هذا بالعبارة الصريحة بقوله: «وبهذا يعلم أن الساعة قريبة جداً، ولأن ظهور أشرافها الكبرى كالمهدى وعيسى عليهما السلام منتظر من يوم لآخر»^(٢).

فالإنسان إذن يعيش الآن فجر عصر الآيات العشر، هذه الدعوى التى أعلنها الشيخ الغمارى من أخطر وأهم ما يمكن أن يتلقاه المسلم من أخبار، بل هو أخطر وأهم خبر تلقته الأمة بعد خبر وفاة رسول الله ﷺ، ولم يسبق الغمارى رحمه الله تعالى أحد من العلماء الذين صنفوا أو كتبوا فى أشراف الساعة إلى هذا الزعم الخطير، أو إلى إعلان هذا النبأ العظيم، كذلك لم يبرز هذا النبأ أحد بعده نقلاً عنه وتأيداً له وتصديقاً لدعواه.

(٢) المطابقة ص ٦٠ .

(١) المطابقة ص ٥٧ .

بل العجب كل العجب أن خبر هذه الدعوة لم ينتشر، وأن زعم الشيخ الغماري لم يجد من الشيوخ والتأثير في أوساط العلماء والمؤمنين ما يستحقه، بالرغم من أن الشيخ رحمه الله تعالى قد أكد دعواه بكل صفحة، بل وبكل سطر، وكل كلمة في كتابه، حتى أن القاريء المسلم المؤمن بنصوص الوحي قرأنا وسنة ليزداد قناعة وتصديقاً لهذه الدعوى مع قراءة الكتاب وصفحاته، فيسلم معه بأن الدنيا قد أذنت بانتهاء وأن الأشرار الصغرى والوسطى قد تمت، وأن عصر الإمارات القريبة قد بدأ وأتينا نعيش أوائل الساعة.

لذلك كله استحق الغماري أن يكون رائداً في علم الأشرار المعاصر بخلاف الكتب السابقة عليه، وبخلاف الكتب اللاحقة له، تلك التي ذكرت المرويات دون محاولة المطابقة بين ما أنبأت به من أحداث وأحوال وبين واقع البشرية الحديث والمعاصر، ومن حاولوا عقد بعضاً من هذه المطابقة ممن جاءوا بعده، كانوا ناقلين عنه مقلدين، ولم يعلنوا دعوى بدء عصر الأشرار، وأوائل الساعة صراحة كما فعل الشيخ رحمه الله تعالى.

ومن ثم تتضاءل جميع الكتب والمؤلفات والأسفار التي كتبت عن الأشرار في هذا العصر أمام كتاب الشيخ الغماري. رحم الله تعالى الشيخ الغماري رحمة واسعة لريادته لعلم الأشرار المعاصر، ولاعتباره أول من كتب منبهاً إلى قرب دخول عصر المهدي والدجال ونزول المسيح عليه السلام، ومعلناً بدء عصر الأشرار الكبرى ومجيء أوائل الساعة، ومنذراً بقرب انتهاء أجل البشرية، وأى نذير أخطر من هذا النذير؟

ولكن بالرغم من عظمة النبأ الذي ألقاه إلى الأمة، ووضوح الدعوى التي أعلنها، وقوة الأدلة التي قدمها، إلا أن القليل جداً من المسلمين هم الذين انتفعوا بكتابه الرائد، إذ لم يكتب لكتابه الشيوخ والانتشار، ربما لأن قوى الشر والطغيان وحزب الباطل عملوا على حصر الكتاب وجبسه في أضيق الحدود، كما هو ديدنهم دائماً حيال ما يخص نشر الحق وبيانه وتبليغه صدىً منهم عن دين الله عز وجل.

وسنرى بعد مدى الأثر الذي أحدثه كتاب الشيخ رحمه الله تعالى فيمن كتبوا عن الأشرار من بعده.

الفصل الثامن

كتاب الشيخ حمود بن عبد الله
التويجري «إتحاف الجماعة بما جاء
في الفتن والملل والملاحم وأشرار الساعة»

٤٠ - خطة الشيخ التويجري في كتابه.

٤١ - ترتيب الامارات والآيات عند التويجري.

٤٢ - تأثر الشيخ التويجري بالشيخ الغماري رحمهما الله في بعض
المطابقات.

(٤٠) خطة الشيخ حمود بن عبد الله التويجى فى كتابه.

الشيخ حمود بن عبد الله التويجى رحمه الله من العلماء السعوديين المعاصرين، ولد رحمه الله تعالى عام ١٣٣٤هـ وتوفى عام ١٤١٣هـ.

ويعتبر كتابه^(١) هذا سفرًا فى بابيه إذ هو من أوسع الكتب المعاصرة فى ميدانه، بل هو فى الحقيقة ثلاثة كتب:

الأول: هو كتاب الفتن.

الثاني: كتاب الملاحم.

الثالث: كتاب أشراط الساعة.

ويقع هذا السفر فى ثلاثة مجلدات شغل كتابا الفتن والملاحم المجلد الأول، واستقل كتاب أشراط الساعة بالمجلدين الثانى والثالث.

ومن ثم فإن المجلدين الثانى والثالث من هذا الكتاب يتناولان موضوع الأشراف تفصيلاً.

وعلى هذا فإن خطة الشيخ فى هذا السفر تتميز عن خطط ومناهج السابقين بالفصل والتمييز بين الفتنة والشرط من ناحية، وبالفصل والتمييز بين الملحمة والشرط من ناحية أخرى، وهذا الفصل بين هذه الثلاثة: الفتنة، والملحمة، وشرط الساعة، ليس بالهين فهو أمر صعب، لأن هذه الثلاثة من الأمور المتداخلة إلى حد كبير سواء فى المفهوم أو فى النصوص، إذ نجد أن أكثر الملاحم من الفتن، وهى فى نفس الوقت من الأشراف، كما أن كثيراً من الأشراف فتن أيضاً.

لقد بدأ الجزء الأول من الكتاب ببعض الموضوعات المنهجية التى تعتبر من قواعد المنهج السلفى، فجعل الباب الأول فى وجوب الإيمان بما صح عن النبى ﷺ، أنه أخبر بوقوعه أى أن المؤمن الحق يصدق بوقوع كل ما أخبر النبى ﷺ أنه سيقع، وأن بعض ما أخبر به وقع خلال القرون الهجرية الماضية، وما لم يقع حتى الآن، سيقع حتماً بإذن الله تعالى، ما دام قد أخبر بوقوعه الصادق المصدوق ﷺ.

(١) الطبعة الثانية ١٤١٤ دار العفيفى بالرياض.

وأن ما وقع مما أخبر به رسول الله ﷺ هو من أعلام نبوته ودليل على صدق رسالته، ودليل أيضا على أن ما أخبر به، ولم يقع بعد، سيقع بإذن الله تعالى في المستقبل، وأنه ﷺ قد أخبر بما كان وبما سيكون من بعده إلى قيام الساعة.

ومن منهج السلف والمحدثين أن الآثار المخبرة عن أشرار الساعة وأنبياء المستقبل وسائر الغيبيات أو السمعيات مقبولة ولو لم تكن متواترة لأن السلف اعتمدوا أخبار الآحاد ولم يجحد أخبار الآحاد إلا الزنادقة وأهل الأهواء وزعماء الفرق الغالية.

ويذهب في هذا الشيخ التويجري رحمه الله تعالى إلى حد تكفير من يجحد ما ثبت بخبر الواحد العدل.

كما أنه ينهج في كتابه نهج المحدثين في قبول الخبر الضعيف ما دام في الصحيح ما يناظره في المعنى فيقويه.

كذلك يرى الشيخ أن مطابقة الواقع للأخبار الضعيفة يقويها ويدل على صحتها في نفس الأمر.

ويعتبر كتاب الفتن عند الشيخ رحمه الله تعالى من أوسع كتب الفتن المعاصرة ومن أحسنها تبويبا وتخطيطا، وهذا الكتاب جامع لأكثر ما جاء في كتاب الفتن السابقة وبمنهج المحدثين الذي يأتي بالخبر وبمصادره ويبحث في سنده من حيث القوة والضعف وأقوال أهل الجرح والتعديل في رواته.

ويمكن أن نستنبط مفهوم الفتنة عند الشيخ بأنها النزاع بين طائفتين أو أكثر من المسلمين، يصل إلى حد القتال بالسلاح وإراقة الدماء، وهو نفس مفهوم الشيخ الداني رحمه الله تعالى، ولذلك اشتمل كتاب الفتن على بعض الأبواب المتضمنة للنصائح الواجب اتباعها انتقاء للفتن وللتحذيرات من الوقوع فيها: إن بالفعل وإن بالقول، وإن بالرضى القلبي، وحتى بيع السلاح، إذ يعد هذا كله اشتراكا في الفتنة.

ثم استعرض الشيخ بعض الفتن التي حدثت في عهد الصحابة ابتداء من فتنة

قتل عثمان رضى الله عنه، ثم وقعة الجمل، ثم وقعة صفين وقتل عمار بن ياسر رضى الله تعالى عنهما.

ثم ذكر ما جرى على يد الحسن بن علي رضى الله عنهما من تسكين للفتنة حين بايع معاوية في عام الجماعة.

ثم أورد الشيخ بعض الفتن التي حدثت في زمن الأمويين مثل مقتل الحسين رضى الله عنه، ثم فتنة الحجاج وقتل عبدالله بن الزبير رضى الله عنه وعن أبيه.

ثم ذكر الفتن العامة التي ألت بالامة حين افترقت إلى فرق كثيرة نبأ الرسول ﷺ عنها، وأنها ستكون اثنتين وسبعين فرقة، كلها على ضلالة إلا واحدة نظل ظاهرة على الحق.

فذكر من أخبار الفرق: الخوارج والروافض والنواصب ثم القدرية والمرجئة ثم أخبار أهل الرأي والقياس، وما أخبر به النبي ﷺ عن الأئمة المضلين.

بيد أن الشيخ رحمه الله تعالى لم ينس بعد ذكر هذه الأخبار التي نبات عن الفرق الضالة في تاريخ الأمة أن يبرز ميزة الأمة الإسلامية التي تنفرد بها، وهي أن الأمة لا تجتمع على ضلالة فعقد لهذا بابا خاصا، أردفه بباب عن وجود طائفة ظاهرة منصورة في الأمة إلى أن يأتى أمر الله تعالى، كما أتى بالأخبار التي نبات يبعث مجدددين للأمة على رأس كل قرن.

وقد كرنا خطة الشيخ هذه بخطة أبي عمرو الداني في كتابه «السنن الوادرة في الفتن وغوائها والساعة وأشراطها» حيث نجد التشابه بينهما كبير، بل إن كثيراً من الأبواب والنصوص التي وردت فيها تكاد تكون متطابقة في الكتابين ولحت عناوين متشابهة في اللفظ أو متفقة في المعنى.

وأهم الموافقات بين السفرين: سفر الداني وسفر التويعرى هو احتواء كل منهما على كتب ثلاثة رئيسية هي: الفتن، والملاحم، والساعة وأشراطها على النحو التالي:

١ - في كتاب أبي عمرو الداني تضمنت الأجزاء الأول والثاني والثالث مواضيع الفتن العامة منها والخاصة، أي التي تخص أحداثا معينة وتعتبر في نفس الوقت من أشرط الساعة.

وكذلك الحال عند الشيخ التويعري إذ استغرق كتاب الفتن عنده معظم صفحات المجلد الأول، وقد ضمت هذه الصفحات الطوال مواضيع عامة وخاصة عن الفتن تشابهت نصوصها وعناوينها في السفرين.

٢ - شغل الداني الجزء الرابع بأخبار الساعة وأشرطها، وهو يقع في أقل من ثلاثمائة صفحة.

أما كتاب أشرط الساعة عند التويعري فقد استغرق الجزء الثاني كله ويقع في ٤٢٥ صفحة وكذا ٢٢٥ صفحة من الجزء الثالث.

أما الشيخ التويعري رحمه الله تعالى فقد خصص كتابا للملاحم لم يشغل سوى خمسين صفحة لم يجعل من بيها ملحمة السفينى والمهدى وملحمة الدجال وبأجوج ومأجوج، إذ وضعها مع الفتن، وأهم ما جاء في هذا الكتاب عنده ملحمة الروم وفتح قسطنطينية ورومية.

فالشيطان متفان إذن في الأقسام الرئيسية لسفريهما فتن وملاحم وأشرط الساعة، وهذا التقسيم عندهما كما ذكرنا من قبل ليس بالأمر السهل لأن هذه الثلاثة من الأمور التي يصعب الفصل بينها، فكثير من الفتن والملاحم هي من أشرط الساعة التي ذكرها النبي ﷺ، باعتبارها أحداثا أو أحوالا ستحدث قبل الساعة أو بين يديها.

كذلك يمكن القول إن كل ما أخبر النبي ﷺ بوقوعه بعد وفاته، هو من الأشرط سواء كان من الفتن أم لا، وسواء كان من الملاحم أم لم يكن.

وهذا التقسيم الذي وجدناه عند الداني رحمه الله تعالى وتأثر به الشيخ التويعري رحمه الله تعالى حرمهما من إمكانية أو محاولة مطابقة ترتيب المواضيع أو الفتن أو الملاحم والأحداث السابقة للساعة بحسب توقع حدوثها في الزمان، ومن ثم

فَقَدْ أَهَمَّ الْأَهْدَافَ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ يَسْعَى إِلَيْهَا وَيَتَوَخَّأَهَا مِنْ يَتَصَدَّى لِلْكِتَابَةِ فِي أَشْرَاطِ السَّاعَةِ.

إِنْ الْفَصْلَ الَّذِي حَدَثَ عِنْدَهُمَا فِي هَذِهِ الثَّلَاثَةِ بِالرَّغْمِ مِنْ تَدَاخُلِهَا أَبْعَدَهُمَا عَنْ مِطَابَقَةِ الْأَخْبَارِ بِالْأَحْدَاثِ الْأَوَّلِ فَالْأَوَّلِ عَلَى النَّحْوِ الَّذِي بَرَزَ وَاضِحًا وَبِنَجَاحٍ وَتَوْفِيقٍ عِنْدَ الشَّيْخِ الْغَمَارِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

وَلَا شَكَّ أَنَّ الْكِتَابَةَ فِي أَشْرَاطِ السَّاعَةِ وَالْفَتَنَ الَّتِي بَيْنَ يَدَيْهَا وَالْمَلَا حَمَ الَّتِي تَسْبِقُهَا عَلَى طَرِيقَةِ الْمُحَدِّثِينَ الْقَدَمَاءَ الَّتِي لَا تُمَيِّزُ فِيهَا بَيْنَ مُتَقَدِّمٍ وَمُتَأَخِّرٍ، وَلَا عَنَاءٍ فِيهَا لِلتَّمْيِيزِ بَيْنَ الْأَحْدَاثِ الْحَاضِرَةِ وَالْمُتَوَقَّعَةِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ وَبَيْنَ مَا وَرَدَ فِي نَصُوصِ الْوَحْيِ عَنِ الْأَشْرَاطِ، أَقُولُ إِنَّ الْكِتَابَةَ بِهَذَا الْمَنْهَجِ الْقَدِيمِ هُوَ مِنَ الْأَعْمَالِ الَّتِي لَا فَائِدَةَ جَدِيدَةً لِلْأُمَّةِ فِيهَا، لِأَنَّهَا تَكَرَّرَ لَهَا هُوَ مَكْتُوبٌ، وَمُسَجَّلٌ وَمَطْبُوعٌ وَمُتَدَاوِلٌ بَيْنَ النَّاسِ، وَإِذَا كَانَتِ الْبَشَرِيَّةُ تَعِيشُ فِي هَذَا الْعَصْرِ الْغَرَائِبِ وَالْعَجَائِبِ وَالْأُمُورِ الْعِظَامِ، فَإِنَّ أَهَمَّ أَهْدَافِ عِلْمِ الْأَشْرَاطِ هُوَ، بَلَا جِدَالٍ، الْمِطَابَقَةُ، الْأَمْرَ الَّذِي يَجْعَلُ كِتَابَ الْغَمَارِيِّ رَائِدًا مُتَقَدِّمًا فِي مِيدَانِهِ عَلَى كِتَابِ الشَّيْخِ التَّوَيْجَرِيِّ رَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى.

وَالْخِلَاصَةُ أَنَّ التَّقْسِيمَ الْمَوْضُوعِيَّ الَّذِي التَّزَمَهُ الشَّيْخُ التَّوَيْجَرِيُّ فِي كِتَابِهِ، مَنْعَهُ مِنْ مُحَاوَلَةِ تَخْطِيطِ كِتَابِهِ بِحَسَبِ التَّرْتِيبِ الزَّمَنِيِّ الْكَامِلِ، وَمَعَ هَذَا لَمْ يَخْلُ كِتَابُ الْأَشْرَاطِ الَّذِي يَقَعُ فِي مَجْلَدَيْنِ مِنْ تَرْتِيبِ مَوْضُوعِيٍّ وَتَرْتِيبِ زَمَنِيِّ فِي آنٍ وَاحِدٍ تُمْكِنُ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْجَمْعِ بَيْنَهُمَا بِتَوْفِيقٍ مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

ذَلِكَ لِأَنَّ هَدَفَ الشَّيْخِ الْأَوَّلِ هُوَ فِيمَا يَبْدُو الرَّدُّ عَلَى مَنكَرَى بَعْضِ الْغَيْبِيَّاتِ الْأَحْدَاثِ الَّتِي نَبَأَتْ بِهَا الْأَحَادِيثُ.

فَأَفَرَدَ صَفَحَاتٍ طَوَالَ لِلرَّدِّ عَلَى مَنكَرَى عَوْدَةِ الْخِلَافَةِ الرَّاشِدَةِ عَلَى يَدِ الْمَهْدِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَعَلَى مَنكَرَى الدَّجَالِ وَعَلَى مَنكَرَى نَزُولِ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ يَذْهَبُ إِلَى حَدِّ تَكْفِيرِ هَؤُلَاءِ الْمَنكَرِينَ.

أَمَّا الْجَنَائِبُ الْمَوْضُوعِيَّةُ فِي خَطِّهِ لِكِتَابِ الْأَشْرَاطِ فَيَتِمَثَّلُ فِي جَمْعِ النُّصُوصِ الَّتِي تُنْبِئُ عَنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ عَلَى أُسَاسِ الْمَوْضُوعِ فَجَعَلَ الْأَحْوَالَ الدِّينِيَّةَ لِلْمُسْلِمِينَ

وما يصيب هذه الأحوال من التغير في عدة أبواب متتالية، مثل ما جاء في دعاة الضلالة وإقبال الدين وإدباره، وما جاء في غربة الإسلام، وما جاء في ضعف الإيمان. ومثل ما كتبه عن بعض الأبواب في موضوعات أخلاقية مثل تضييع الأمانة أو رفع الأمانة والحياء ثم رفع الجهاد وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم جمع النصوص الخاصة بالأحوال العلمية للأمة وما يصيب العلماء من فتن.

ثم انتقل إلى الأحوال الاقتصادية فعرض في عدة أبواب فتنه المال وما سيصيب الناس في فتنه كأكل الحرام والربا وفشو التجارة، وإتجار النساء مع الرجال.

ثم انتقل إلى فتنه المرأة بالرجل والرجل بالمرأة وما يصيب هذه العلاقة من انحرافات والإعلان عن الزنا والدعوة إليه وهو من الأشرار القريبة من الساعة والتي تحدث في آخر الزمان.

ثم انتقل إلى عرض بعض الأشرار في الجانب العمراني فأتى بالنصوص التي تحدثت عن التطاول في البناء ونقشه وزخرفة المساجد وعمارة مكة وعمارة المدينة.

ثم عرض لأحداث متفرقة مثل ظهور معادن جديدة وحسر الفرات عن جبل من ذهب وفيضان المال وكثرة القتل وكثرة الزلازل والخسف والمنسحق.

(٤١) ترقيب الامارات والآيات عند التوحيدي؛

١ - ذكر الخسوف الثلاثة: خسف بالشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب.

٢ - ثم المهدي وأخباره وصفاته وبيئته.

٣ - ثم القحطاني ثم الجهبجاء.

٤ - ثم بدأ بالكلام عن الدجال وقد استغرق موضوع الدجال في كتابه قرابة المائتي صفحة، وهذا موافق لما جاء عنه من أنه أعظم الفتن منذ آدم إلى قيام الساعة.

٥ - ثم ذكر أبواباً عن نزول المسيح عليه السلام والأخبار التي جاءت عنه في السنة.

٦ - ثم عرض أبواباً للنصوص الخاصة عن خروج يأجوج ومأجوج ذكر في آخرها باب في أقوال المعاصرين في يأجوج ومأجوج والرد عليهم.

٧ - ثم ذكر نصوص خروج الدابة.

٨ - ثم ما جاء في الدخان.

٩ - ثم ما جاء في طلوع الشمس من مغربها.

١٠ - ثم عرض باباً في رفع رؤيا النبي ﷺ في آخر الزمان.

١١ - ثم ما جاء في ترك تعظيم الكعبة المشرفة.

١٢ - ثم ما جاء في ترك الحج.

١٣ - ثم ما جاء في رفع الحجر الأسود.

١٤ - ثم ما جاء في استحلال البيت وهدم الكعبة.

١٥ - ثم ما جاء في رفع القرآن.

١٦ - ثم ما جاء في دروس الإسلام.

١٧ - ثم ما جاء في هبوب الريح الطيبة.

ثم عرض أبواباً لأشراط أخرى تنبئ عن أحوال الأشرار الذين تقوم عليهم الساعة، ثم ذكر النصوص الخاصة بقيام الساعة والحساب والجنة والنار لا يهملنا هنا ذكر تفاصيلها.

ولا شك أن هذا الجزء من الأشراط قد عمد الشيخ التويعرى إلى ترتيبه بحسب وقوع أحداثه في الزمان، ليس فقط بالنسبة للآيات العشر بل كذلك بالنسبة للأشراط المعاصرة لها والتي ليست من الآيات وإنما هي مصاحبة لها فترتب الآيات كالتالى :-

١ - خسف المشرق. ٢ - خسف المغرب.

٣ - خسف جزيرة العرب. ٤ - الدجال.

٥ - نزول المسيح عليه السلام. ٦ - خروج يأجوج ومأجوج.

٧ - الدابة.

٨ - الدخان.

٩ - طلوع الشمس من مغربها.

أما الأشرار المصاحبة لها فأهمها المسخ والقذف والزلازل وجعلها أسبق من المهدي ثم المهدي والقحطاني والجهجاه وهؤلاء جميعا قبل خروج الدجال عنده، وهذا مما انفرد به عن علماء سابقين عليه.

بيد أنه اتفق معهم جميعا على أن الدجال ثم المسيح عليه السلام ثم يأجوج ومأجوج آيات متتاليات تحدث في الواقع بحسب هذا الترتيب.

كذلك اتفق مع العلماء على أن الآيات الثلاث الشمس والدابة والدخان تلي الثلاثة السابقة لكنه انفرد بتقديم الدابة وتأخير الشمس من مغربها ولا بأس في ذلك لأن النصوص دلت على حدوث الثلاثة في يوم واحد.

كذلك انفرد الشيخ عن سابقيه من العلماء في ترتيب العلامات من العاشر حتى السابع عشر، وهو موفق في هذا إلى حد بعيد، وهذا الترتيب يدل على نضج علم الأشرار واقتراب قضاياء من صورها الصحيحة القريبة من الواقع.

بيد أن الشيخ التويجى رحمه الله تعالى قد فاته أن يسجل النار التي تخرج من قعر عدن باعتبارها آخر الآيات بالرغم من أنه رفض كونها فتنة وقد نص حديث الآيات على أنها آخر الآيات.

(٤٢) تأثر الشيخ التويجى بالشيخ الغمارى رحمه الله في بعض المطابقات؛

كذلك يحق لنا أن نسجل تأثر الشيخ التويجى بالشيخ الغمارى في بعض أبواب كتابه أو توافقه معه فيما أقره من مطابقة بعض الأخبار الواردة في السنن مع الواقع التقنى والصناعى الحديث والمعاصر، وذلك واضح في باب ما

جاء فى تقارب الزمان والأسواق فقد فسر الشيخ التويجرى تقارب الزمان بأنه إشارة إلى وسائل الركوب الأرضية والجوية بما عرف بعصر السرعة، وكذلك تقارب الأسواق باختراع الآلات الكهربائية الخاصة بالاتصالات التى جعلت تبادل المعلومات فورى ووقتى مما جعل الأسواق كأنها فى بقعة واحدة من الأرض، وقد حدد الشيخ التويجرى مظهر هذا التقارب فى الأسواق فى ثلاثة أوجه:

الأول: سرعة العلم بما يكون فيها من زيادة السعر ونقصانه.

الثاني: سرعة السير من سوق إلى سوق ولو كانت بعيدة عنها.

الثالث: مقارنة بعضها بعضا فى الأمصار واقتداء بعض أهلها ببعض فى الزيادة والنقصان.

ولم تكن تلك النتائج لتم لولا وسائل الاتصال ووسائل الانتقال والنقل المعاصرة.

كذلك أورد الشيخ التويجرى هذا الباب بباب يتصل بوسائل المواصلات والنقل والركوب الحديثة والمعاصر تحت عنوان باب ما جاء فى ترك السفر على الإبل، وقد رجح التويجرى سبب الترك باستخدام هذه الوسائل الصناعية المعاصرة، وهذا وذاك مما سبق به الشيخ الغمارى رحمه الله تعالى.

كذلك أورد بعد هذا الباب بابا بعنوان ما جاء فى الأمور العظام بين يدى الساعة، وذكر أحاديث الرسول ﷺ التى ذكرها الشيخ الغمارى.

ولكن نظرا لأن الشيخ التويجرى لم يذكر كتاب الشيخ الغمارى كمرجع له فى هذه الأبواب فقد وضعنا احتمال توافق أفكار ومفاهيم الشيخين حول هذه الأحاديث ومطابقتها للواقع المعاصر، وهذا غير مستبعد بالرغم من أنه قد ثبت أن الشيخ التويجرى قد قرأ كتاب الغمارى رحمهما الله وانتدبه فى موضع من المواضع

وعقد له فصلا خاصا بدون عنوان قال فيه: وسلك أحمد بن محمد بن الصديق الغمارى فى كتابه مطابقة الاختراعات العصرية لما أخبر به سيد البرية مسلكا آخر فى قيام الساعة، فزعم أن قيامها يكون بسبب القنابل الذرية والهيدروجينية^(١).

وقد نقض الشيخ التويجرى هذا القول للشيخ الغمارى بالرغم من أن الشيخ الغمارى لم يقطع به ولم يقل إن قيام الساعة سيكون بانفجار القنابل النووية وإنما قال إنه إذا حدث فقد يكون من أشراط الساعة أى من الأحداث التى تسبق قيامها وتدل على قربها وهى أن يجعلها الله تعالى حصيدا بعد أن كانت عامرة غنية مزدهرة بالأمس.

وهذا المعنى الاحتمالى لا يستطيع الشيخ التويجرى أن يقطع بنفيه، كما لم يقطع الشيخ الغمارى بإثباته وحتمية وقوعه، لأن بعض الامارات أى الأشراف العظمى من فعل الناس مثل الدجال وأجوج ومأجوج، وقوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْن بِالْأَمْسِ﴾ قد لا يكون عن قيام الساعة بل عن الخسوف الثلاثة التى هى ثلاث من الآيات.

وليس فى كتاب الشيخ الغمارى رحمه الله تعالى أى عبارة تدل على أن قيام الساعة يكون بفعل الإنسان وليس فيه ما يدل على استبعاد الصور والنفخ فيه أو تأويله، ومع هذا فقد قال الشيخ التويجرى فى هذا: الوجه الثالث: (أى خراب الدنيا بأسرها وقيام الساعة لا يكون على أيدي بنى آدم بتفجير القنابل القوية المفعول كما قد توهمه الغمارى...).

والحق أن القاريء لكتاب الغمارى رحمه الله وكذلك للعبارة التى أوردها عنه الشيخ التويجرى رحمه الله لا يجد فيه ما يدل على هذا الاتهام.

ولا يبرر هذا العبارات القاسية التى وجهها الشيخ التويجرى إلى الشيخ الغمارى رحمهما الله تعالى بقوله: (... لا يقول ذلك من له أدنى مسكة من عقل، وإنما يقوله

^١ (١) تحاف الجماعة ج ٣ ص ٢٧٤.

لمعتوهون الذين يتكلمون فى أمور الكون من غير شعور^(١).

مما لا شك فيه أن لكل عالم زلة، وللشيخ الغمارى رحمه الله تعالى بعض المطابقات القليلة التى لم يوفق فيها والتى هى من قبيل الاجتهاد الخطأ الذى سيثاب عليه اجرا واحداً بإذن الله تعالى، لكن له الكثير من المطابقات التى سيثاب عليها بإذن الله تعالى أجران، وقد أخذها عنه الشيخ التويجى^(٢)، أو لعله توافق معه والله أعلم.

ولكن أهم الموضوعات فى كتاب الشيخ التويجى على الإطلاق هو موضوع الدجال.

فقد بدأ الحديث عن المرويات التى حملت أخبار الدجال من صفحة ٣٢٢، إلى آخر الجزء الثانى أى إلى صفحة ٤٢٥، ومن صفحة ٥ من الجزء الثالث إلى صفحة ٩١ منه، أى أن فتنة الدجال وحدها شغلت من هذا السفر أكثر من ١٩٠ صفحة، وهذا الحجم يناسب ما ورد عنها من أنها أعظم الفتن فى تاريخ البشرية قاطبة، كما أنه يناسب ما حملته السنة من آثار كثيرة عنه تحذيراً وبيانا لفتنته.

وهذا مما تفرد به كتاب التويجى بين سائر كتب الفتن القديمة والمعاصرة بلا شك، فهى ميزة من مميزات التى تعطى سفره أهمية قصوى بين الكتب المعاصرة فى موضوع الأشرار والفتن والملاحم.

رحم الله الجميع، وجزاهم عن أمة الإسلام خير الجزاء.

(١) انحاء الجماعة ج ٣ ص ٢٧٦.

(٢) من غير أن يشير إلى ذلك.

الفصل التاسع

الشيخ أبوبكر الجزائري ورسالتاه:
اللقطات في بعض مآظهر الساعة
من علامات، والأحاديث النبوية الشريفة
في أعاجيب المخترعات الحديثة

٤٣ - الشيخ أبوبكر الجزائري ورسالتاه.

(٤٣) الشيخ أبوبكر الجزائري ورسائله «اللقطات في بعض ما ظهر للساعة من علامات» و«الأحاديث النبوية الشريفة في أعاجيب المخترعات الحديثة»^(١) :

من الواضح أن الشيخ الجزائري قد نهج في هاتين الرسالتين نهج الشيخ الغماري رحمه الله تعالى وبخاصة ما كتبه في الرسالة الخاصة بأعاجيب المخترعات الحديثة إذ يناظر هذا العنوان ويطابقه في المعنى وفي بعض الألفاظ عنوان كتاب الشيخ الغماري «مطابقة المخترعات العصرية لما أخبر به خير البرية».

وكما بدأ الشيخ الغماري كتابه بذكر تساؤل المسلمين في عصر الأمور العظام: هل أخبر النبي ﷺ عن هذه الأمور؟ كذلك بدأ الشيخ الجزائري بهذا الحديث ويتنفس الشرح الذي جاء في كتاب الغماري.

ثم تحدث عن الأحاديث التي أشارت إلى وسائل الركوب الحديثة فذكر قول النبي ﷺ: «سبكون في أمتي رجال يركبون على السروج كأشباه الرحال.. إلخ»، ويعقب بشرح لهذا الحديث بمائل تماماً لشرح الشيخ الغماري.

ثم ذكر ما ورد من أحاديث نبوية تشير إلى المذياع أو الراديو وهو مطابق في شرحه وفهمه وفي مطابقته لما جاء عند الغماري بهذا الصدد.

وهكذا يذكر الشيخ الجزائري في كل موضوع نفس الأحاديث ونفس الشرح الذي يبين وجه المطابقة بين ما يدل أو يشير إليه النص الشريف وبين ما يقابله من المخترعات الحديثة.

فذكر تقارب الأسواق وسرعة النقل الأمر الذي يشير إلى اختراع البرق والهاتف والتلوكس وغير ذلك، وهو عنده كما جاء عند الغماري رحمه الله أيضاً.

حتى يمكن القول إن رسالتَي الشيخ الجزائري ليستا سوى ملخص لبعض أبواب كتاب الشيخ الغماري رحمه الله من غير أن يشير إليه من قريب أو من بعيد.

(١) نشر مطبعة الكليات الأزهرية القاهرة ١٤٠٣هـ.

هذا كله يؤكد ما سبق أن ذكرناه عن أهمية كتاب الشيخ الغماري رحمه الله تعالى ومدى تأثيره في غيره من المعاصرين وتأثرهم به دون أن يبلغوا أهميته أو شمول نفعه وعموم أهدافه.

لقد توخى الشيخ الغماري رحمه الله تعالى من كتابه إثبات دخول البشرية عصر أوائل الساعة وبدء الأشراف العظمى أى أماراتها وقرب حدوث الآيات العشر التى تسبقها مباشرة علاوة على ما يتحقق فى نفس القارىء نتيجة إثبات صحة وحدث ما أخبر به رسول الله ﷺ بمنهج المطابقة الذى اتبعه.

بيد أن الشيخ الجزائري لم يبرز هدف الغماري العام فى رسالتيه، وإنما توخى الهدف الثانى وأبرزه أكثر من الأول.

وإرجاعا للفضل إلى أهله رأيت وجوب التنويه إلى ريادة الشيخ الغماري فى هذا المضمار وأسبقيته إلى الشروح التى أدت إلى المطابقة، والتى أرى أنها فتح من الله تعالى من به عليه رحمه الله، فأخذ كثير من المعاصرين منه وتأثروا بما قدمه من فهم جديد لنصوص شريفة كثيرة، فطابق فهمه لها الواقع الحضارى والصناعى والخلقى الذى تعيشه البشرية الآن، ولكن أحدا ممن قرأت لهم ممن ثبت أنهم نقلوا عنه لم ينسبوا له ما جاء به من شروح وتفسير يؤديان إلى المطابقة، وكان الأجدر بهؤلاء الناقلين أن يرجعوا الفضل إلى أهله.

الفصل العاشر

الخطّة وتقسيم الأشراف في كتاب أشراف الساعة للأستاذ يوسف الوابل

٤٤ - الخطّة وتقسيم الأشراف عند يوسف الوابل

(٤٤) الخطة وتقسيم الأشراف عند يوسف الوابل

الكتاب المذكور رسالة علمية تقدم بها المؤلف لنيل درجة التخصص الأولى (الماجستير) من جامعة أم القرى .

قدم المؤلف أشراف الساعة فى باين:

الأول: فى الأشراف الصغرى.

والثاني: فى الأشراف الكبرى.

ومهد للباين بعدة مباحث عن اليوم الآخر، ويوم القيامة، وعلم الساعة ، وقرب قيام الساعة وأشراف الساعة، وأقسامها فقال فى هذا الموضوع الأخير: تنقسم أشراف الساعة إلى قسمين:

١- أشراف صغرى:

وهى التى تتقدم الساعة بأزمان متطاولة وتكون من النوع المعتاد، كقبض العلم وظهور الجهل، وشرب الخمر، والتناول فى البنيان ونحوها، وقد يظهر بعضها مصاحباً للأشراف الكبرى أو بعدها.

٢- أشراف كبرى:

وهى الأمور العظام التى تظهر قرب قيام الساعة، وتكون غير معتادة الوقوع كظهور الدجال ونزول عيسى عليه السلام وخروج يأجوج ومأجوج وطلوع الشمس من مغربها.

وقسم بعض العلماء أشراف الساعة من حيث ظهورها إلى ثلاثة أقسام:

١- قسم ظهر وانقضى.

٢- قسم ظهر ولا زال يتتابع ويكثر.

(١) يوسف الوابل / أشراف الساعة ، دار ابن الجوزى الدمام ١٩٩٠، ص ٧٧، ٧٨.

٢- قسم لم يظهر إلى الآن.

فأما القسمان الأولان فهما من أشراف الساعة الصغرى، وأما القسم الثالث فيشترك فيه الأشراف الكبرى وبعض الأشراف الصغرى^(١).

وأول ما يلفت النظر في الأساس الذى بنى عليه تصنيف الأشراف إلى اثنين: صغرى وكبرى، أو إلى ثلاثة: ما انقضى، وما هو مستمر، وما هو فى المستقبل، هو أن هذا الأساس هو الزمان، أى أنه بالتحديد موقع الشرط أو الحدث فى الزمان ليس بالنسبة للساعة قريباً وبعداً ولكن بالنسبة للمؤلف، ولقد أثبتنا أن أول من نهج هذا النهج هو البرزنجى رحمه الله فى الإشاعة فى أشراف الساعة.

أما الصغرى عنده فهى ما سبقت أو ستسبق الساعة بأزمان متطاوله، والكبرى هى التى تظهر قرب قيام الساعة.

ليته التزم هذا الأساس فى التصنيف إذاً لصار على تصنيف أكثر العلماء ومنهم البرزنجى رحمه الله صاحب التصنيف الثلاثى الذى أورده الباحث وسبق أن عرضناه لكن الباحث وقع فى خطأ فادح كان له أثره المستمر سلباً على خطته كلها.

ويتمثل هذا الخطأ فى اعتماده بجانب هذا الأساس للتصنيف أساساً آخر أدخله مع الأول ربما دون أن يدري، وصنف الأشراف وقسم الأبواب والفصول فى خطته بحسب هذا الأساس تارة، وذاك أخرى وبحسب الاثنين أحياناً.

وهذا خطأ منطقي أدت إلى تناقضات فى الخطة وفى التصنيف مما أورثت فى ذهن القارئ لبساً فى مفهوم الأشراف وتعريف الصغرى، والكبرى منها، وهذا اللبس موجود أساساً فى ذهن الباحث ولم يتبه إليه، وكذا غفل عنه أسانذته الذين أشرفوا عليه وناقشوا البحث، ولم يتبهوا له، مع احترامنا للجميع، ودعائنا لهم بخير الجزاء.

وقد ظهر هذا التناقض فى النص المذكور آنفاً والمنقول عنه، فبعد أن ضرب الأمثال للأشراف الصغرى التى تسبق الساعة بأزمان متطاوله حسب تعريفه لها إذا به يقول (وقد ظهر بعضها مصاحباً للأشراف الكبرى أو بعدها..).

فبعد أن عرف الصغرى بأنها التى تسبق الساعة بأزمان متطاولة رجع وقال إن بعض هذه الصغرى قد يظهر مصاحباً للكبرى أو بعدها، والكبرى عنده هى الأمور العظام التى تظهر قرب قيام الساعة.

أليس هذا تناقضاً واضحاً صريحاً ومخالفاً للتصنيف أو التقسيم الذى اعتمده، وألا يدل على أن اللبس واقع فى ذهن الباحث؟

إذ كيف تكون بعض الأشراف الصغرى معاصرة للكبرى أو حتى تظهر بعدها فتكون الصغرى أقرب للساعة من الكبرى وإذا كانت بعض الأشراف كبرى لمجرد أنها أمور عظام أفلا يكون بعض الأشراف التى وقعت فى عهد الصحابة رضى الله عنهم من الكبرى لحملها هذا الوصف.

أليس موت رسول الله ﷺ حدثاً جليلاً ومصيبة عظيمة لم تصب الأمة بمثلها؟
أليس فتح بيت المقدس أعظم إنتصارات الأمة وأكبر فتح إسلامي؟
أليس سقوط الأندلس والقضاء على المسلمين فيها أمراً عظيماً ومن أعظم وأكبر الفتن؟

إن كثيراً من الأشراف التى هى بعيدة عن الساعة هى من الأمور العظام فكيف تقول عنها صغرى لأنها بعيدة عن الساعة بزمان طويل؟ ومن ناحية أخرى تكون كبرى لأنها من الأمور العظام؟

إن الخطأ عند الباحث يكمن فى جعله أساسين للتصنيف وليس أساساً واحداً وهو خطأ منطقي انسحب على خطته كلها وعلى تقسيمه للأشراف من أول الكتاب إلى آخره.

أما أساسا التصنيف الذى اعتمدهما الباحث فقد ذكر الأول صريحاً وأدخل الثانى معه ضمناً.

أما الأول فهو البعد أو القرب الزمنى من الساعة فجعل البعيد عنها فى الزمان من الصغرى، وما كان مباشراً وقريباً من وقوعها هو الأشراف الكبرى.

أما الثانى : فهو عظمة الحدث فى ذاته ومخالفته للسنن، لقد قال فى الصغرى أنها التى تتقدم الساعة بأزمان متطاولة، ولو اقتصر على هذا لما حدث اللبس ولكنه عاد وأضاف إلى هذا الأساس الأول لتصنيفه أساساً آخر بقوله: وتكون معتادة الوقوع، ومن ثم تكون الكبرى عنده غير معتادة الوقوع، وزاد عليها أنها تكون من الأمور العظام، واشترط أيضاً أن تكون قبل الساعة بزمن يسير.

ومعلوم منطقياً أن أى تصنيف يقوم على أكثر من أساس للتصنيف فهو تصنيف فاسد، ذلك أن بعض الأشراف والأحداث موافق للسنن ومن النوع المعتاد، وهو فى نفس الوقت، يقع قبل الساعة بزمان يسير جداً، وكذلك نجد أن بعض الأشراف هو من الأمور العظام وليست معتادة وبعيدة عن الساعة بأزمان متطاولة.

فكيف تصنف هذه أو تلك ؟

لقد كان من نتيجة هذا أن الباحث لم يستطع أن يدخل بعض الأشراف القريبة جداً من الساعة فى الكبرى، لأنها من الأمور المعتادة، وليست من الأمور العظام على حد تعبيره، ووضعها فى قسم الأشراف الصغرى فتناقض مع تقسيمه حسب الأساس الأول للتصنيف، واقتصرت الكبرى على الآيات العشر فقط، فلم يسجل فى قسم الكبرى غيرها، فى الوقت الذى أثبت فيه من الأمور العظام وغير المعتادة والقريبة جداً من الساعة بل أقرب إليها من الكبرى فى قسم الصغرى.

لقد جعل الباحث كل الأشراف الواردة فى السنة من الصغرى ما عدا الآيات العشر فهى وحدها الكبرى عنده وزاد عليها المهدي، ولقد علمنا أن الآيات العشر هى من الأمور العظام والمخالفة للسنن وهى تسبق الساعة بزمن يسير كما دلت على ذلك الأخبار والآثار باتفاق العلماء.

لكن هذه الآيات تتخللها علامات كثيرة جداً هى من الكبرى لأنها من أمور عظام ولقربها أيضاً من الساعة ومنها المهدي، ومنها قتال اليهود، ومنها فتح رومية، ومنها كلام السباع والجمادات للأنس، ومنها ظهور الحسف والمسح والقذف، ومنها كثرة النساء وقلة الرجال حتى تصل نسبة النساء إلى الرجال ٤٠ إلى ١، ومنها رفع

القرآن من المصاحف، ومنها عقم النساء فى الجيل الذى تقوم عليه الساعة، ومنها الريح التى يقبض الله تعالى بها نفوس المؤمنين دون الكافرين.

وهذه كلها أمور تحدث قبل الساعة بزمن يسير جداً بعضها بعد حدوث أكثر الآيات وبعضها قبل الساعة مباشرة وأكثرها من الأمور العظام وغير المعتادة ومع ذلك لم يدخلها الباحث فى الأشراف الكبرى بل سجل أكثرها فى قسم الأشراف الصغرى، ما عدا المهدي الذى خصص له الفصل الأول من الأشراف الكبرى بالرغم من أنه لم يرد ضمن الآيات العشر وليس هو من الأمور غير المعتادة. لأنه خليفة مجدد راشد.

إن قضية تصنيف الأشراف إلى صغرى وكبرى ليست واضحة المعالم عند جميع من كتبوا فى الأشراف قبل الباحث، ومن ثم ورث الباحث من المراجع السابقة هذا الغموض واللبس، ولعل البرزنجي رحمه الله قد عزف عن استخدام هذين المصطلحين : صغرى وكبرى لكى يتخلص من هذا اللبس والغموض فالتزم تقسيماً زمنياً للأشراف ما مضى وانقضى وما لا زال مستمراً وما لم يأت بعد.

وهذا التقسيم يكون حسب الزمان ولكن بالنسبة لعصر المؤلف ومن ثم يجعل الباب مفتوحاً للاجتهاد فى علم الأشراف فى جميع العصور إذ يتعين على علماء كل جيل إضافة ما ظهر من الأشراف فى حياتهم وإحصاء ما بقى منها وما هو متوقع حدوثه فى المستقبل، وهو تصنيف زمنى صرف، وليس فيه وصف لهذا بأنها من الصغرى أو لتلك بأنها من الكبرى، إلا أن يكون هذا وصفاً للحدث أياً كان موقعه فى الزمان سواء فى الماضى أم فى الحاضر أم فى المستقبل.

من أجل تحاشي هذا اللبس الذى نجده ليس عند الأستاذ يوسف الوابل فحسب بل عند كثير من يعتمدون تصنيف الأشراف إلى صغرى وكبرى حسب زمن حدوث الشرط عرضت تصنيفى للأحداث الدالة على الساعة إلى : أشراف وعلامات وأمارات وآيات وجميعها- والله الحمد والمنة مصطلحات مأخوذة من القرآن الكريم، والسنة، وبها يزول كل لبس حول هذا الموضوع.

الفصل الحادى عشر

ترتيب الأشراف حسب وقوعها بين الأولين والمعاصرين

٤٥ - أهمية ترتيب الأشراف متسلسلة حسب وقوعها فى الزمان بين
الأولين والمعاصرين.

(٤٥) أهمية ترتيب الأشراف متسلسلة حسب وقوعها في الزمان بين الأولين والمعاصرين.

إن درجة الأهمية بالنسبة لأي حدث من الأشراف ترتبط بمدى أثر الحدث سواء أكان بالخير والعزة والنصر للأمة الإسلامية، أم كان بالفتنة والضرر والشر عليها. وعلى قدر عموم الخير أو الفتنة والشر وشمولهما لأكثر شعوب الأمة الإسلامية يكون الحدث من الأشراف الصغرى أو الكبرى، وهذا الوصف يطابق أساس التصنيف الخاص به، ومن ثم لا يتعارض مع التصنيف الخاص بزمان وقوع الحدث أو الشرط بالنسبة للساعة قريباً أو بعداً.

وحيث أن قيمة كل علم في نفعه فإن علم الأشراف ترتفع قيمته كثيراً بالنظر إلى ما يمكن تجنبه من الفتن التي ستحدث وشرورها إذا علمناها قبل حدوثها لأن النفع لا يتم إلا إذا سبق العلم بها حدوث الفتنة للتنبيه إليها، وإلى شرها وإلى طريق النجاة منها.

وهذا لا يكون إلا إذا صاحب معه العلم بزمان وقوعها على وجه التقريب أو الإحاطة بدلالات وإشارات تفيد توقع الفتنة قبل حدوثها الأمر الذي يساعد المؤمنين على التحرز منها وتوقي شرها.

فالتحذير من الفتنة قبل وقوعها إذا توقع العلماء قرب وقوعها من الأمور الواجبة عليهم، لما رواه مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال: نادى رسول الله ﷺ الصلاة جامعة، فاجتمعنا إلى رسول الله ﷺ فقال: «إنه لم يكن نبي قبلى إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم، وإن أمتكم هذه جعل عافيتها فى أولها، وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها، وتنجي الفتنة، فيرقق بعضها بعضاً، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن هذه هذه، فمن أحب أن يرحل عن النار ويدخل الجنة فلتأنيبه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر»^(١).

ويدل هذا الحديث الشريف علاوة على ما سبق أن ذكرنا من فائدة نفع العلم بالفتن والأشراف قبل وقوعها- يدل على أن أخطر الأحداث وأشد الفتن وأكثرها شراً هي التي تكون بين يدي الساعة، أى تسبقها بزمان يسير.

(١) صحيح مسلم/ كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء بيمينه الخليفة الأول فالأول (١٢/٢٣٢-٢٣٣) على شرح النووي.

أما الفتن التي في أول عمر الأمة فهي الأقل خطراً وضرراً وشرّاً يدل على هذا قوله عليه الصلاة والسلام: «إن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها، وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها».

ويؤكد هذا أيضاً قوله ﷺ «إن بين يدي الساعة فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسى كافراً، ويمسى مؤمناً ويصبح كافراً...»^(١).

فهذه الفتن المهلكة التي تكون نتيجة الكفر، وليس مجرد المعصية إنما تكون بين يدي الساعة.

ومثله ما رواه مسلم بسنده عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمناً ويمسى كافراً، ويمسى مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا»^(٢).

كل هذا يدل على نتيجة هامة بالنسبة لأساس تصنيف الفتن والأشراط، ذلك أن أشد الأشراط خطراً أو ضرراً على الأمة أقربها للساعة.

كما أن فائدة هذا العلم تكون أنجع وأشمل وأجدي إذا اقترن التحذير من الفتنة بالإشارة إلى توقع حدوثها في عصر أو زمن أو في سنة ما أو في زمان وقوعه المرتقب على وجه التقريب، أو ترقب حدوثها بعد أحداث أخرى تسبقها وهكذا.

وتكون الفائدة محققة إذا كانت الأحداث مرتبة ترتيباً متسلسلاً بحيث يكون الحدث أو الفتنة منذرًا للمسلمين لما بعدها، فيكون المؤمن على توقع وترقب للفتنة بعد الفتنة وللحدث بعد الحدث، فيكون علي علم ودراية بكيفية النجاة منها. والسلوك الواجب عليه اتباعه نحوها حتى ينجو من شرها.

ومن ثم فإن أهم ما في علم أشراط الساعة هو قضية الترتيب الزمني لها.

(١) رواه الإمام أحمد (٤/٤٠٨)، ومستدرک الحاكم (٤/٤٤٠) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) صحيح مسلم/ كتاب الإيمان، باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن، (٢/١٣٣) مع شرح النووي.

ومطابقة أحداث الأشراف بالأحداث والأحوال المتحققة فى الواقع المعاصر لأصحاب هذا العلم.

وترتفع أهميته أكثر إذا صح ترتيب الأحداث المُستقبلَة على الأحداث الحاضرة أو المعاصرة، قال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْثَرْتَ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ وهيهات أن يعرف الإنسان الفرد ماذا سيكسب غداً ، وهيهات أن يعرف بأى أرض وفى أى وقت سيموت، فكيف يكون الحال بالنسبة لشعب أو أمة أو الإنسانية كلها؟!

ولكن الأشراف التى هى من الأحداث العامة للأمة هى مما أخبرنا بها الوحي، ويتيح اجتهاد العلماء بمنهج المطابقة بين المدلول الصحيح لنصوص الأشراف وبين الواقع معرفة أو توقع قرب حدوث الحدث الجلل، ومن ثم يمكن للمسلمين: حكماً ومحكومين الاهتمام بهذه المعرفة لاتخاذ قراراتهم السياسية والاقتصادية والحربية وغيرها، تحرزاً وتوقياً للشر، وليس منعاً لما هو مرتقب، لأن كل مقدر بأمر الله تعالى، واقع لا محالة، ومن ثم تكون الفائدة مجرد التحرز من الشر، ووقاية من الوقوع فى الفتنة .

هذا كله يجعل قضية ترتيب الأشراف وتسلسلها فى الزمان أخطر قضايا هذا العلم.

أقول هذا رداً على بعض الهواة غير المنفرغين للعلم وغير المنقطعين له المعترضين على منهج المطابقة، والذين ظنوا أن الكتابة فى الإسلام والتأليف فى علومه - وبخاصة فى هذا العلم، ساحة مفتوحة لكل من تعلم القراءة والكتابة بالنقل ووضع العناوين، وما أسهل أن يطلب الواحد من هؤلاء أحاديث موضوع ما من «الكمبيوتر» ثم يضع لكل مجموعة منها عنواناً، ولكل مجموعة عناوين عنواناً لفصل أو لباب ثم يدفعها إلى المطبعة ويصبح بذلك عالماً إسلامياً أو مؤلفاً كاتباً إسلامياً، وليسته يكتفى بهذا بل لابد، لكى يثبت رسوخه فى العلم، أن يتناول على غيره، ويسخر من الذين اجتهدوا، وحاولوا مطابقة النصوص على الأحداث التاريخية والمعاصرة، ومن ثم أصابوا، وأخطأوا، فلا يذكر لهم إلا الأخطاء، ولو قلتُ أما هو فقد آثر السلامة فلم يجتهد

واكتفى بنقل النصوص فحسب، ومن ثم لم يخطئ، وكيف يقع في الخطأ وهو لم يكتب شيئاً أصلاً، وإنما قام بالنقل فقط؟ فتوهم أنه أعلم وأفقه وأفضل ممن اجتهد فأخطأ أمثال هؤلاء يخفون عجزهم عن المطابقة وجهلهم بأصول وأهداف هذا العلم فيتهمون المجتهدين بالتكلف.

لامثال هؤلاء أقول: لئن اجتهد وأخطئ خير لى من المتاجرة بنصوص الوحي بنقلها، ووضع أسمى عليها كما تفعلون.

إن العلم هو الحفظ للنصوص المنزلة من السماء ثم تفسيرها حسب قواعد التفسير وأصول الفقه ثم فهمها وتأويلها فى ضوء الواقع التاريخى والواقع الحضارى والصراع المعاصر، أى إن العلم الحقيقى هو تفسير النصوص بالواقع والكشف عن أسرار هذا الواقع الدفينة بالنصوص.

وللمجتهد المخطئ أجر وللمصيب أجران، أما النساخ فلم يرد ما يثبت أن لهم أجر العلماء ولو كتبوا على غلاف ما ينسخون» تأليف فلان».

أما الذين يعتبرون أنفسهم علماء لمجرد حفظ النصوص فإن أشرطة الفيديو والكاسيت أكثر منهم حفظاً، بل إن شريحة فى الكمبيوتر أو ديسكاً أو اسطوانة تحمل الآن من العلوم ما يعادل مكتبة جامعة وتحفظه لطالبه ويستحضره الجهاز فى أقل من ثانية حين الطلب ومن ثم يقتصر العلم على الفهم، أو هو حفظ مع فهم، أما الحافظ بغير الفهم، فهو أشبه بهذه الأدوات والأجهزة السمعية .

فليس المقصر عن الاجتهاد كالمجتهد وبخاصة هذا الذى لم يجتهد مخافة الخطأ حرصاً منه على سمعته بين الناس والزملاء، وحتى يقولوا عنه أنه عالم لا يخطئ، وهذا هو عين الرياء.

الفصل الثاني عشر

ترتيبى للأحداث التى تترقبها أجيالنا
المعاصرة استخلاصاً من النصوص
وهما اتفق عليه جمهور العلماء

٤٦ - ترتيبى للأحداث التى بين يدى الساعة التى تترقبها الأجيال
المعاصرة استخلاصاً من النصوص ومما اتفق عليه جمهور
العلماء.

(٤٦) ترتيبي للأحداث التي بين يدي الساعة التي تترقبها الأجيال المعاصرة استخلاصاً من النصوص ومما اتفق عليه جمهور العلماء:

- ١- أحداث القيامة الصغرى بنفخة الصور الأولى نفخة الفزع: زلزال الأرض العظيم الذي يصاحبه خسف بالشرق، وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وهو ما جاءت تفاصيل أحداثه ومقدماته بالجزء الأول.
- ٢- بيعة المهدي وخسف جيش السفيناني بالبيداء.
- ٣- إقامة الخلافة الراشدة وتوحيد الأمة وعودة عزتها وقوتها وتحقيق الغنى والرخاء والعدل على يديه.
- ٤- مصالحة الروم وقيام حلف بين الخلافة وبين أوروبا الموحدة ضد عدو مشترك والانتصار عليه.
- ٥- غدر الروم (أوروبا الموحدة) وهجومهم على العالم الإسلامي العربي كله مرة واحدة في أعظم ملحمة في تاريخ البشرية وهزيمتهم وفتح المسلمين لأوروبا: قسطنطينية (تركيا) مرة ثانية ثم رومية (روما) لأول مرة وهدم الكنيسة الشريكية.
- ٦- الخروج العلني للدجال.
- ٧- نزول المسيح عيسى بن مريم عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام، وقتل الدجال واستئصال اليهود وإفسادتهم الأخيرة.
- ٨- خروج يأجوج ومأجوج وقتل الله عز وجل لهم.
- ٩- حكم المسيح عليه السلام الأرض بالإسلام وتحقيق الرخاء العيم والسلام التام للبشرية لأول مرة في تاريخها حتى لا يبقى على ظهر الأرض آدمى إلى وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .
- ١٠- موت المسيح ودفنه بجوار رسول الله ﷺ وصاحبه.

- ١١- خروج الشمس من مغربها والدخان من السماء ودابة الأرض التى تكلم الناس.
- ١٢- قيام ملك الحبشة ذو السويقتين بهدم الكعبة.
- ١٣- رفع القرآن من المصاحف.
- ١٤- موت المؤمنين بريح طيبة فلا يبقى فى الأرض إلا المشركون الكافرون جيل أو أجيال الأشرار الذين ستقوم عليهم وعلى أبنائهم أو على أحفادهم الساعة.
- ١٥- عقم النساء.
- ١٦- خروج نار من قعر عدن تسوق الناس تبيت معهم حيث باتوا، وتقليل معهم حيث قالوا وهى آخر آيات الساعة.
- ١٧- فى وقت لا يعلمه إلا الله تعالى وحده يُنْفَخُ فى الصور نفخة الصعق فيموت كل من وما على الأرض من أحياء فى لحظة واحدة وتلك هى القيامة الوسطى.
- ١٨- بعد هذا بزمن لا يعلم مقداره إلا الله تعالى وحده يُنْفَخُ فى الصور النفخة الثالثة: نفخة السبعث ليقوم الناس للحساب ثم الجزاء وأحداث القيامة الكبرى. إحفظوها وحفظوها لأبنائكم وأحفادكم، ولا تنسونى من دعائكم.

الباب الخامس

التمييز بين مراحل القيامة الثلاث

الفصل الأول

المفهوم الشائع ليوم القيامة لدى
المسلمين في ضوء الكتاب والسنة

الفصل الثاني

اختلاف العلماء في تحديد عدد
نفخات الصور من أسباب الخلط
بين مراحل يوم القيامة الثلاث

الفصل الثالث

أحداث كل مرحلة من مراحل القيامة الثلاث

الفصل الأول

المفهوم الشائع ليوم القيامة لدى
المسلمين في ضوء الكتاب والسنة

٤٧- الخلط بين مراحل القيامة الثلاث:

٤٨- شواهد على تداخل أحداث القيامة الثلاثة عند المفسرين.

(٤٧) الخلل بين مراحل القيامة الثلاث:

ثم اختلاف كبير بين المفهوم الصحيح للقيامة أو للساعة في القرآن الكريم والسنة، وبين المفهوم السائد في أذهان المسلمين، لا أقول العامة منهم فقط بل وعند كثير من العلماء غير المتخصصين بل والمتخصصين منهم ولو طرحنا استبياناً بين المسلمين عن مفهومهم ليوم القيامة أو الساعة من خلال ما يسمعون من آيات كريمة ومن أحاديث شريفة تحدثنا عن مشاهد القيامة وأحداث الساعة لسمعنا من كثير منهم قولاً واحداً: أن القيامة أو الساعة هي اسم لمجموع الأحداث التي يتم بها هدم عمارة الكون وموت كل حي فلا يبقى بعدها في الأرض أو في السماء نفس النظام أو النواميس القائمة الآن ويموت بسبب هذا الهدم كل حي، من ذلك انتشار الكواكب وتكوير الشمس، وانكدار النجوم ونسف الجبال حتى تصير هباء منبثاً وانفجار البحار وتسجيرها وانشقاق السماء، وانفطارها وكشطها، ورجفة الأرض وزلزلتها التي هي زلزلة الساعة الموصوفة بأنها شيء عظيم، وغير ذلك من مظاهر الهدم، والتدمير في السماء وفي الأرض وفي الجبال، وفي البحار ومن ثم يصل التدمير والتغيير إلى كل شيء، وتنفى الحياة على الأرض، بما فيها حياة الإنسان.

وإذا طرحنا سؤالاً عن المدة الزمنية الواقعة بين هذه الأحداث وبين موت كل الأحياء في الأرض، لجاءت الإجابة بأن هذا يحدث في وقت واحد، وأن موت جميع الأحياء يكون بسبب هذا الهدم.

هذا هو المفهوم الذي كنت ألقاه ممن سألتهم عن القيامة والساعة سواء كان المستول: أمياً أم كان متعلماً، وسواء أكان مثقفاً أم غير مثقف حتى الذين سألتهم من أساتذة الشريعة والفقه، قالوا نفس الإجابة، بل إن المتخصصين منهم في التفسير والحديث وبدرجة أستاذ جامعي أجابوا بأن زلزلة الساعة هي وقت هدم عمارة الكون وهو الهدم الذي يموت بسببه كل حي، كل ما هنالك أن بعضهم فرق بين الساعة والقيامة، بأن الساعة هي لحظة بدأ الهدم وموت الأحياء في الأرض، وأن القيامة لحظة البعث وبدأ النشور والوقوف لرب العالمين للحساب.

والذى دعانى إلى مثل هذا الاستبيان عن مفهوم الساعة أو القيامة عند المسلمين، عامة وخاصة هو أننى ظلمتُ حتى تَخَطَّيْتُ الخمسين من عمرى بهذا المفهوم مع أن تخصصى فى العلوم الإسلامية هو العقيدة والتوحيد، وأصحاب هذا التخصص لا بد لهم من أن يتعاملوا مع نصوص الوحي : كتاباً وسنة تعاملها مباشرة فيما يخص آيات وأحاديث العقيدة والتوحيد، ومن أركان العقيدة والتوحيد الإيمان باليوم الآخر، ومن مواضيع اليوم الآخر أشراف الساعة وهى الأحداث التى بدأت ببعث النبى الخاتم المصطفى سيدنا محمد ﷺ والتى تَنْتَهِى بأحداث القيامة أو الساعة التى هى مشاهد هدم عمارة الكون، ومن مواضيعه أيضاً أحداث يوم القيامة أو الساعة التى هى مظاهر الهدم ، والفناء، ومنها أيضاً أحداث البعث والنشور، ومن أحداثه أيضاً الميزان والحساب والصراط والشفاعة الكبرى والشفاعات الصغرى والحوض، ودخول أهل الجنة الجنة، ودخول أهل النار النار، ومن العلماء من يُضيف إلى هذه المواضيع الموت والبرزخ وحساب القبر.

والذى أود إبرازه من هذا كله، أن أكثر العلماء والأساتذة ، وقد كنتُ معهم فى هذا الخطأ، يخلطون بين أحداث الهدم وبين فناء الحياة ويجعلون هذا كله فى ساعة واحدة أو يبدأ بلحظة واحدة، بيد أنه قَدْ ثَبِتَ لى بالأدلة القرآنية، والحديثية أن أحداث الفناء ومشاهد القيامة فى السماء والأرض والجبال والبحار سَتَسْبِقُ فى الحدوث بعشرات السنين، وربما بمئات السنين، فناء الحياة على الأرض، أى أن كل ما نقرأه فى القرآن الكريم من مشاهد الهدم والفناء لا يتم على أثره انتهاء الحياة على الأرض، بل تستمر الحياة بعده زمناً لا يعلمه إلا الله عز وجل - وإن كان وقوع هذه الأحداث الرهيبة التى تشمل العالم كله، دليل على أن الدنيا تحترق وأن البشرية صارت بين يَدَيِ الساعة، ولا يمنع هذا من القول بأن أحداث الفناء سيهلك فيها وبسببها كثير من الخلق، ربما يكون القتل والموتى من هذه الأحداث أكثر بكثير من الذين كتب الله تعالى لهم النجاة، لكن البشرية ستبقى ويستمر الصراع بين حزب الله وحزب الشيطان وستقع أحداث كثيرة فى نطاق هذا الصراع نَبَّأتُ بها نصوص الوحي: قرآناً وسنة.

أما انتهاء الحياة على الأرض فلا يصحبه أدنى هدم أو حدث من أحداث الفناء لا في السماء ولا في الأرض ولا في البحار، ولا في الجبال.

وستتضح لنا هذا من خلال الأدلة التي سنعرضها بإذن الله تعالى وبوعونه وتوفيقه. لكن الذي أود أن أنوه إليه: أن أكثر المفسرين لم يوضحوا هذه الحقيقة فيما فسروه من آيات مشاهد الفناء والعذاب والقيامة والتي ورد أكثرها في القرآن المكي وبخاصة في جزء عم والسور القصيرة.

ونتيجة لغياب هذه الحقيقة التي ذكرناها، وهي وجود فاصل زمني بين أحداث القيامة المتمثلة في الهدم والفناء والتي يتم بسببها هلاك كثير من البشر والأحياء، وبين انتهاء الحياة بالكلية على ظهر الأرض في لحظة واحدة بحيث لا يبقى بعد هذه اللحظة حتى ولا حشرة على قيد الحياة، هذا الفاصل الزمني بين الحدثين غاب عن كثير من المفسرين ففسروا الحدثين باعتبارهما حدثاً واحداً ويتمان في وقت واحد ويوم واحد ويبدأن في لحظة واحدة، بالرغم من أنهما لم يُصرّحا بهذا، ولكن فسروا الآيات من خلال هذا المفهوم، مع أن بعض النصوص قد صرحت بأن الحياة تستمر بعد أحداث الهدم، إلا أن هذه النصوص لم يلتفت إليها أكثر المفسرين، ومن ثم لم يصلوا إلى حقيقة أن اليوم الآخر، أو يوم القيامة هو عصر من عصور البشرية، وهو آخرها وأنه يتكون من ثلاث مراحل، وكل مرحلة منها يطلق عليها نفس الاسم وهو القيامة، ومن ثم تميزاً لهذه المراحل كان لابد من أن نطلق على الأولى القيامة الصغرى والثانية القيامة الوسطى والثالثة القيامة الكبرى، أو الأولى والثانية والثالثة.

والذي يراجع كتب التفسير فيما يخص آيات الهدم والفناء، وآيات انتهاء الحياة بالكلية، وآيات البعث والنشور والحساب، يجد خلطاً عند المفسرين بين أحداث القيامة الصغرى الأولى، التي هي الهدم والغناء والموت غير الكلي للأحياء، وبين أحداث الوسطى التي هي انتهاء الحياة بالكلية من غير هدم مع أن بينهما عشرات، وربما مئات السنين، فهما ليسا حدثاً واحداً بل هما حدثان متفصلان تماماً ومختلفان تماماً، وإن كان كل واحد منهما مرحلة من مراحل يوم القيامة: وكذلك تتضمن كتب

التفسير خلطاً بين أحداث القيامة الوسطى التى هى فناء الحياة على ظهر الأرض بالكلية بغير هدم أو دمار، وبين أحداث القيامة الكبرى التى هى البعث والنشور مع أن الحدثين مختلفين ومتناقضين بالكلية، إذ الأولى إفتاء وإنهاء للحياة بالكلية على الأرض، والثانية بعث الأولين والآخرين دفعة واحدة هذه المراحل الثلاث من مراحل اليوم الآخر لا يتم فهمها على الوجه الصحيح إلا بالفصل بين كل منها بخلاف ما هو موجود عند كثير من المفسرين.

وسأضرب لهذا بعض الشواهد للتوضيح عند أحد المفسرين المحققين، بل لعله أشد المفسرين تحقيقاً للأحاديث رواية ودراية وهو الحافظ ابن كثير رحمه الله فى تفسيره الذى اسمه «تفسير القرآن العظيم»، وكذلك فى كتابه «النهاية فى الفتن والملاحم».

(٤٨) شواهد على تداخل أحداث القيامات الثلاثة عند المفسرين:

الشاهد الأول: فى تفسير قوله تعالى: ﴿.... وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولَى النَّعْمَةِ وَمَهْلُكُمْ قَلِيلًا ۝ إِنَّا لَدَيْنَا أَنْكَالٌ وَجَحِيمٌ ۝ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ۝ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيرًا مَّهِيلًا ۝﴾ [الزمل: ١١-١٤] قال ابن كثير رحمه الله فى تفسير هذه الآيات ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولَى النَّعْمَةِ﴾ أى دعنى والمكذبين المترفين أصحاب الأموال فإنهم على الطاعة أقدر من غيرهم، وهم يطالبون من الحقوق، بما ليس عند غيرهم ﴿وَمَهْلُكُمْ قَلِيلًا﴾ أى رويداً كما قال تعالى: ﴿نُمتَّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [لقمان: ٢٤] ولهذا قال هاهنا ﴿إِنَّا لَدَيْنَا أَنْكَالٌ﴾ وهى القيود قاله ابن عباس وعكرمة وطاووس ومحمد بن كعب وعبد الله بن بريدة، وأبو عمران الجوني، وأبو مجلز والضحاك وحمام بن أبى سلمة وقتادة والسدى وابن المبارك والثورى وغير واحد ﴿وَجَحِيمًا﴾ وهى السَّعِير المضطربة ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ قال ابن عباس ينشرب فى الخلق فلا يدخل ولا يخرج ﴿وَعَذَابًا أَلِيمًا يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾ أى تزلزل ﴿وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيرًا مَّهِيلًا﴾ أى تصير ككثبان الرمل بعد ما

كانت حجارة صماء، ثم إنها تنسف نفساً فلا يبقى منها شيء إلا ذهب حتى تصير الأرض قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً أى رابية ومعناه لا شيء ينخفض ولا شيء يرتفع^(١).

والسؤال الذى نظرحه على ابن كثير رحمه الله تعالى هو: كيف تفسر قوله تعالى: ﴿وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيًّا مَهِيلًا﴾ فى النهاية بأن الأرض تصير: ﴿قَاعًا صَفْصَفًا لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ أى رابية مع أن الآية الكريمة فى هذه السورة لا تتضمن هذه الحال الأخيرة للأرض والجبال وإنما اقتضت على أن الأرض والجبال سترجف بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيًّا مَهِيلًا﴾ فالحال الذى آلت إليه الجبال بعد رجفتها مع رجفة الأرض هو أنها صارت ﴿مَهِيلًا﴾ والكثيب المهيل هو كوم عظيم، أو تل من التراب فالجبال فى هذه الآية ستصير كثباناً من الأحجار المحطمة والأتربة المتطايرة ومثلها قوله تعالى ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۚ لَنُيَسِّرَنَّ لَوَقْعَتِهَا كَذَبٌ ۖ كَافٍ ۚ﴾ [الواقعة: ١-٦] فرج الأرض هو رجفتها فى سورة المزمل والهباء المنبث أى الأتربة المنتشرة فى الفضاء من لوازم انهدام الجبال وصيرورتها إلى كثبان مهيلة، لأن هدم الجبال نتيجة لرجفة الأرض الشديدة، أو الزلزلة لا تصير به إلى كثبان مهيلة فقط، وإنما لا بد أن تملأ الأتربة الناتجة من الهدم الجو المحيط، فإذا كانت عدد الجبال بالملايين فى أرجاء الأرض فكيف تتصور الفضاء المحيط بالأرض إلا أن يكون مملوءاً بالهباء المنبث فيه، والذى يحجب ضوء الشمس، والقمر؟ وقد أصبحت الأرض مليئة بأكوام ضخمة عظيمة من الأتربة والحجارة المحطمة والكتل الجبلية الضخمة؟ فهل تكون الأرض بعد الرجفة قاعاً صفصفاً لا عوج فيها ولا أمتاً؟ بالقطع لا، لأن هذا الحال نقيض هذا الحال.

ولم يخف على ابن كثير هذا الاختلاف والتناقض بين حَالِي الجبال فحاول أن يرفع هذا التناقض بينهما بقوله «أى تصير ككثبان الرمل بعد ما كانت حجارة صماء،

(١) ابن كثير - التفسير / ج ٤ ص ٤٣٧، ص ٤٣٨.

ثم إنها تنسف نفسها فلا يبقى منها شيء إلا ذهب حتى تصير الأرض قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمناً أى رابية ومعناه لا شيء ينخفض ولا شيء يرتفع ولا يختلف اثنان ممن يقرأون هذا التفسير له رحمه الله على أن مدلوله هو أن هذا كله يوم البعث وأن الجبال ستهدم بالرجفة أو برجة الأرض فتصير كثباناً من الحجارة والأتربة ثم ينسف الله تعالى هذه الكثبان فتصير كالعهن المنفوش أى الصوف المتطاير من خفته ثم تصبح الأرض قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمناً ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ۖ (١٠٥) فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۖ (١٠٦) لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ۖ [طه: ١٠٥-١٠٧].

ويبدو أن ابن كثير رحمه الله تعالى فسر آيات سورة المزمل بآيات سورة الواقعة وبآيات سورة طه، وبآيات سورة القارعة وهى قوله تعالى : ﴿الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ وَمَا أَذْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ۖ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ۖ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ۖ [القارعة: ١-٥] وحيث أن الاختلاف واضح بين الكثبان المهيلة التى تصير إليها الجبال بفعل رجفة الأرض ورجتها، وبين العهن المنفوش الذى تصير إليه الجبال بعد القارعة ، وذلك حين يكون الناس كالفراش المبعوث، فقد حاول ابن كثير أن يجعل هذا محولاً من ذاك فقال: ﴿فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ۖ﴾ ومن ثم وقع النسف حسب قوله على الكثبان المهيلة وليس على الجبال مع أن آيات سورة طه تثبت النسف الذى تنعدم على أثره الجبال واقعاً على الجبال ، وليس على كثبان مهيلة وتنسب الفعل مباشرة لله تعالى : ﴿فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ۖ﴾ بخلاف هدمها ودمارها بفعل رجفة الأرض ورجتها الذى يعقبه الهدم والردم، وليس النسف الذى تصير به كالعهن المنفوش، ثم تصير هباءً ثم تنعدم بالكلية، فتصبح الأرض مستوية ليس فيها نتوءات والحقيقة أن الجبال التى تصبح بالرجفة كثباناً مهيلة غير الجبال التى ينسفها الله تعالى نفساً، الأولى هى العمارات والمباني السكنية الشاهقة، وهى جبال لارتفاعها الشاهق ولضخامة المبنى وتهدم بزلزلة الساعة فتصبح أكثرها كثباناً مهيلة أى أكواماً من التراب والحجارة وذلك يوم زلزلة الساعة التى هى شيء عظيم، وهو يوم الواقعة وهو اليوم الذى ترتجف فيه الأرض والجبال، وهذا اليوم من أيام الدنيا، ولاتفنى فيه الحياة

بأكملها بل هو فناء لأكثر الأحياء ويبقى الناس بعدها كما وضعنا في الجزء الأول من القيامة الصغرى، وانهدام الجبال هو انهدام العمارات، وليس الجبال التي هي أوتاد الأرض التي يسمونها الطبيعية بخلاف الجبال الصناعية التي أنشأها الإنسان أما اليوم الذي تكون فيه الجبال كالعهن المنفوش فهو يوم البعث الذي يخرج فيه الناس من قبورهم كالفراش المبتوث، وهو اليوم الذي ينسف فيه الله الجبال نسفاً فيذر الأرض قاعاً صافصفاً لا عوج فيها، ولا أمتاً وكل البشر يتبعون الداعي ويسيرون في اتجاه واحد نحو المحشر للحساب ومن ثم قال بعد ذلك ﴿لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا (١٠٨) يَوْمَئِذٍ لَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ [طه: ١٠٧-١٠٩].

فالجبال التي ستصبح كثيباً مهيلاً غير الجبال التي سينسفها ربى نسفاً واليوم الذي يتم فيه الحدث الأول غير الذي يتم فيه الحدث الثاني، الأول في الدنيا ومن أحداث القيامة الصغرى، والثاني بعد البعث ومن أحداث القيامة الكبرى لكن ابن كثير خلط بين الحدثين وبين الزمانين وجعل هذا امتداد لذاك وجعل الحال الثاني تحولاً عن الحال الأول، أى جعل الحدثين حدثاً واحداً بمرحلتين تصبح الجبال في الأولى كثيباً مهيلاً ثم ينسف الله تعالى الكثيب المهيل إلى عهن منفوش ثم يتلاشى هذا العهن المنفوش، وهذا هو الخطأ لأن الجبال التي تنهدم بالزلازل ليست أوتاد الأرض التي ألقاها الله عليها من السماء أثناء خلقها في يومين، وإنما هي البناءات الشاهقة ذات الطوابق المتعددة والشقق العديدة التي صارت قممها وأسطحها أعلى من كثير من جبال مكة وغيرها، أما الجبال التي سألوا الرسول ﷺ عنها ماذا سيكون مصيرها يوم القيامة فهي الجبال التي جعلها الله تعالى أوتاداً للأرض مثل جبال مكة وهي التي سينسفها الله عز وجل وهي التي كان سؤال المشركين للنبي ﷺ عنها.

وهذا شاهد من شواهد الخلط بين حدث من أحداث القيامة الصغرى التي تقع في الدنيا وتستمر بعدها الحياة وبين أحداث القيامة الكبرى التي تحدث بعد البعث من القبور، وهو ليس عند ابن كثير فقط بل عند أكثر المفسرين، والسبب هو عدم التمييز بين كل من القيامة الصغرى، والوسطى والكبرى.

الشاهد الثاني: وهو يخص حال الأرض يوم القيامة قال تعالى : ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۚ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۚ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ۚ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۚ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۚ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيرَوْا أَعْمَالَهُمْ ۚ﴾ [الزلزلة: ١-٦] .

قال ابن كثير فى تفسيرها :

قال ابن عباس : ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ أى تحركت من أسفلها .

﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ أى ألقت ما فيها من الموتى قاله غير واحد من السلف وهذه كقوله ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١] وكقوله : ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ [الانشقاق : ٤، ٣] وقال مسلم فى صحيحه وحدثنا واصل بن عبد الأعلى حدثنا محمد بن فضيل عن أبيه عن أبى حازم عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ « تلقى الأرض أفلاذ كبدها أمثال الاسطوان من الذهب والفضة فيجىء القاتل فيقول: فى هذا قتلت، ويجىء القاطع فيقول: فى هذا قطعت رحمي، ويجىء السارق فيقول: فى هذا قطعت يدي، ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئاً » (١) .

فإذا تأملنا هذا الحديث الصحيح لوجدنا أنه من أحداث الدنيا وأحوالها وأحوال أهلها وليس من أحوال البعث ولا من أحوال البرزخ، ولا من أحوال أهل الجنة ولا من أحوال أهل النار، ومن ثم فالذى يشير إلى اسطوانات الذهب والفضة تحت قدميه بعد أن أخرجتها الأرض من باطنها أثر الزلزلة ويقول فى هذا فعلت وفى هذا فعلت من المعاصى نادماً لأبد أنه من أهل الدنيا ولا زال حياً فيها بدليل قوله ﷺ عن هؤلاء الذين عصوا ربهم بسبب الذهب والفضة أو المال بعامة « ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئاً » وليس هذا من أحوال الناس فى المحشر، وليس هذا من أحوالهم فى البرزخ،

(١) تفسير ابن كثير ج٤ ص٥٣٨، ص٥٣٩ .

لاحظ أن هذا ليس من قول ابن عباس وإنما هو قول بعض التابعين فهو اجتهدى منهم بالرغم من أنه يخالف حديثاً ورد فى تفسير هذه الآية كما سترى

وإنما الذى يرى المال ويدعه ندماً على فعله، هو بالضرورة من أهل الدنيا، فبنص هذا الحديث الشريف الصحيح يكون وقوع زلزلة الأرض التى هى زلزلة الساعة فى سورة الحج، هو من أحداث الدنيا الذى يعيش الناس بعده وتستمر الحياة بدليل قول الإنسان بعد انتهاء الزلزلة ﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾ قال ابن كثير: «أى استنكر أمرها بعد ما كانت قارة ثابتة ساكنة وهو مستقر على ظهرها أى تقلبت الحال فصارت متحركة مضطربة قد جاءها من أمر الله تعالى ما قد أعد له من الزلزال الذى لا محيد له عنه، ثم ألقت ما فى بطنها من الأموات الأولين والآخرين وحيثئذ استنكر الناس أمرها وتبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار» (١).

فتأمل انتقال ابن كثير من زلزلة الأرض إلى البعث والنشور مباشرة وهو خطأ لأن الزلزلة يعيش بعدها كثير من الناس ويتساءلون: مالها؟ أى ما سبب هذه الرجفة العنيفة التى لم يحدث لها مثل من قبل؟ وتأتى الإجابة من أخبارها التى تحدث بأن ربك أوحى لها، أى أن نشرات الأخبار وإجماع العلماء من جيولوجيين وفيزيائيين وغيرهم سيقولون يوماً أن هذا أمر لا تفسير له بالعوامل المادية، إذ لا تفسير له إلا بالمبادئ الدينية القائلة أن للكون وللإنسان رباً واحداً غضب عليه فأنزل به العذاب بهذا الزلزال، أليست أخبار الأرض هى الصادرة عن وكالات الأنباء فى نشرات الإخبارية فى أجهزة الإعلام؟ بلى والله إن هذا لا يكون إلا فى الدنيا وفى أيامنا هذه، وبالرغم من أن الحديث الصحيح يقول إن الأثقال التى ستخرجها الأرض من باطنها هى اسطوانات الذهب والفضة إلا أن ابن كثير يصر على أن الذى ستخرجه الأرض هو جثث الأموات من الأولين، والآخرين، فجعل الزلزلة هى الحادث الذى يتم على أثره البعث والنشور، وهذا الخطأ الناجم عن الخلط بين الزلزلة التى هى أخطر أحداث القيامة الصغرى، أو فجر يوم القيامة، وبين الساعة التى يموت بها كل

(١) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٥٣٩ وقد سبق أن فصلت فى الجزء الأول ما يثبت أن زلزال الساعة هو فى الدنيا، ولكن ابن كثير هنا يحيد عن الحديث الذى يقرر أن الأثقال التى تلقىها وتخرجها الأرض بعد الزلزال اسطوانات الذهب والفضة ويقول أن الأثقال هى الأموات من الأولين والآخرين أى البعث وهذا هو الخطأ

حتى فى لحظة واحدة، وهى ما تُسمّى القيامة الوسطى، وأيضاً خلط فى تفسير هذه السورة بين القيامتين، الصغرى والوسطى من ناحية وبين القيامة الكبرى من ناحية أخرى بقوله «حيثما استنكر الناس أمرها ﴿تَبْدُلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾» وهذان الحدّان اللذان هما تغيير الأرض والسموات والبروز لله عز وجل للحساب هما أهم أحداث يوم القيامة الذى يبدأ فى الدنيا والحياة تستمر بعده والناس يتصارعون ويطيعون ويعصون ويبتلون وبين يوم الدين والحساب الذى فى آخره بعد انتهاء الحساب يغير الله الأرض غير الأرض والسموات فانظر إلى أى مدى صار الخلط عند المفسرين بين مراحل يوم القيامة وهو خطأ واضح كمن يخلط بين طلوع الشمس وبين غروبها، ويجعلهما ساعة واحدة لمجرد أنهما فى عصر واحد مع أنهما نقيضان إن يوم القيامة يبدأ فى الدنيا فى آخر عصر من عصورها، وينتهى فى آخر يوم البعث والنشور أى يوم الدين ويوم الحساب بانتهاء الحساب وبين هذا الحدث وذاك حدث آخر وسط هو القيامة الوسطى الذى يموت فيها كل حي وهو مختلف عن يوم الزلزلة الذى يُقتل ويهلك فيها خلق كثير ولكن تستمر الحياة ويستمر الصراع بين أهل الإيمان، وأهل الكفر وهذا الخلط عند ابن كثير موجود فى تفسير آيات القيامة وأحداث الساعة ومشاهد البعث والنشور فى جميع السور التى وردت فيها وليس عند ابن كثير وحده، بل عند كثير من المفسرين المحققين غفر الله لنا ولهم جميعاً، إن لم يكن عند أكثرهم.

هذا بالرغم من أن منطوق سورة الزلزلة وسياقها يدلان دلالة صريحة على أن الزلزلة تكون فى الدنيا ويستمر بعدها الإنسان حياً ويثبت هذا ويؤكد حديث رسول الله ﷺ عن خروج اسطوانات الذهب والفضة وموقف العصاة منها وتركهم لهذا المال بعد أن كان سبباً فى معصيتهم لله تعالى من قبل، ثم صار كثيراً حتى أنه ليضربه بقدميه نادماً ولكن ابن كثير مع كثير من السلف يفسرون «أنقالها» بأنها الأموات من الأولين والآخرين أى فسروها بالبعث وهو غير صحيح بل هو خطأ ناتج عن لبس وخلط فى أذهانهم عن أحداث القيامة وتداخلها فى بعضها، والصحيح هو الفصل والتمييز بينها، ومن ثم لزم منا هذا الفصل والتمييز استخدام المصطلحات الثلاثة: القيامة الصغرى والقيامة الوسطى والقيامة الكبرى أو مراحل القيامة الثلاثة،

وذلك حتى لا ينجم تناقض بين الحديث الصحيح ودلالة الآيات عند المفسرين، كما حدث فى تفسير آيات الزلزلة ولجوء بعض السلف إلى تفسير الانشقاق بالأموات بعد البعث فى حين أن الحديث الذى رواه مسلم يفسرها بأسطوانات الذهب والفضة تخرجها الأرض من بطونها للناس الأحياء.

وهذا الاختلاف ما نجم إلا بسبب اللبس الحادث فى أذهان المفسرين بين مراحل يوم القيامة واعتبارها كلها مرحلة واحدة حتى أدخلوا أحداث كل مرحلة فى الأخرى.

الشاهد الثالث: وهو فيما يخص أحداث السماء يوم القيامة فى سورة الانشقاق قال تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ۖ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۖ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ۖ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۖ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۖ﴾ [الانشقاق: ١-٥] قال ابن كثير فى تفسير هذه الآيات «يقول تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ۖ﴾ وذلك يوم القيامة ﴿وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا ۖ﴾ أى استمعت لربها وأطاعت أمره فيما أمرها به من الانشقاق، وذلك يوم القيامة ﴿وَحُقَّتْ ۖ﴾ أى وحق لها أن تطيع أمره لأنه العظيم الذى لا يمانع ولا يغالب بل قد فهر كل شيء وَذَلَّ له كل شيء ثم قال: ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ۖ﴾ أى بسطت وُفِّرَتْ ووسعت. ثم اورد ابن كثير حديث ابن جرير بسنده إلى على بن الحسين ان النبى ﷺ قال: «إذا كان يوم القيامة مد الله الأرض مدَّ الأديم حتى لا يكون لبشر من الناس الا موضع قدميه فاكون أول من يدعى وجبريل عن يمين الرحمن، والله ما رآه قبلها، فأقول: يا رب ان هذا أخبرنى أنك أرسلته إلى فيقول الله عز وجل صدق، ثم اشفع فأقول يا رب عبادك عبدوك فى أطراف الأرض قال وهو المقام المحمود وقوله تعالى ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۖ﴾: أى ألقت ما فى بطنها من الأموات وتخلت منهم قال مجاهد وسعيد وقتادة^(١) فتفسير إنشقاق السماء بأنه يكون يوم القيامة من غير تحديد فى أى مرحلة من مراحل هذا اليوم ثم تفسير مد الأرض والنقاء ما فيها وتخليها عما كان فيها بأنه بعث الأموات من قبورهم وخروجهم للحساب،

(١) تفسير ابن كثير ج٤ ص ٤٨٨

يوحي بأن الانشقاق يكون يوم البعث، وهو غير صحيح اذ هو من احداث القيامة الصغرى أو المرحلة الأولى من مراحل يوم القيامة وخروج الاموات من القبور من مراحل القيامة الكبرى أو المرحلة الثالثة من مراحلها، فالانشقاق يقع في فجر يوم القيامة أي في القيامة الصغرى ومثلها قوله تعالى ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ كما سنرى هذا بعد في جزء لاحق بإذن الله تعالى والقول بأن هذا يحدث يوم القيامة تحديد للمرحلة يورث اللبس والخلط بين الأحداث ويتبع هذا الشاهد إنفطار السماء الذي فسره ابن كثير بانشقاقها على ما بين الانفطار والانشقاق من فروق لغوية أغفلها فقال في تفسير أول سورة الإنفطار [يقول تعالى ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ أي انشقت كما قال تعالى ﴿السَّمَاءُ مَنفُطِرٌ بِهِ﴾ ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انشَرتْ﴾ أي تساقطت ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ قال ابن عباس فجر الله بعضها في بعض] (١)

وهذا تفسير عام للأحداث من غير بيان زمان الحدث ومرحلته في يوم القيامة، وتفسير الانفطار بالانشقاق غير دقيق ومخالف لمقتضى دلالة اللغة، لأن هذا غير ذاك كما سنرى بعد.

هذه كلها شواهد أثبت ما ذكرناه من أخطاء في التفسير فيما يخص آيات الساعة والقيامة ويوم الدين والاحداث المميزة لكل مرحلة عن الأخرى في اليوم الآخر.

وهذا يستلزم عرض أحداث كل مرحلة من خلال نصوص الوحي في الكتاب والسنة لتستبين لنا الفروق المميزة بينها حتى يرتفع عن أذهاننا ما توارثناه من لبس وخلط وإختلاف وليس ما نقوله عن علمائنا الأولين السابقين طعنا في علمهم، فهم الأعلام والأحكام، بيد أن من عاصر احداث القيامة يكون اقرب إلى فهمها وتأويلها منهم لاننا نحن اهل يوم القيامة الصغرى قد رأينا بعض احداثه رأى عين وننتظر ونترقب بقية الاحداث.

(١) تفسير ابن كثير / ٤ / ٤٨١

الفصل الثاني

اجتلاف العلماء حول تحديد عدد
نفخات الصور من أهم أسباب الخلط
بين مراحل القيامة الثلاث

٤٩- إختلاف العلماء حول تحديد عدد نفخات الصور.

٥٠- نفخة البعث.

٥١- نفخة الصعق.

٥٢- العلاقة بين الصيحة والصعق.

٥٣- نفخة الفرع.

(٤٩) اختلاف العلماء حول تحديد عدد نفخات الصور:

اختلف العلماء حول عدد نفخات الصور، فقال بعضهم: هما إثنان وقال الفريق الثاني: بل ثلاث نفخات. ولا شك أن هذا الاختلاف أحد أسباب الخلط بين أحداث كل مرحلة من مراحل القيامة، ويكون الخلط أوضح عند الذين يقولون أنهما نفختان، ومع هذا لم ينج الفريق القائل بثلاث نفخات من الخلط أيضا.

ولنا أن نسأل أولا عن الصور الذي يأمر المولى عز وجل بالنفخ فيه فتأتى الإجابة بأنه الناقور قال تعالى ﴿فَإِذَا نُفِرَ فِي النُّاقُورِ (٨) فَذَلِكَ يَوْمٌ عَسِيرٌ (٩) عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ [المدثر/ ٨-٩] قال المفسرون الناقور هو الصور يُنقر فيه، أى ينفخ فيه.. ولم يرد النقر في الناقور إلا في هذه الآية الكريمة، بينما ورد النفخ في الصور في عشر آيات كريمات، يحتمل تفسيرها أن يكون عدد النفخات إثنين، كما يحتمل أن يكون ثلاث نفخات، ومن ثم سنحتاج إلى مرجع من النقل والعقل لترجيح أحد القولين.

ويساعدنا على تحقيق هذا المطلب البدء بما إتفق عليه العلماء من النفخات، ذلك أن كل نفخة تمثل مرحلة من مراحل يوم القيامة، فمن قال بأنهما نفختان جعل القيامة إثنين، ومن جعل النفخات ثلاث جعل القيامة ثلاث قیامات، أو جعل يوم القيامة يوما واحدا بمرحلتين أو بثلاث مراحل. لكن الجميع بلا إستثناء يتفقون على أن آخر النفخات هي نفخة البعث التى يقوم على أثرها الناس جميعا من قبورهم للحساب، فهى الثانية عند فريق والثالثة عند فريق.

(٥٠) نفخة البعث:

وعلى هذا الأساس سنورد من آيات النفخ في الصور تلك التى تخص النفخة الأخيرة، لأنها التى لاخلاف حولها عند العلماء.

الأولى: قوله تعالى ﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا (١٠٠)﴾ خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حملاً (١٠١) يَوْمَ يَنْفُخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا (١٠٢)

يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا (١٠٣) نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا (١٠٤) وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (١٠٥) فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (١٠٦) لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا (١٠٧) يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا (١٠٨) يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا (١٠٩) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا (١١٠) وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا (١١١) وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿ ١١٠-١١٢ طه ﴾ فالسياق يتحدث عن يوم القيامة، يوم يفتح في الصور ويحشر الله تعالى فيه المجرمين زرقاء، ويستعرضون مدة وجودهم في الحياة الدنيا فيجدوا كأنها عشرين، بل يصل الامر لامثلهم طريقة إلى القول بأنهم لم يلبثوا في الدنيا كلها الا يوما، وأما الجبال في هذا اليوم أى يوم الحشر الذى يبدأ بتفخة الصور فينسفها ربي نسفًا حتى أنهم عندما يخرجون للحشر فسيجدون الأرض قاعا صفصفا لا عوج فيها ولا أمتا أى مُهَيَّأَةً للحشر، فيتبعون الداعي الذى يدعوهم ويسرون خلفه أو فى اتجاه صوته حتى يقفوا فى المحشر خاشعة أصواتهم للرحمن سبحانه فلا يتكلم أحد إلا همسا، ولن يتمكن أحد يومئذ من الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولا وهو رسول الله الخاتم المصطفى سيدنا محمد ﷺ، وعن الوجوه له سبحانه وخاب الظالمون بدخولهم جهنم وفاز الموحدون بدخولهم الجنة برحمة الله تعالى ومغفرته.

هذه كلها مشاهد يوم الدين الذى يبدأ بالبعث من القبور، هذا الذى يتم بتفخة فى الصور وهى بالضرورة الأخيرة بين النفخات الثلاث أو من النفختين، وهى أيضا التى وردت فى قوله تعالى ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ (٢٠) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٢١) فإذا نُفِخَ فى الصورِ فلا أنسابَ بينهم يومئذٍ ولا يتساءلون (٢٢) فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون (٢٣) ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون (٢٤) تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون (٢٥) ألم تكن آياتى تتلى عليكم فكنتم بها

تُكَذِّبُونَ (١٠٥) قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ (١٠٦) رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ (١٠٧) قَالَ اخْسَرُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ (١٠٨) إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (١٠٩) فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سُخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوَكُمُ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ (١١٠) إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ (١١١) قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ (١١٢) قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِينَ (١١٣) قَالَ إِنْ لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنْتُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٩-١١٥ المؤمنون﴾ وهذا السياق أيضا يثبت بما لا يدع مجالا للخلاف ان هذه النفخة هي نفخة البعث التي يحى الله تعالى بها أهل البرزخ للحساب الذي نتيجته الحتمية فريق في الجنة وفريق في السعير ويراجعوا أيضا عدد السنين التي مكثوها في الدنيا ليجدوا أنهم لم يلبثوا الا قليلاً.

ومثلها أيضا النفخة التي وردت في سورة يسن في قوله تعالى ﴿وَنُفِّخَ فِي الصُّورِ﴾ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ (٥١) قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ (٥٢) إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ (٥٣) فَالْيَوْمَ لَا تُظَلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٥٤) إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكَّهُونَ (٥٥) هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكئونَ (٥٦) لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ (٥٧) سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ (٥٨) وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ (٥٩) أَلَمْ أَعْهِدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٦٠) وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٦١) وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ (٦٢) هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٦٣) اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (٦٤) الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٦٥) وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ (٦٦) وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٥١-٦٧ يسن﴾ فهذا السياق يثبت أيضا أن هذه النفخة هي التي يتم بها البعث، ثم الحساب، ثم دخول الكافرين النار ودخول المؤمنين الجنة، وذلك بعد عبور الصراط الذي يجتازه المؤمنون، ويسقط من فوقه الكافرون والمنافقون إلى جهنم، ومن ثم يحق القول - بلا أدنى مجال للخلاف - أن هذه النفخة هي آخر النفخات.

كذلك يدل سياق سورة ق على أن النفخة الواردة فيه هي الأخيرة التي يعقبها البعث قال تعالى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (١٦) إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (١٧) مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (١٨) وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ (١٩) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمَ الْوَعِيدِ (٢٠) وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ (٢١) لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ (٢٢) وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ (٢٣) أَلْقِيَ فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ (٢٤) مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ (٢٥) الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ (٢٦) قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْفَيْتَهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (٢٧) قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ (٢٨) مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (٢٩) يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتَ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ (٣٠) وَأَزَلَّتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (٣١) هَذَا مَا تُوَعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (٣٢) مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ (٣٣) ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ (٣٤) لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿١٦-٣٥﴾

ق [ذلك أن السياق يتضمن بعد النفخة مشاهد من مجادلة كل فرد لقريته ثم دخول حزب الشيطان النار ودخول عباد الرحمن الجنة خالدين أبدا.

وتلك العناصر موجودة في جميع السياقات التي تعقب هذه النفخة، ومن ثم وبلا أدنى خلاف أو جدال تكون هي النفخة الأخيرة.

وكذلك النفخة الواردة في سياق سورة النبا يتضمن هذا السياق نفس العناصر في جميع السياقات السابقة قال تعالى ﴿إِنْ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا (١٧) يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا (١٨) وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا (١٩) وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا (٢٠) إِنْ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِلطَّاغِينَ مَأْبَا (٢٢) لَا بُشَيْنَ فِيهَا أَحْقَابًا (٢٣) لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا (٢٤) إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَاقًا (٢٥) جزاء وفاقا (٢٦) إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا (٢٧) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا (٢٨) وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا (٢٩) فَذُوقُوا فَلَئِنْ تَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا (٣٠) إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (٣٢) وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا (٣٣) وَكَأْسًا دِهَاقًا (٣٤) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا (٣٥) جزاء من ربك عطاء حسابًا (٣٦) رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا (٣٧) يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا (٣٨) ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَا بَأً (٣٩) إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا (٤٠) ﴿١٧-٤٠ النبأ﴾ هذا هو يوم الفصل يوم الحساب يوم الدين يعقبه الخلود في الجنة للمؤمنين والخلود في النار للكافرين، ومتى يبدأ هذا اليوم؟ يبدأ بالخروج من القبور بالنفخة الأخيرة ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ أى بعد القيام من القبور. فهذه النفخة إذن هي بلا خلاف وبلا جدال نفخة البعث أى هي نفخة القيامة الكبرى تفتح فيها ابواب السماء وتسير فيها الجبال فتصبح سرايا وهذا هو الذى يتم بالمرحلة التالية لمرحلة العهن المنفوش حيث ستلاشى الجبال بعدها وتصبح كأنها سرايا ثم يقوم الحساب ثم يؤتى بجهنم ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ [٢٣ الفجر] ثم يدخل أهل النار النار وأهل الجنة الجنة كما جاء فى بقية السورة .

كل هذه المواضع السبعة التى ورد فيها ذكر النفخ فى الصور تناولت بحسب السياق- نفخة البعث، وأما الموضع الثامن الذى ورد فيه ذكر الصور فهو قوله تعالى: ﴿وَأَن أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٧٢) وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ٧٢-٧٣] وسيأقده يدل على أنها نفخة البعث أيضاً لقوله تعالى قبل ذكر النفخة ﴿وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ ولقوله تعالى: ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ إشارة إلى قوله تعالى بعد موت الأحباء من الأنس والجن والملائكة حتى جبريل وملك الموت (لمن الملك اليوم لله الواحد القهار...) فنفسه الصور هذه يحتمل أن تكون هى النفخة الأخيرة التى يُحْيى الله تعالى بها الأموات: إنساً وحنأ وملائكة ويحتمل أن تكون التى قبلها وهى التى يُميت الله بها كل حى فى الأرض ولا يبقى معه حى فى الكون ويرجع هذا القول قوله تعالى فى أول الآية ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ إذ أن ذكر بدء الخلق فى الآية التى جاء فيها ذكر النفخة يرجح أنها نفخة النهاية التى تأتى بقوله تعالى (كن فيكون)

وعلى هذا فالنفخة فى آية الأنعام هذه تحتل أن يكون المقصود بها نفخة البعث أى الأخيرة ويحتل أن يكون المقصود بها النفخة التى قبلها وهى نفخة الإفناء التام للحياة برمتها وهى نفخة الساعة، ودلالتها على هذه الأخيرة أرجح ، وأياً كانت دلالة النفخة فى آية الأنعام على الأخيرة أو التى قبلها، فإنه لا خلاف بين العلماء حول هاتين النفختين، وأعنى بهما نفخة البعث التى هى الأخيرة، والتى هى نفخة الإحياء ونفخة الفناء التام وإماتة كل حى وهى التى تسبقها مباشرة، وإنما الخلاف حول نفخة تسبق هاتين النفختين إذ يقصر بعض العلماء النفخ فى الصور على اثنتين بينما يرى البعض الآخر أنها ثلاث وهو الذى أراه وأرجحه معهم أن النفخات فى الصور ثلاث، ومن ثم تكون هاتان النفختان هما الثانية والثالثة، وتكون الأولى من الثلاث هى محل الخلاف.

ولحسم هذا الخلاف وبيان الحق فيه نقول إن عبارة نفخة الصور وردت فى عشر مواضع كما ذكرنا، أوردنا منها ثمانية مواضع، سبعة منها تدل دلالة قطعية بمقتضى السياق على نفخة البعث، وهى آخر النفخات، وواحدة وجدنا أنها يحتل أن تخص البعث كما يحتل أنها تخص الإفناء والموت الكلى التام الشامل، ورجحنا هذه الدلالة الأخيرة، وعلى هذا يتبقى لدينا من آيات الذكر الحكيم التى تخص النفخ فى الصور موضعان فى سياقين، السياق الأول: -

(٥١) نفخة الصعق:

وهو الموضع التاسع وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٦٧) ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون (٦٨) وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون (٦٩) ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون (٧٠) وسبق الذين كفروا إلى جهنم زمراً حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذروكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن

حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٧١) قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبئسَ مَثْوًى
الْمُتَكَبِّرِينَ (٧٢) وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا
وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (٧٣) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا
وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (٧٤) وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ
حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ﴿[الزمر: ٦٦-٧٥].

هذا السياق القرآني الكريم في آية الزمر ضم النفختين معاً وفي آية واحدة
إحداهما نفخة الصعق وفيها صعق من في السماوات والأرض إلا من شاء الله
والنفخة الأخرى التي تلي نفخة الصعق هي النفخة التي يقوم الأموات جميعاً على
أثرها ينظرون حولهم أى هي نفخة البعث ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ
وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ فضمت هذه
الآية نفختي الإفناء والموت الكلى الشامل لجميع الأحياء في الأرض ثم نفخة البعث
وهما الأخيرة وما قبلها كما وضحنا من قبل، ثم توالى في السياق مشاهد الحساب
وسوق الكفار إلى النار وسوق المؤمنين إلى الجنة.

والسؤال الآن عن الصعق ماذا يكون؟ وما هو أثره؟

ونبدأ بالصعق الذي نعرفه في هذه الحياة الدنيا وهو الذي جاء في قوله تعالى في
سورة الرعد ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ (١٢) وَيَسْبَحُ
الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ
فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ [الرعد: ١٢-١٣] والبرق والرعد كما يقول علماء
الفيزياء المعاصرون مظهران لظاهرة واحدة ناتجة عن التقاء شحنة كهربية موجبة
بأخرى سالبة فيحدث منها تيار كهربائي عالى جداً له أثره في إنزال المطر من السحب
المحملة ببخار الماء الكثيف وهذا الانفجار الكهربائي المتمثل في التقاء الشحنتين له
صوت وضوء وضوؤه هو البرق الذى هو عبارة عن التيار الكهربائي الذى يتلبس

بأبخرة الماء في السحب الملقحة، وصوته هو الرعد ومن ثم يصل البرق قبل الرعد ويسرى لأن الضوء أسرع بكثير من الصوت، كما هو معلوم، وهذا الذي نراه ضوءاً لامعاً خاطئاً سريعاً في السحاب قبل سماع صوت الرعد إذا امتد إلى سطح الأرض - وكثيراً ما يحدث هذا - فإنه يصعق كل من يطوله من الأحياء ويحرقه ويقتله على الفور وله تأثيره المدمر أيضاً في غير الإحياء والواحدة منها صاعقة وجمعها صواعق، وإذا أصابت أحداً من الناس فهو بإذن الله تعالى وأمره وقدره، وليس مصادفة، كما قد يتوهم البعض وبخاصة العلمانيون والملاحدة بدليل قوله تعالى قبل هذه الآية ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ...﴾ لكل إنسان حفظة من الملائكة يحفظونه بأمر الله وقدره ومن ثم لا تُصيب الصواعق أحداً إلا بأمره كما لا يقع شيء في الكون إلا بأمره، ومن ثم قال تعالى بعد ذكر البرق ثم الرعد : ﴿...وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ﴾ .

فالصعق إذن هو التعرض لتيار كهربائي شديد يقضى على الكائن الحي، هذا بالنسبة للصواعق النازلة من البرق والرعد.

ولكن الصواعق التي أهلك بها الله تعالى أقواماً سابقين عن آخرهم دفعة واحدة هو من الصعق السماوي الصادر من السماء، وهو إن كان مختلفاً عن الصواعق الجزئية المحدودة النازلة من البرق والرعد إلا أنه لا بد أن يكون من جنسها لإطلاق لفظ الصاعقة بالمفرد أو الجمع على الاثنين.

ففي قوله تعالى عن هلاك عاد وثمود ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثُمُودَ﴾ [فصلت : ١٣] دليل على أن هذه الصاعقة التي أهلك الله بها ثمود فما بقي منهم أحداً بصاعقة واحدة هي بلا شك صاعقة عظيمة جداً لإهلاكها مجتمعات بأكملها .

قال تعالى : ﴿وَأَمَّا ثُمُودُ فَبَهِدْنَاهُمْ فَاسْتَجَبُوا أَعْمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ومثلها قوله تعالى : ﴿وَفِي ثُمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا

حَتَّىٰ حِينٍ (٤٣) فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ (٤٤) فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُتَصَرِّينَ ﴿ [الذاريات: ٤٣-٤٥].

وكذلك أهلك الله النقباء المختارين من بنى إسرائيل بالصاعقة جزاء لهم على طلبهم رؤية الله جهرة قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (٥٥) ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٥-٥٦]. فالصعق نتيجة غالباً الموت بدليل أن الله تعالى بعثهم من بعد موتهم لعلهم يشكرون، وفي سورة النساء: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَأَتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ [النساء: ١٥٣].

أما الصعق الذي أصاب موسى عليه وعلى نبيّنا الصلاة والسلام من أثر تجلّي الله عز وجل على الجبل الذي جعله دكاً والذي ورد في قوله تعالى ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرْنِي أَنْظِرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرَاكَ وَلَكِنْ أَنْظِرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] فلم يمت موسى عليه الصلاة والسلام من هذا الصعق ولكنه خر مغشياً عليه بدليل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ﴾.

وبقيت من آيات الصعق واحدة تتحدث عن صعقة ينذر الله تعالى بها الكافرين من بعد نزول القرآن تصيبهم جميعاً وليس كفار قريش فقط لأن العبرة بعموم اللفظ وليس بخصوص السبب فهي إنذار لكل من يعرض عن القرآن الكريم، وعن الإسلام منذ نزوله إلى يوم الفناء قال تعالى: ﴿إِنْ أَنْزَلْنَاهُ نَفِثًا غَدِيرًا فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يَبْغُضُوا حَبْلَهُمْ بِمَنَاقِبِهِمْ الَّتِي خَسَوْا فَكَانُوا بِمَنَاقِبِهِمْ يَخْشَوْنَ كَمَا خَشَوْا رَبَّهُمْ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهُمْ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَىٰ فَأَخَذَتْهُمُ السَّاعِقَةُ حَذِيقًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ [الشعراء: ١٣٠] وهذا إنذار من الله تعالى إلى البشرية الكافرة منذ العهد النبوي المكي إلى يوم الفناء أي أنها قادمة في وقت يعلمه الله تعالى وبسبب طغيان أحوال الكفر والفسق والفجور على حياة البشر، وهي من الصواعق العامة

المهلكة المستأصلة ليس لقوم بعينهم ولكن لكل الكافرين، وحيث أن الفناء الكلى لا يحدث إلا إذا كان سكان الأرض كلهم كافرين فإنها تكون الساعة المهلكة .

ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى عن صاعقة منتظرة ﴿أَمْ يَرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾ (٤٢) أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٤٣) وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ (٤٤) فَذَرَهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ (٤٥) يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿ [الطور: ٤٥-٤٦]

فهذا اليوم الذى سيلقى فيه الكفار الصعق هو يوم نفخة الصعق وهو يوم الفناء التام والموت الشامل لكل الأحياء ﴿فَذَرَهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ إذن هو سيأتي، وتلك هى نفخة الصعق أو نفخة الفناء التام لكل حى فى الأرض، وحيث لا يكون حى فى الأرض من الإنس والجن إلا كافرًا فيقع عليهم الصعق، فالصلة بين النفخ فى الصور والصيحة وثيقة كما أن الصلة بين الصيحة وبين الصعقة وثيقة وتلك هى القيامة الوسطى التى يموت فيها كل حى بالصيحة الصاعقة.

(٥٢) العلاقة بين الصيحة والصعق:

فما العلاقة إذن بين النفخ فى الصور وبين الصيحة؟!

العلاقة واضحة بين النفخ فى الصور وبين نزول العذاب المستأصل العام على قوم من الأقوام بالصيحة فالنفخات فى الصور إذن ليست ثلاثة، وإنما هى أكثر من ذلك، وإنما الذىبقى منها منذ نزول القرآن إلى آخر الحياة الدنيا ثلاث نفخات لأن بعض الأقوام المستأصلين هلكوا بالصيحة التى أحدثتها النفخة بدليل قوله تعالى فى سورة يس ذكراً الصبحات الثلاث: الأولى التى أهلك بها قوم شهيد يس والثانية وهى نفخة الفناء العام والثالثة نفخة البعث قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾ (٣٨) إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ (٣٩) يَا حَسْرَةَ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ (٤٠) أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ (٤١) وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿ [يسن: ٢٨: ٣٢] ويمضى

السياق إلى أن يقول الله عز وجل ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٤٨) مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ (٤٩) فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ (٥٠) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ (٥١) قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ (٥٢) إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ (٥٣) فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يسن: ٤٨-٥٤] ثم يمضي السياق ذاكراً الجنة وأهلها والنار وأهلها بعد تمام الحساب والصراف.

هذا السياق يتحدث عن صيحتين: الأولى هي صيحة الفناء الشامل المفاجئ الذي يدرك الناس جميعاً بصيحة الصعق فيموت كل في مكانه أثناء عمله ولا يرجع أحداً إلى أهله، وذكر في هذا الإفناء الصيحة ولم يذكر فيه النفخة.

والصيحة الثانية في السياق هي صيحة البعث والإحياء والخروج من القبور، لكن السياق قرّن هذه الصيحة بالنفخ في الصور، لقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾. إذن النفخ في الصور يحدث صيحة والعلاقة بينهما وثيقة، فلا صيحة إلا بنفخة في الصور، ولكن صيحة للموت أو الصعق وصيحة للإحياء والبعث، ومن ثم تبقى الصيحة التي أهلك بها الله قوم شهيد يسن التي جاءت في قوله تعالى: ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾. فهذه إذن كانت بنفخة أيضاً في الصور، ومن ثم فكل صيحة إهلاك لقوم إنما تكون بنفخة في الصور، وهذا يفيد أن عذاب ينزل على قوم يكون بالصيحة تسم بنفخة في الصور ومن ثم فالنفخات متعددة فيما سبق من تاريخ البشر ولكن الباقي في تاريخها هما اثنتان عند بعض العلماء وثلاث عند البعض الآخر.

(٥٣) نفخة الفزع:

والذي أرجحه كما ذكرت من قبل هو أن النفخات التي تنتظرها البشرية حتى نهاية الحياة الدنيا ثلاث نفخات، ومعنى هذا أن ثمة نفخة تسبق نفختي الفناء والإحياء.

فما هي هذه النفخة؟ إنها النفخة التي وردت بالموضع العاشر، وهو الموضع المتبقى لدينا من المواضع العشر، وهي نفخة الفزع، فما هي نفخة الفزع؟!

إنها نفخة لا تسبب صعقاً لأهل السماوات والأرض، ولكن تسبب هدماً وفزعاً وموتاً للبعض بسبب الهدم ونجاة للبعض، وفرق كبير بين الصعق وبين الفزع، لأن الصيحة التي يصعق بها الخلق لا تترك لهم وقتاً يفزعون فيه أو يصيهم فيه الخوف، وإنما هو مجرد وصول الصوت إلى الأذن وحدوث الموت على الفور.

أما نفخة الفزع فقد وردت في القرآن الكريم مرة واحدة بخلاف نفخة الصعق فقد مضى منها عدد بقدر هلاك الأمم المستأصلة بالصيحة وسيأتى منها نفخة الإقناء العام أى الاستئصال العام للحياة من على ظهر الأرض، وهو ما سيتم بالصيحة كما دلت على هذه السياقات السابقة وكذلك بقيت نفخة البعث بصيحة الإحياء وهي بعد نفخة الإقناء بالصيحة.

ولكن نفخة الفزع التي وردت في سورة النمل بقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتُفْزَعُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوَةٍ دَاخِرِينَ﴾ [النمل: ٨٧] والفعل المضارع ﴿يُنْفَخُ﴾ في الآية يفيد المستقبل، فهذا إنباء لما هو متظر على مستوى البشر جميعاً بل إن الفزع يطول الملائكة أيضاً لأنهم أهل السماوات إلا ما شاء الله تعالى وقد علمنا أن هذا الفزع العام لأهل السماء والأرض ليس هو يوم الصعقة للفناء، وليس هو يوم الصيحة للإحياء وللبعث، وحتى يتبين لنا المقصود بنفخة الفزع، يجب علينا أن نعرف أحوال البشر عند وقوع نفخة صيحة الفناء أو استئصال الحياة من الأرض بعامة، وأحوالهم عند البعث وبعده أى يوم الحساب والجزاء.

الفصل الثالث

القيامات الثلاث

أو مراحل يوم القيامة الثلاث

- ٥٤- التمييز بين كل مرحلة من المراحل الثلاثة .
- ٥٥- أحداث القيامة الكبرى أو مرحلة النفخة الثالثة.
- ٥٦- أحداث القيامة الوسطى أو مرحلة النفخة الثانية.
- ٥٧- العناصر الرئيسية في أحداث القيامتين: الوسطى والكبرى الكائنتين بنفختي: الصعق والبعث.
- ٥٨ - أحداث القيامة الصغرى التي تتم بنفخة الفزع وهي النفخة الأولى المرتقبة.

(٥٤) التمييز بين كل مرحلة من مراحل القيامة الثلاث:

لقد اصطَلَحنا في هذا الكتاب على إطلاق اسم القيامة الصغرى على المرحلة الأولى والوسطى على الثانية والكبرى على الثالثة بقصد التمييز والفصل بين كل منها، فالوارد في الكتاب والسنة أن يوم القيامة واحد ولكن نظراً لما يحدثه هذا من لبس عند الأذهان، إذ يتوهمون أنه يحدث في ساعة واحدة، أو في مرحلة واحدة، وهو ما حدث عند المفسرين، وحتى نتحاشى هذا، قلنا أنه ثلاث مراحل رئيسية أو ثلاث قِيَامَات، حتى يمكن اعتبار كل نفخة محدثة لقيامة من القِيَامَات الثلاث تمييزاً بينها مع أنها جميعاً أحداث يوم القيامة.

وليس الفصل أو التمييز بين مراحل القيامة بالاسم ولا حتى بالزمن فحسب، بل هو بالأحوال والأحداث إذ تختلف الأحداث التي تخص كل قيامة بالنسبة للناس والجن والملائكة والسماء والأرض والبحار والجبال والكواكب والشمس والقمر في كل قيامة أو في كل مرحلة عن المرحلتين الأخريين.

وستحدث بإذن الله تعالى عن كل مرحلة على حدة من خلال حديث الصور الطويل الذي سبق أن أوردتُ بعضه في الجزء الأول من غير تفصيل أو شرح، ونذكره هنا مفصلاً مشروحاً بإذن الله تعالى ليتضح لنا الفصل والتمييز بين القِيَامَات الثلاث أو مراحل القيامة الثلاثة.

ونبدأ بالقيامة الكبرى أو المرحلة الأخيرة التي تبدأ بنفخة البعث أو النفخة التي يحدث الله بها صيحة الإحياء، وتنتهى بدخول أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار ثم خروج بعض أهل النار منها ودخولهم الجنة برحمة الله عز وجل وشفاعة الشافعين من أهل الجنة.

(٥٥) أحداث القيامة الكبرى أو مرحلة النفخة الثالثة:

جاء في حديث الصور الطويل الذي رواه أبو هريرة رضى الله عنه ما يلي :
(... ويأمر الله إسرافيل فيأخذ الصور فيضعه على فيه، ثم يقول ليحيي جبريل

وميكائيل فيحييان، ثم يدعو الله الأرواح فيؤتى بها تتوهج أرواح المسلمين نوراً، والأخرى ظلمة فيقبضها جميعاً، ثم يلقيها فى الصور، ثم يأمر الله إسرائيل أن ينفخ نفخة البعث فتخرج الأرواح كأنها النمل قد ملأت ما بين السماء، والأرض فيقول الله تعالى: وعزنى وجلالى ليرجعن كل روح إلى جسده، فتدخل الأرواح فى الأرض إلى الأجساد، مشى السم فى اللديغ، ثم تنشق الأرض عنكم، وأنا أول من تنشق الأرض عنه فتخرجون منها سراعاً إلى ربكم تنسلون ﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمَ عَسَرٌ﴾ حفاة عراة غرلاً غلفاً.

ثم تقفون موقفاً واحداً مقدار سبعين عاماً لا ينظر إليكم ولا يقضى بينكم، فتبكون حتى تنقطع الدموع، ثم تدمعون دماً، وتعرقون حتى يبلغ ذلك منكم أن يلجمكم أو يبلغ الأذقان، فتصيحون وتقولون: من يشفع لنا إلى ربنا يقضى بيننا؟ فتقولون: من أحق بذلك من أبيكم آدم؟ خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، وكلمه قبلاً، فيأتون آدم فيطلبون ذلك إليه، فيأبى فيقول: ما أنا بصحاب ذلك، ثم يستقرئون الأنبياء نبياً نبياً كلما جاءوا نبياً أبى عليهم، قال رسول الله ﷺ: حتى يأتونى فأنطلق حتى أتى الفحص فأخر ساجداً، قال أبو هريرة: يا رسول الله ما الفحص؟ قال: موضع قدام العرش، حتى يبعث الله إلى ملكاً فيأخذ بعضدى فيرفعهنى فيقول لي: يا محمد فأقول: نعم لبيك يا رب، فيقول: ما شأنك - وهو أعلم - فأقول: يا رب وعدنى الشفاعة فشفعنى فى خلقك فأقض بينهم فيقول: شفعتك أنا آتيكم فأقضى بينكم.

قال رسول الله ﷺ: فأرجع فأقف مع الناس، فينما نحن وقوف إذ سمعنا حساً من السماء شديداً، فينزل أهل السماء الدنيا مثل من فى الأرض من الجن والإنس، حتى إذا دنوا من الأرض، أشرقت الأرض بنورهم، وأخذوا مصافهم قلنا لهم: فيكم ربنا؟ قالوا: لا وهوأت، ثم ينزل أهل السماء الثانية بمثل من نزل من الملائكة ومثل من فيها من الجن والإنس، حتى إذا دنوا من الأرض، أشرقت الأرض بنورهم، وأخذوا مصافهم، وقلنا لهم: أففيكم ربنا؟ قالوا: لا وهوأت، ثم ينزلون على قدر ذلك من التضعيف حتى ينزل الجبار تبارك وتعالى فى ظلل من الغمام والملائكة

(ويحمل عرشه يومئذ ثمانية، وهم اليوم أربعة: أقدامهم على تخوم الأرض السفلى، والأرض والسموات إلى حجرهم والعرش على مناكبهم لهم زجل من تسييحهم يقولون: سبحان ذى العزة الحى الذى لا يموت، سبحان الذى يبيت الخلاق ولا يموت، فيضع الله كرسيه حيث شاء من أرضه، ثم يهتف بصوته فيقول: يا معشر الجن والإنس إنى قد أنصت لكم من يوم خلقتكم إلى يومكم هذا أسمع قولكم وأرى أعمالكم، فأنصتوا إليّ، إنما هى أعمالكم وصحفكم تُقرأ عليكم، فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلو من إلا نفسه، ثم يأمر الله جهنم فيخرج منها عنق ساطع مظلم ثم يقول: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنَى آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (٤٠) وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٤١) وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿[يسن: ٦٠-٦٢]، شك أبو عاصم﴾ وَأَمَّا زَاوَا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿[يسن: ٥٩] فيميز الله الناس، وتجووا الأمم، يقول الله تعالى: ﴿وَتَرَى كُلُّ أُمَّةٍ جَائِيَةٌ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٢٨) هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿[الجاثية: ٢٨] فيقضى الله بين خلقه إلا الثقلين الإنس والجن فيقضى الله بين الوحوش والبهائم حتى إنه ليقيد الجماء من ذات القرن فإذا فرغ الله من ذلك فلم يبق تبعه عند واحدة لأخرى قال الله لها: كوني تراباً، فعند ذلك يقول الكافر: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ [النبا: ٤٠]

ثم يقضى الله تعالى بين العباد فيكون أول ما يقضى فيه الدماء، ويأتى كل قتيل فى سبيل الله، ويأمر الله فيأخذ من قتل فيحمل رأسه تشخب أوداجه، فيقول يا رب فيم قتلنى هذا فيقول تعالى -وهو أعلم: فيم قتلته، فيقول: قتلته لتكون العزة لك، فيقول الله صدقت فيجعل الله وجهه مثل نور السماوات، ثم تسبقه الملائكة إلى الجنة، فيأتى كل من كان يقتل على غير ذلك، ويأمر من قتل فيحمل رأسه تشخب أوداجه، فيقول يا رب فيم قتلنى هذا؟ فيقول الله وهو أعلم: فيم قتلته؟ فيقول: يا رب قتلته لتكون العزة لي: فيقول الله تعست ثم ما تبقى نفس قتلها قاتل إلى قتل بها، ولا مظلمة إلا أخذ بها، وكان فى مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء رحمه، ثم يقضى الله بين من بقى

من خلقه، حتى لا تبقى مظلمة لأحد، عند أحد إلا أخذها الله للمظلوم من الظالم، حتى إنه ليكلف شائب اللبن بالماء أن يخلص اللبن من الماء فإذا فرغ الله من ذلك نادى مناد يسمع الخلائق كلهم فقال: ليلحق كل قوم بألتهم وما كانوا يعبدون من دون الله فلا يبقى أحد عبد من دون الله شيئاً إلا مثلت له الهيئة بين يديه، فيجعل يومئذ ملك من الملائكة على صورة عزيز، ويجعل ملك من الملائكة على صورة عيسى، فيتبع هذا اليهود، ويتبع هذا النصراني، ثم قادتهم ألتهم إلى النار، فهذا الذي يقول الله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُّوهُمْ وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٢] فإذا لم يبق إلا المؤمنون فيهم المنافقون، جاءهم الله فيما شاء من هيئة فقال: يا أيها الناس، ذهب الناس فالحقوا بألتهكم وما كنتم تعبدون، فيقولون والله ما لنا إلا الله، وما كنا نعبد غيره، فينصرف عنهم - وهو الله - فيمكث ما شاء الله أن يمكث، ثم يأتيهم فيقول: يا أيها الناس، ذهب الناس، فالحقوا بألتهكم، وما كنتم تعبدون، فيقولون: والله ما لنا إلا الله، وما كنا نعبد غيره، فيكشف عن ساقه، ويتجلى لهم من عظمتهم ما يعرفون به أنه ربهم، فيخرون سجداً على وجههم، ويختر كل منافق على قفاه، ويجعل الله أصلابهم كصياصي البقر، ثم يأذن الله لهم فيرفعون رؤوسهم ويضرب الله بالصراط بين ظهراني جهنم كقد الشعر أو كعقد الشعر، وكحد السيف عليه كالليب وخطاطيف وحسك دونه جسر دحض مزلة فيمرون كطرف البصر وكلمح البرق، أو كمر الريح، أو كجياذ الخيل، أو كجياذ الركاب أو كجياذ الرجال، فتاج سالم وتاج مخدوش، ومكدوح على وجهه في جهنم.

فإذا أفضى أهل الجنة إلى الجنة، قالوا: من يشفع لنا إلى ربنا فندخل الجنة؟ فيقولون من أحق بذلك من أيكم آدم، إنه خلقه الله بيديه ونفخ فيه من روحه، وكلمه قبلاً فيأتون آدم فيطلب ذلك إليه فيذكر ذنباً، ويقول ما أنا بصاحب ذلك، ولكن عليكم بنوح فإنه أول رسل الله، يأتي نوح فيطلب ذلك إليه فيذكر ذنباً ويقول: ما أنا بصاحبكم عليكم إبراهيم فيطلب ذلك إليه فيذكر ذنباً، ويقول ما أنا بصاحبكم، عليكم موسى، فيطلب ذلك إليه فيذكر ذنباً، ويقول: لست بصاحبكم ذلك، ولكن عليكم بروح الله وكلمته عيسى ابن مريم فيؤتى عيسى ابن مريم، فيطلب ذلك إليه

فيقول: ما أنا بصاحب ذلك، ولكن عليكم بمحمد ﷺ قال رسول الله ﷺ: فيأتوني، ولي عند ربي ثلاث شفاعات وَعَدْنِيهِنَّ فَأَنْطَلِقُ فَأَتِي الْجَنَّةَ فَأَخَذَ بِحَلْقِ الباب، فاستفتح فافتتح لي فأحى ويرحب بي، فإذا دخلت إلى الجنة فنظرت إلى ربي عز وجل خررت ساجدا فيأذن الله لي من حمده ومجده بشيء ما أذن به لأحد من خلقه، ثم يقول لي الله ارفع رأسك يا محمد، واشفع تشفع وسل تعط، فإذا رفعت رأسي قال الله وهو أعلم: ما شأنك؟ فأقول: يا رب وعدتني الشفاعة فشفعني في أهل الجنة يدخلون الجنة فيقول الله عز وجل قد شفعتك وأذنت لهم في دخول الجنة، فكان رسول الله ﷺ يقول: والذي بعثني بالحق ما أنتم في الدنيا بأعرف بأزواجكم ومساكنكم من أهل الجنة بأزواجهم ومساكنهم فيدخل كل رجل منهم على ثنتين وسبعين زوجة مما ينشيء الله واثنتين آدميتين من بنات آدم لهما فضل على من أنشأ الله بعبادتهما الله في الدنيا، يدخل على الأولى منهما في غرفة من ياقوت على سرير من ذهب مكلل باللؤلؤ عليه سبعون زوجاً من سندس واستبرق وإنه ليضع يده بين كتفها ثم ينظر إلى يده من صدرها من وراء ثيابها وجلدها ولحمها وإنه لينظر إلى مخ ساقها، كما ينظر أحدكم إلى السلك في قصبة الياقوتة كبده لها مرآة، وكبدها له مرآة، فبينما هو عندها لا يملها ولا تملة إذ نودي: إنا قد عرفنا إنك لا تمل ولا تمل إلا أن لك أزواجاً غيرها فيخرج فيأتيهن واحدة واحدة، كلما جاء واحدة قالت: والله ما في الجنة أحسن منك، وما في الجنة شيء أحب إليّ منك.

قال: وإذا وقع أهل النار في النار، وقع فيها خلق من خلق ربك أو بقتهم أعمالهم، فمنهم من تأخذه إلى قداميه لا يجاوز ذلك منهم ومنهم من تأخذه إلى حقويه، ومنهم من تأخذ جسده كله إلا وجهه، قد حرم الله صورته عليها قال رسول الله ﷺ: فأقول يا رب شفعني فيمن وقع من النار من أمي، فيقول الله عز وجل: أخرجوا من عرفتم، فيخرج أولئك حتى لا يبقى منهم واحد.

ثم يأذن الله في الشفاعة، فلا يبقى نبي ولا شهيد إلا شفع فيقول الله عز وجل: أخرجوا من وجدتم في قلبه زنة الدينار إيماناً، فيخرج أولئك حتى لا يبقى منهم أحد.

ثم يشفع الله فيقول : أخرجوا من وجدتم في قلبه ثلثي دينار ونصف دينار، ثم يقول : وثالث دينار ثم يقول وسدس دينار، ثم يقول قيراط، ثم يقول حبة من خردل، فيخرج أولئك حتى لا يبقى في النار من عمل خيراً قط، وحتى لا يبقى أحدهم شفاعة إلا شفع حتى إن إبليس ليتناول لما يرى من رحمة الله رجاء أن يشفع له.

ثم يقول الله عز وجل: بقيتُ أنا، وأنا أرحم الراحمين فيدخل الله يده في جهنم فيخرج منها ما لا يحصيه غيره كأنهم خشب مجترف، فينبتهم الله على نهر يقال له نهر الحيوان فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل فما يلي الشمس منها أخضر، وما يلي الظل منها أصفر، فينبتون نبات الطوائف حتى يكون أمثال الدرهم مكتوب في رقابهم الجهنميون عتقاء الرحمن عز وجل يعرفهم أهل الجنة بذلك الكتاب ما عملوا الله خيراً قط فييقون في الجنة^(١).

(٥٦) أحداث القيامة الوسطى أو مرحلة النفخة الثانية:

جاء في نفس حديث الصور الطويل الذي رواه أبو هريرة رضى الله عنه ما يخص هذه الأحداث فيما يلي:

(... ثم يأمر الله إسرافيل فينفخ نفخة الصعق فيصعق أهل السماوات والأرض إلا من شاء الله فإذا هم خمدوا، وجاء ملك الموت إلى الجبار، فيقول: يا رب مات أهل السماوات والأرض إلا من شئت، فيقول الله، وهو أعلم بمن بقى، فمن بقى؟ فيقول: يا رب بقيت أنت الحى الذى لا تموت، وبقيت حملة عرشك وبقي جبريل وميكائيل، وبقيت فيقول الله عز وجل: ليمت جبريل وميكائيل، فينطق الله العرش ويقول: يموت جبريل، وميكائيل؟ فيقول: اسكت فإنى كتبت الموت على كل من تحت عرشى فيموتان، ثم يأتى ملك الموت إلى الجبار عز وجل فيقول: يا رب قد مات جبريل وميكائيل فيقول - وهو أعلم بمن بقى : فمن بقى ؟ فيقول: يا رب بقيت أنت الحى الذى لا تموت، وبقي حملة عرشك وبقيت أنا فيقول الله تعالى : فليمت حملة عرشى ، فيموتون، ويأمر الله العرش فيقبض الصور من إسرافيل، ثم يأتى ملك

(١) النهاية فى الفتن والملاحم لابن كبر ج ١ ص ٢٧٤ وما بعدها.

الموت إلى الجبار عز وجل، فيقول: يارب قد مات حملة عرشك، فيقول وهو أعلم بمن بقى: فمن بقى؟ فيقول: يا رب بقيت أنت الحى الذى لا تموت، وبقيت أنا فيقول: أنت خلق من خلقى خلقتك لما رأيت فمت فيموت، فإذا لم يبق إلا الجبار الواحد القهار الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد، كان آخرأ كما كان أولاً، طوى السموات والأرض كطى السجل، ثم دحاها ثم تَلَفَّفَهَا ثلاث مرات، وقال: أنا الجبار ثلاثاً ثم يهتف بصوته ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٦] ثلاث مرات، فلا يجيبه أحد، ثم يقول لنفسه ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦].

ويبدل الله الأرض غير الأرض، والسموات فيسطها، وَيُسَطِّحُهَا، ويمسدها مد الأديم العكاظى لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً، ثم يزجر الله الخلق زجرة واحدة، فإذا هم فى مثل ما كانوا فيه من الأولى، من كان فى بطنها كان فى بطنها، ومن كان على ظهرها كان على ظهرها، ثم ينزل الله عليكم ماء من تحت العرش، ثم يأمر السماء أن تمطر فتمطر أربعين يوماً حتى يكون الماء فوقهم إثنى عشر ذراعاً، ثم يأمر الله الأجسام أن تنبت كنبات الطرائث، أو كنبات البقل، حتى إذا تكاملت أجسادهم، فكانت كما كانت قال الله تعالى: لِيَحْيَى حِمْلَةَ عَرْشِي فَيَحْيَوْنَ.

ويأمر الله إسرائيل فيأخذ الصور بضعة على فيه، ثم يقول ليحيى جبريل وميكائيل فيحييان، ثم يدعو الله الأرواح فيؤتى بها توهج أرواح المسلمين نوراً، والأخرى ظلمة، فيقبضها جميعاً، ثم يلقبها فى الصور، ثم يأمر الله إسرائيل أن ينفخ نفخة البعث، فينفخ نفخة البعث، فتخرج الأرواح كأنها النحل قد ملأت ما بين السماء والأرض فيقول الله تعالى: وعزتى وجلالى ليرجعن كل روح إلى جسده فتدخل الأرواح فى الأرض إلى الأجساد فتدخل فى الخياشيم، ثم تمشى فى الأجساد مشى السم فى اللديغ، ثم تنشق الأرض عنكم، وأنا أول من تنشق الأرض عنه، فتخرجون منها سراعاً إلى ربكم تتسلون ﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ [القمر: ٨] حفاة عراة غرلاً غلفاً^(١).

(١) نفس المصدر ص ٢٧٢ وما بعدها.

(٥٧) العناصر الرئيسية فى أحداث نفختى الصعق والبعث أو القيامتين الوسطى والكبرى:

أولاً : ما يخص الإنس والجن وسائر الأحياء من أحداث الصعق بالنفخة الثانية:
ينفخ إسرافيل بأمر الله تعالى نفخة الصعق فتصعد إلى السموات والأرض صيحة
الصعق المهلكة فيموت كل حي فى السموات والأرض، إلا من شاء الله تعالى أن لا
يموت بها من الملائكة، وتبقى الحياة على الأرض فناء تاماً بمجرد وصول الصيحة إلى
أذن كل حي فتصعقه فى مكانه فلا يبقى على الأرض إنس ولا جان ولا ملك، ولا
حيوان ولا طير ولا حشرة، ولا نبات ولا أى كائن حي حتى ولا الكائنات الدقيقة
لقوله تعالى : ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾
[الرحمن: ٢٦-٢٧] والملائكة الذين يموتون فى الأرض والسماء هم من غير كبار
الملائكة مثل جبريل وميكائيل ، وإسرافيل وحملة العرش وملك الموت فهم الذين
استثناهم الله تعالى من الصعق بالصيحة الصادر بنفخة الصور الثانية المخصصة
للإفناء ، وتلك هى الساعة إذا أطلقنا الساعة وهى الساعة الوسطى أو القيامة الوسطى.

هذا هو الحدث الأول من أحداث القيامة الوسطى بالنفخة المحدث للصيحة الموت
والفناء الكلى فى الأرض، والموت الشامل الكلى فى لحظة واحدة بفعل الصيحة
عندما تدخل أذن الحى فتصعقه ولن يموت أحد فى هذا الحدث إلا بالصعق ، ومن ثم
لا هدم ولا دمار ولا حريق ولا غرق ولا إعصار ولا زلزال ولا رجفة، ولا أى
حدث من أحداث العنف والشدة فى السماء أو فى الأرض أو فى الجبال أو فى
البحار أو الكواكب أو النجوم أو الشمس أو القمر.

يدل على هذا قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٤٨) مَا
يَنْظُرُونَ إِلَّا صِحَّةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ (٤٩) فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ
يَرْجِعُونَ﴾ [يس: ٤٨-٥٠] فكل حي يموت فى مكانه حتى أنه لن يتمكن من الرجوع
إلى أهله وحتى أن المتخاصمين أمام القاضى فى المحكمة يموتان ومعهما القاضى وكل
الحضور فى المحكمة لأن الصيحة ستأخذهم وهم يخصمون أى يدافع كل خصم عن

حقّه، يؤكد هذا الفهم ما رواه البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « ولتقوم الساعة وقد نشر الرجلان ثوباً بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقوم الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحّه فلا يطعمه، ولتقوم الساعة وهو يلبط حوضه فلا يسقى فيه، ولتقوم الساعة، وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها» (١).

ولنا أن نتساءل: كم يستغرق من الوقت الإمساك باللقمة ثم توصيلها إلى الفم ومضغها؟! الإجابة: قليل جداً من الثواني، ذلك هو الزمن الذى تتم فيه كل أحداث الساعة التى هى القيامة الوسطى التى تتم بنفخة صيحة الصعق، وهذا يوافق ما علمناه بالتجربة وبالعلم إذ لا يستغرق الموت بالصعق إلا هذه الثواني المعدودة، وما ضرب رسول الله ﷺ هذه الأمثلة وأخرها زمن رفع اللقمة إلى الفم وعدم وصواها إليه إلا ليعين أن الموت بالساعة لن يستغرق سوى ثانية أو ثانيتين أو ثلاثة وهى فعلاً الزمن الذى يستغرقه القتل أو الموت بالصعق، ولا شك أن وصول الصيحة من السماء للأرض ولكل حى فيها يكون فى لحظة واحدة أو فى خلال لحظات معدودة.

إن فناء الحياة والأحياء على الأرض بالصيحة لا يتيح وقتاً لهم لعمل أى شيء ولا للتفكير فى أى شيء حتى ولا للفرع، فقط لحظات معاناة شدة وآلام الصعق ثم الموت.

وأورد السيوطى فى الدر المنثور قال « أخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة رضى الله عنه فى قوله: «وما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون» [يسن: ٤٩] قال: ذكر لنا أن نبى الله ﷺ كان يقول: تهيج الساعة بالناس والرجل يسقى ماشيته والرجل يصلح حوضه، والرجل يقيم سلعته فى سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه فتهيج بهم وهم كذلك فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون قال: أعجلوا عن ذلك ».

وأخرج ابن أبي حاتم عن السدى رضى الله عنه فى قوله: وهم يخصمون قال: يتكلمون.

(١) صحيح البخارى ٩-٥٩- من حديث طويل- ابن كثير فى النهاية ج ١ ص ٢٨٢- ورواه مسلم وابن المنذر وأبو الشيخ وسعيد بن منصور.

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عمر قال: لينفخن في الصور والناس في طرقهم وأسواقهم ومجالسهم حتى أن الثوب يكون بين الرجلين يتساومان فما يرسله أحدهما من يده حتى ينفخ في الصور فيصعق به، وهى التى قال الله ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ [يسن: ٤٩-٥٠].

وأقول والله تعالى أعلم: إن قوله تعالى ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ دليل أيضاً على أن الموت الكلى والفناء الشامل لن يستغرق ثوانى لأن المحتضر يمكن أن يوصى بثلاث كلمات أو بأقل فى ثانية أو ثانيتين، وهذا المصعوق الذى تقوم عليه القيامة تباغته الصيحة فيرتج جسده بها رجاً عنيفاً شديداً، يمنعه من الكلام للتوصية ويستمر هكذا ثوانى معدودة يموت على أثرها فقوله تعالى: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ معناه لا يقدرّون على التحدث أو التلفظ ولو بكلمة واحدة.

وهذا كله تفسير لقوله تعالى عن الساعة: ﴿ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْثَةً﴾ [الأعراف: ١٨٧] وقوله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْثَةً﴾ [محمد: ١٨] فهى تأتيتهم بغثة لأن كل من سيكون على الأرض من الإنس والجن لن يكون مؤمناً بها ولا باليوم الآخر وهم الأشرار ولن يكون فى الأرض دين ولا قرآن ولا سنة ولا توراة ولا إنجيل لا الصحيح ولا المحرف، ومن ثم فإن أهل الأرض يكونوا بلا علم وبلا ترقب، وبلا توقع للساعة فتأتيتهم بغثة.

ويقيد قوله تعالى: ﴿بَغْثَةً﴾ أيضاً أن الساعة التى ليس لها معنى إلا الموت الكلى والفناء التام لكل الأحياء والحياة فى الأرض لن تكون إلا بوسيلة سريعة جداً، وليس أسرع فى وسائل الموت من الصاعقة والصعق لأن الهدم والفرق والزلازل وغير ذلك من وسائل الدمار تستغرق وقتاً ومن ثم فلا يكون الموت بغثة، ولا يموتون جميعاً فى لحظة واحدة فإذا هم خامدون جثثاً ملثاة فى كل مكان على الأرض.

ثانياً: ما يخص الملائكة المقربين من أحداث الساعة أو القيامة الوسطى بنفخة الصعق:

جاء فى حديث الصور الطويل قوله ﷺ (ثم يأمر الله إسرافيل فينفخ نفخة الصعق فى الصور فيصعق أهل السموات والأرض إلا من شاء الله فإذا هم خمدوا، جاء ملك الموت إلى الجبار إلى آخر هذا المشهد، وفيه أن قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ يدل على أن المستثنى من الصعق الملائكة المقربون: جبريل وميكائيل وحملة العرش ومنهم إسرافيل نافخ الصور ثم ملك الموت نفسه والنص يفيد أنهم يموتون عن آخرهم فلا يبقى إلا الحى الواحد الذى لا يموت سبحانه وتعالى آخرأ كما كان أولاً.

ثالثاً: ما يخص السماوات والأرض من أحداث بعد القيامة الوسطى أى بين نفخة الصعق وبين نفخة البعث:

جاء فى حديث الصور الطويل بعد موت ملك الموت وجميع الأحياء المخلوقين فى الوجود وبقاء الله تعالى وحده آخرأ كما كان وحده أولاً قوله ﷺ « طوى السموات والأرض كطى السجل للكتاب، ثم دحاهما ثم لفها ثلاث مرات، وقال: أنا الجبار، ثلاثاً، ثم هتف بصوته، لمن الملك اليوم ؟ ثلاث مرات فلا يجيبه أحد، فيقول لنفسه: لله الواحد القهار، ويدل الله الأرض غير الأرض، والسموات، فيسطها، ويسطحها، ويمدها من الأديم العكاظى لا ترى فيها عوجاً ولا أمناً».

تفرد الله تعالى بالأولية والآخرة خصائص وجودية لا يشاركه فيها غيره، وأيضاً تفرد به بالملك والملكوت وبالقهر والجبروت، فلا يشاركه فى هذه الصفات غيره عز وجل.

ثم هو سبحانه يهيم السماوات والأرض للموقف العظيم يوم يقف الخلائق كلها لله رب العالمين للحساب والفصل والجزاء.

والأرض التى عليها الناس الآن مخلوقة للحياة وللإستقرار فجعل فيها الجبال حتى لا تميد وجعل فيها الأنهار والأمطار والبحار والوديان، والصحارى والسهول والهضاب فالاختلاف فى تضاريسها لتنوع البيئات من مناطق استوائية ومدارية

وقطبية جليدية وغابات كثيفة وصحارى شاسعة وسواحل مختلفة وأعماق متباينة ومحيطات هائلة وبحيرات محدودة ومعادن وطبقات أرضية متنوعة ، وكله مخلوق للإنسان ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩] وذلك حتى تكتمل أسباب معيشة البشر في مرحلة الخلافة الابتلائية أى في هذه الحياة الدنيا.

قال تعالى: ﴿.. وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [البقرة: ٣٦] وحيث أن المستقر في هذه الحياة الدنيوية له مقتضيات للمعيشة، فقد جعل الله تعالى الأرض وما فيها بكيفيات ملبية ومحقة لحاجات البشرية وسائر الأحياء على الأرض، فهي بالهيئة التي عليها الآن من جبال ووديان وسهول وهضاب، وبحار ومحيطات ونباتات، وأنعام وغير ذلك لتحقيق هذه الحاجات الضرورية للحياة.

أما مرحلة ما بعد نفخة البعث فليس فيها إلا وقوف الخلق جميعاً عليها للحساب، ومن ثم لن تكون صالحة لهذه المرحلة إلا إذا كانت مستوية مسطحة ممتدة لا عوج فيها ولا أمناً أى لا بروز ولا ارتفاعات في سطحها وهذا يتمه الله سبحانه، بدك الأرض والجبال دكة واحدة، فتتسفل الجبال وتصبح كالعهن المنقوش، ثم تصير سراباً وتُسوى الأرض بعد ذلك فتختفى منها البحار والارتفاعات المختلفة على سطحها فلا يبقى إلا سطح ممتد منبسط وهي التي يقول الله تعالى: ﴿وَحُجِّلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ [الحاقة : ١٤] وهي التي يقول الله تعالى ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (١٠٥) فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (١٠٦) لَا تَرَىٰ فِيهَا عِرجًا وَلَا أَمْثًا﴾ [طه: ١٠٥-١٠٧] وصفصفاً أى لا نبات فيها وأمثا أى لا رابية فيها وعرجاً أى وادياً.

وهي التي يقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ [القارة: ٥-٦] تتحول الجبال من الصوف المتطاير إلى أن تكون

كالسراب ﴿وَسِيرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [النبا: ٢٠] وهى التى قال الله تعالى فيها أيضاً: ﴿وَيَوْمَ نُسِيرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا (٤٧) وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾ [الكهف: ٤٧] فمتى يهيبى الله تعالى الأرض للحشر: وينسف الجبال ويجعلها سراباً وغير ذلك من أحداث يتحقق بها هذا الاستواء والتسطيح والمد كالأديم العكاظى أى كالجلد الذى كان يصنع فى عكاظ؟ إنه بعد نفخة الصعق وقبل نفخة البعث. وعلى هذا فليس من أحداث ليوم ما بين النفخة الثانية والثالثة إلا تسوية الأرض للحشر وهذا يتم والأحياء كلهم موتى أى ما بين النفختين الثانية والثالثة:

أما ما يخص الناس فى هذا اليوم فقد ورد فى حديث الصور الطويل قوله: «ثم يزجر الله الخلق زجرة، فإذا هم فى مثل ما كانوا فيه فى الأولى من كان فى بطنها كان فى بطنها، ومن كان على ظهرها كان على ظهرها، ثم ينزل الله عليكم ماءً من تحت العرش، ثم يأمر الله السماء أن تمطر فتمطر أربعين يوماً حتى يكون الماء فوقهم اثني عشر ذراعاً ثم يأمر الله لأجساد أن تنبت، فنبت كنبات البقل حتى إذا تكاملت أجسادهم، فكانت كما كانت» والذين فى بطنها يُحتمل أن يكونوا الجن الذين يسكنون باطن الأرض ويحتمل أن يكونوا موتى الإنس الذى دفنهم أهلهم فى مقابر، ومن ثم يكون المقصود بمن على ظهرها الذين يموتون بنفخة الصعق إذ أنهم لا يدفنون بل ستظل جثثهم على ظهرها ولا مانع من الجمع بين التفسيرين وما هذه الزجرة إلا لتهيئة بقايا^(١) الناس للبعث بعد ذلك كما يدل عليه الحديث.

وبهذا نكون قد استعرضنا أحداث القيامة الكبرى أى يوم البعث ثم أحداث القيامة الوسطى بنفخة الصعق وما يحدث بين النفختين.

(٥٨) أحداث القيامة الصغرى التى تتم بنفخة الفرع وهى النفخة الأولى المرتقبة،

(١) أقصد بالبقايا عجب الذنب الذى لا يلى من كل آدمى وعليه ينبت جسده فى البعث.

ويبقى لدينا سؤال هام هو محور هذا البحث هذا السؤال يقول: ورد في القرآن الكريم مشاهد للقيامة وأحداث تقع في السماء مثل الانشقاق والانفطار والانفراج والكشط.

وورد فيه مشاهد وأحداث تقع للأرض مثل الزلزلة والرجفة والرجة والخسف. وورد فيه مشاهد وأحداث تقع للجبال وهو بثها حتى تكون هباءً منبثاً ونسف الجبال وتسييرها وورد فيه تسجير البحار وتفجيرها. وورد فيه انتشار الكواكب وانكدار النجوم وتكوير الشمس وحشر الوحوش وحسبها تنزل من السماء على الناس وغير ذلك من مظاهر الهدم.

فمتى تكون هذه الأحداث، التي صارت في أذهان المسلمين، هي الأحداث البارزة في يوم القيامة؟ وبأي نفخة تقع هذه الأحداث؟ لم يبق إلا أن نحدث بنفخة الفزع، وهي التي تسبق نفخة الصعق أو نفخة الفناء والموت الكلي بزمان طويل، وما بين النفختين نفخة الفزع الأولى ونفخة الصعق أي الثانية أحداث وحياة وصراع وهزائم، وانتصارات وتتحقق فيها آيات الساعة العشر.

بل إن يوم القيامة يبدأ قبل نفخة الفزع التي هي مرحلة فيها، لأن يوم القيامة أوله سرور وفرح وبهجة ومتعة ومتاع ورفاهية وزينة وزخرف وقوة للإنسان لم تحدث له من قبل وآخره عذاب ينزل من السماء على أهل الأرض، يقضى منهم الكثير ويبقى من يشاء الله تعالى أن يبقى، عذاب يحصد ويهدم ما زرعوا وما بنوا فتصير حصيداً كان لم تغن بالأمس، ونفخة الفزع هي التي تنهى سرورهم ومتاعهم وزخرفهم وزينتهم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا مِثْلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَعْنِ بِالْأَمْسِ﴾ [يونس: ٢٤] فأول اليوم سرور بالزخرف والزينة والقوة وهذا يتوافق مع قوله ﷺ: (من سره أن ينظر إلى يوم القيامة رأى عين فليقرأ «إذا الشمس كورت»، «وإذا السماء انفطرت» «وإذا السماء انشقت»).

فهذه السور الثلاث تعرض ما يسر الناس المعاصرين للمرحلة الأولى من القيامة الصغرى، كما سيأتى تفسيرها بعد فى الجزء الثالث بإذن الله تعالى وهو ما يعتبر تفصيلاً لقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا﴾ ثم بعد ذلك ينزل العذاب بنفخة الفزع وهو ما ورد فى أول حديث الصور الطويل: «إن الله تعالى لما فرغ من خلق السماوات والأرض، خلق الصور فأعطاه إسرافيل، فهو واضعه على فيه، شاخصاً إلى العرش يبصره، ينتظر متى يؤمر؟ قال: قلت: يا رسول الله ما الصور؟ قال: قرن: قال: كيف هو؟ قال: عظيم، قال: والذي بعثنى بالحق إن عظم دائرة فيه لعرض السماوات والأرض.

يُنْفَخُ فِيهِ ثَلَاثُ نَفَخَاتٍ، الأولى: نفخة الفزع، والثانية نفخة الصعق، والثالثة: نفخة القيام لرب العالمين، يأمر الله إسرافيل بالنفخة الأولى فيقول انفخ نفخة الفزع فيفزع أهل السماوات والأرض إلا من شاء الله ويأمره تعالى فيمدها وبطيها ولا يفتر، وهى التى يقول فيها: ﴿وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ﴾ [ص: ١٥] فتسير الجبال سير السحاب، فتكون سرباً، وترج الأرض بأهلها رجاً، فتكون كالسفينة الموقفة فى البحر تضربها الأمواج، تكفأ بأهلها كالقنديل المعلق بالعرش، ترجه الأرواح، ألا هو الذى يقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۖ تَتَّبِعُهَا الرُّادِفَةُ ۖ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۚ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ۚ يَقُولُونَ أَيْنَا لَمْرَدُونَ ۚ فِي الْحَافِرَةِ ۚ﴾ [النازعات: ٦-١٠] الآيات فيميد الناس على وجهها، وتذهل المراضع، وتضع الحوامل ويشيب الولدان، وتطير الشياطين هاربة من الفزع حتى تأتى الأقطار، فتلقاهم الملائكة فتضرب وجوههم فيرجعون ثم يولون مدبرين ما لهم من الله من عاصم ينادى بعضهم وهو الذى يقول الله تعالى يوم القيامة: ﴿يَوْمَ التَّنَادِ﴾ [غافر: ٣٢] بينما هم على ذلك، إذ تصدعت الأرض تصدعتين من قطر إلى قطر، فأروا أمراً عظيماً لم يروا مثله، فأخذهم لذلك من الكرب، والهول ما الله به عليم، ثم تطوى السماء فإذا هى كالمهل، ثم انشقت السماء فانتشرت نجومها، وخسف شمسها وقمرها.

قال رسول الله ﷺ : الأموات لا يعلمون بشيء من ذلك، قال أبو هريرة : يا رسول الله من استثنى الله حيث يقول : ﴿ فَفَرِّعْ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾ [النمل: ٨٧] قال: أولئك الشهداء، وإنما يصل الفرع إلى الأحياء ، وهم أحياء عند ربهم يرزقون فوقاهم الله فرعه وأمنهم منه، وهو عذاب الله يسبغه علي شرار خلقه، وهو الذي يقول الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝ (١) يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلُّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ۝ [الحج: ١-٢] فيمكنون في ذلك العذاب ما شاء الله إلا أنه يطول ثم بأمر الله إسرافيل فينفخ نفخة الصعق (...) أى أن بين نفخة الفرع التى ينزل بها عذاب القيامة الصغرى وبين نفخة الصعق التى تتحقق به القيامة الوسطى والموت الشامل لكل الأحياء أى الساعة زمناً يطول وهو ما ذكرنا أن الدنيا تستمر بعد الصغرى عشرات أو مئات السنين والله تعالى أعلم ويحدث فيه الآيات والأمارات والعلامات ابتداء من يسعة المهدى ثم خسف جيش السفينانى ثم عودة الخلافة الإسلامية الراشدة ثم الملحمة العظمى وفتح أوربا ثم الخروج العلنى للدجال ثم نزول المسيح عليه وعلى نبيّنا الصلاة والسلام واستئصال الدجال واليهود والقضاء على بقية الإفسادة الكبرى لهم ثم خروج يأجوج ومأجوج ثم موتهم ثم نزول بركة الأرض فى عهد المسيح عليه السلام ثم موته ثم خروج الشمس من مغربها والدابة والدخان ثم مجئ ريح تقبض كل نفس مؤمنة ورفع القرآن من المصاحف ثم مجئ ذى السويقتين الحبشى إلى مكة وهدم الكعبة ثم بقاء الأرض على أجيال من الأشرار وعقم النساء ثم خروج نار من قعر عدن تسوق الناس إلى محشرهم ثم تقوم الساعة فى لحظة لا يعلمها إلا الله تعالى وهى التى تتم بنفخة الصعق.

ومن ثم فالزلازل والراجفة والواقعة ونزول العذاب وانتثار الكواكب وانفجار البحار وكل مشاهد الهدم وأحداث الدمار كلها تحدث فى الدنيا وعلامات وقته ومقدماته هى اتخاذ الأرض زيتنها وزخرفها وقوة أهلها حتى يظنوا أنهم قادرون عليها ، وتلك هى أحوال الأرض اليوم ، فساد فى جميع نشاط و

مناحي الحياة الخلقية والدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية وفساد فى البيئة أى البر والبحر مع تقدم تقنى وصناعى وعلمى هائل تحقق به سرور الإنسان وراحته ورفاهيته فى الأرض فى شتى مناحي الحياة من وسائل انتقال وأجهزة سمعية وبصرية وإنارة وأجهزة تشييد وعمران وزراعة وصناعة وغير ذلك، وهو ما تعيشه البشرية الآن فى مرحلة الزينة والزخرف والقوة الغاشمة الطاغية فى انتظار نزول العذاب بالزلازل وأحداث القيامة الصغرى ومن ثم تصبح الأرض بعد حدوثها حصيداً كأن لم تغن بالأمس.

ليس أمام البشرية الآن إلا أن ترتقب نفخة الفزع وزلازل الأرض العظيم ، إذا لم ترجع إلى الله تعالى وتوب إليه وتقلع عن شرورها.

ولا شك أن قوله ﷺ : « إلا أنه يطول » إشارة إلى أن الزمن بين نفخة الفزع ونفخة الصعق زمن طويل يعد بعشرات أو مئات السنين وليس يعد بالساعات أو الدقائق كما توهم المفسرون فجعلوا فناء الحياة بأحداث هذا اليوم.

إن يوم القيامة أوله سرور وبهجة ومتاع وزخرف فى الأرض وزينة حتى أن الناظر إليها يسره ذلك، وكذلك قوة لدى الإنسان تجعله يظن أنه قادر على حماية الأرض من عذاب الله النازل من السماء، هذا هو أول يوم القيامة الصغرى الذى ينتهى بنفخة الفزع لتصير الأرض حصيداً كأن لم تغن بالأمس.

وهو ما أخبر به الصادق المصدوق ﷺ (من سره أن ينظر إلى القيامة رأى عين فليقرأ إذا الشمس كورت وإذا السماء انفطرت وإذا السماء انشقت) وهذا هو موضوع الكتاب التالى فى هذه الموسوعة (القيامة الصغرى على الأبواب) فنتناوله تفصيلاً بإذن الله تعالى وموضوعه (الأمارات العلمية والتقنية والصناعية).

نسأل الله تعالى عونه وتوفيقه وسداده وأن يقينا عذابه يوم ينزل بعباده.

فهرس الكتاب

الصفحة	الموضوع
	الباب الأول: مصادر أشراف الساعة وأصولها الإعتقادية فى الكتاب والسنة
	الفصل الأول: القرآن الكريم والسنة أصح مصادر على المستقبل على الاطلاق
٨	١ - حفظ القرآن الكريم باللفظ والمعنى ظاهرة فريدة
٩	٢ - حفظ السنة بالمعنى
	٣ - دعوى التشكيك فى السنة وفى أحاديث الآحاد مصدرها المنافقون ومن فى قلوبهم مرض وجهلة المسلمين
١١	٤ - التشكيك فى أحاديث أشراف الساعة
١٣	٥ - من الصعب، ان لم يكن من المستحيل، الوصول إلى التفسير الصحيح للأحداث المعاصرة من غير الرجوع إلى نصوص الوحي
١٦	٦ - العجب كل العجب ان يشكك البعض فى أهمية علم أشراف الساعة ويعدلون عنه بالرغم من بدء اليوم الآخر
١٨	٧ - فتنة إنكار السنة أو التشكيك فى الأحاديث النبوية الشريفة والمخرج منها
١٩	٨ - إعتراض البعض على الرجوع إلى الوحي القديم والرد عليه
٢٢	٩ - الاعتراض على نصوص الأشراف بإنكار العقل لها والرد عليه
٢٦	١٠ - زعم البعض بان البحث فى علم المستقبل الاسلامى المعروف بأشراف الساعة والملاحم يضر ولا ينفع والرد عليه
٢٧	

الفصل الثامن: الأصول الإعتقادية لأشراط الساعة في الكتاب والسنة

١١ - الإيمان بالساعة وأشراطها فرع من الإيمان باليوم

٣٢ الآخر

٣٧ ١٢ - الإيمان بالآخرة في مقابل الدنيا

٤١ ١٣ - النشأة الآخرة في مقابل النشأة الأولى

الباب الثاني: مراحل يوم القيامة وتصنيفه لأشراط

الفصل الأول: القيامة والساعة في الكتاب والسنة وتصنيف الأشرط

٤٦ ١٤ - قيام الساعة بفته في آخر لحظة من عمر الحياة الدنيا

١٥ - خلط الباحثين بين مدلولات الساعة والبعث

٤٧ والقيامة

١٦ - ما أطلق عليه العلماء أشراط الساعة العظمى هو بدء

٥٢ نهاية الدنيا أو هو بمثابة فجر اليوم الآخر

٥٣ ١٧ - دلالات الساعة الثلاث عند العلماء

٥٦ ١٨ - معنى قرب الساعة عند العلماء

الفصل الثاني: المصطلحات الأربعة للأحداث الدالة على الساعة في

الكتاب والسنة

٦٣ ١٩ - معنى الشرط

٦٤ ٢٠ - معنى الساعة

٢١ - معنى اليوم الآخر، ومتى يبدأ؟ ومتى ينتهي؟

٦٥ ومراحله

٢٢ - تصنيفي للأحداث السابقة على الساعة إلى أشراط

٦٧ وأمارات وعلامات وآيات ..

٢٣ - تصنيف العلماء الأشرط إلى صغرى وكبرى حسب

البعد والقرب الزمني من الساعة ومبررات رفض هذا

٦٩ التصنيف

- ٢٤- الفروق اللغوية والاصطلاحية بين الاشراف
- ٧١ والعلامات والأمارات والآيات
- الباب الثالث: حجب علم الساعة وكشف علم الاشراف**
- الفصل الأول: لا يعلم وقت الساعة إلا الله تعالى وحده**
- ٢٥ - لا يعلم وقت الساعة إلا الله تعالى وحده ولم يظهر
- ٨٢ أحداً من خلقه على وقت وقوعها
- الفصل الثاني: أهداف علم أشراف الساعة وفوائده**
- ٩٢ ٢٦ - فوائد علم أشراف الساعة
- ٢٧ - أهم اهداف علم أشراف الساعة هو معرفة
- ٩٥ تسلسل الوقوع للإحداث التي تدل عليها النصوص
- ٢٨ - الحكمة من حجب العلم بأزمة وقوع الفتن
- ٩٩ والملاحم
- الباب الرابع: علم أشراف الساعة بين السابقين والمهاجرين**
- الفصل الأول: خطة الحافظ نعيم بن حماد في كتاب الفتن**
- ١٠٩ ٢٩ - خطة الحافظ نعيم بن حماد في كتاب الفتن
- الفصل الثاني: ابو عمر عثمان بن سعيد الداني وكتابه السنن الواردة**
- في الفتن وغوائلها والساعة واشراطها**
- ١١٦ ٣٠ - خطة الداني في كتابه السنن الواردة
- ٣١ - ترتيب العلامات والأمارات والآيات حسب
- ١٢١ تسلسلها عند الداني
- الفصل الثالث: خطة القرطبي رحمه الله تعالى في كتابه التذكرة في**
- أحوال الموتى وأمور الآخرة**
- ١٢٨ ٣٢ - خطة القرطبي ومنهجه في كتابه
- الفصل الرابع: خطة ابن كثير في كتابه النهاية في الفتن والملاحم**
- ١٣٢ ٣٣ - خطة ابن كثير في كتابه النهاية في الفتن والملاحم

الفصل الخامس: خطبة الشيخ يوسف البرزنجي في كتاب (الاشارة، الاشارة)
(الاشارة)

- ٣٤ - خطبة البرزنجي في كتابه الاشاعة ١٤٠
- ٣٥ - تسلسل أحداث الاشراف العظمى عند
البرزنجي ١٤٥
- الفصل السادس: ترتيب السفاريني للاشراف في كتابه لوامع الانوار
- ٣٦ - خطبة العلامة السفاريني في كتابه لوامع الانوار ١٥٠
- ٣٧ - ترتيب السفاريني للاشراف في كتابه
لوامع الانوار ١٥١
- الفصل السابع: كتاب مطابقة الاختراعات العصرية لرائد علم اشراف
الساعة الحديث الشيخ الغماري
- ٣٨ - كتاب مطابقة الاختراعات العصرية للغماري ١٥٨
- ٣٩ - اهداف الشيخ الغماري من تصنيف الكتاب ١٥٩
- الفصل الثامن: كتاب الشيخ حمود التويجري «اتحاف الجماعة»
- ٤٠ - خطبة الشيخ التويجري في كتابه ١٦٨
- ٤١ - ترتيب الأمارات والآيات عند التويجري ١٧٣
- ٤٢ - تأثر الشيخ التويجري بالشيخ الغماري في
المطابقات ١٧٥
- الفصل التاسع: الشيخ أبو بكر الجزائري ورسائله اللقطات والاحاديث
النبوية
- ٤٣ - الشيخ ابو بكر الجزائري ورسائله ١٨٠
- الفصل العاشر: الخطبة وتقسيم الاشراف عند يوسف الوابل
- ٤٤ - الخطبة وتقسيم الاشراف عند يوسف الوابل ١٨٤
- الفصل الحادي عشر: ترتيب الاشراف حسب وقوعها بين الأولين
والمعاصرين

١٩٠	٤٥ - أهمية ترتيب الاشراف حسب وقوعها
	الفصل الثاني عشر: ترتيبى للاحداث التى تترقبها البشرية
١٩٦	٤٦ - ترتيبى للاحداث التى بين يدي الساعة
	الباب الخامس: التمييز بين مراحل القيامة الثلاث
	الفصل الأول: المفهوم الشائع لدى المسلمين فى ضوء الكتاب والسنة
٢٠٢	٤٧ - الخلط بين مراحل القيامة الثلاث
	٤٨ - شواهد على تداخل أحداث القيامة الثلاثة عند
٢٠٥	المفسرين
	الفصل الثانى: اختلاف العلماء حول تحديد عدد نفخات الصور
٢١٦	٤٩ - اختلاف العلماء حول نفخات الصور
٢١٦	٥٠ - نفخة البعث
٢٢١	٥١ - نفخة الصعق
٢٢٥	٥٢ - العلاقة بين الصيحة والصعق
٢٢٦	٥٣ - نفخة الفزع
	الفصل الثالث: القيامات الثلاث أو مراحل يوم القيامة الثلاث
٢٣٠	٥٤ - التمييز بين المراحل الثلاث
٢٣٠	٥٥ - أحداث القيامة الكبرى
٢٣٥	٥٦ - أحداث القيامة الوسطى
	٥٧ - العناصر الرئيسية فى أحداث القيامتين: الوسطى
٢٣٧	والكبرى
٢٤٢	٥٨ - أحداث القيامة الصغرى التى ستم بتفحة الفزع

كتب المؤلف

- ١- القضاء والقدر في الإسلام الجزء الأول:- في الكتاب والسنة . ثلاث طبعات
- ٢- القضاء والقدر في الإسلام الجزء الثاني:- عند السلف والمتكلمين. ثلاث طبعات
- ٣- القضاء والقدر في الإسلام الجزء الثالث :- عند الفلاسفة. ثلاث طبعات
- ٤- القضاء والقدر في الإسلام الجزء الرابع:- عند الصوفية. تحت الطبع
- * وهو الكتاب الذى حاز به المؤلف على جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
- ٥- الأصول الإعتقادية للمعرفة في الإسلام. طبعة واحدة
- ٦- الإسلام والعلم التجريبي. طبعة واحدة
- ٧- استخلاف الإنسان في الأرض. ثلاث طبعات
- ٨- قواعد منهجية للباحث عن الحقيقة فى القرآن والسنة طبعتان
- ٩- الإنسان والشیطان ثلاث طبعات
- ١٠- مفاهيم قرآنية حول حقيقة الإنسان ثلاث طبعات
- ١١- محاضرات في العقيدة الإسلامية ثلاث طبعات
- ١٢- توفيق الحكيم لمن أستمع وإلى من تحدث طبعة واحدة
- ١٣- مقومات المجتمع المسلم ثلاث طبعات
- ١٤- البيان النبوي بدمار إسرائيل والوشيك وتحرير الأقصى طبعة واحدة
- ١٥- الخلافة الإسلامية:- حقيقتها وأصولها الإعتقادية وحثية عودتها طبعة واحدة
- ١٦- التوحيد :- معرفة الله والعلم به تحت الطبع
- ١٧- المدخل إلى العقيدة الإسلامية تحت الطبع
- ١٨- حكم الإسلام في استخدام العنف في الدعوة والإصلاح تحت الطبع
- «موسوعة أشراط الساعة،
- ١٩- القيامة الصغرى على الأبواب الجزء الأول :- وهو الإصدار الثاني لكتاب زلزال الأرض العظيم. طبعتان
- ٢٠- القيامة الصغرى على الأبواب الجزء الثاني:- «المدخل إلى علم أشراط الساعة بمنهج المطابقة». طبعة واحدة

- ٢١ - القيامة الصغرى على الأبواب الجزء الثالث: «الأمارات العلمية والتكنولوجية في الكتاب والسنة»
تحت الطبع
- ٢٢ - القيامة الصغرى على الأبواب الجزء الرابع: «الأمارات الخلقية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية»
تحت الطبع
- ٢٣ - القيامة الصغرى على الأبواب الجزء الخامس: «أحداث ما قبل المهدي عليه السلام»
تحت الطبع
- ٢٤ - القيامة الصغرى على الأبواب الجزء السادس: «المسيح الدجال»
تحت الطبع
- ٢٥ - القيامة الصغرى على الأبواب الجزء السابع: «المهدي عليه السلام»
تحت الطبع
- ٢٦ - القيامة الصغرى على الأبواب الجزء الثامن: «الملحمة العظمى وفتح أوروبا».
تحت الطبع
- ٢٧ - القيامة الصغرى على الأبواب الجزء التاسع: «يأجوج ومأجوج»
تحت الطبع
- ٢٨ - القيامة الصغرى على الأبواب الجزء العاشر: «نزول المسيح عليه السلام»
تحت الطبع
- ٢٩ - القيامة الصغرى على الأبواب الجزء الحادي عشر «ما بعد المسيح عليه السلام إلى قيام الساعة»
تحت الطبع

جميع المراسلات وطلبات التوزيع

باسم عبد الرحمن فاروق الدسوقي ت/ ٥٥٧٢٦٦٠ / ٠٣ - الاسكندرية تطلب مطبوعاتنا من المكتبات الآتية:

- ١ - مكتبة مدبولي - ٦ ميدان طلعت حرب / ت: - ٥٧٥٦٤٢١.
- طريق النصر - مدينة نصر / ت: - ٤٠١٥٦٠٢ - القاهرة.
- ٢ - مكتبة حميدو - ٢٦ ش النبي دانيال / ت: ٤٩٠١٤٩٤ - ٤٩٣٣٨٧٤ - الاسكندرية.
- ٣ - مكتبة دار العقيدة للتراث - ١٠١ ش الفتح - باكوس أمام محطة الترام / ت: ٥٧٠٧٣٢١ - الاسكندرية.
- ٤ - معرض لونا بارك - ش لاجينيه - الإبراهيمية - الاسكندرية.
- ٥ - دار الدعوة - ١ ش منشأ محرم بك / ت: - ٤٩٠١٩١٤ - ٤٩٠٧٩٩٨ - الاسكندرية

ولدى باعة الجرائد في جميع المحافظات



إمامنا العلامة الشيخ محمد باقر المجلسي

THE

١٩٨٥م / ١٤٠٥هـ : تخرجت من جامعة الإسكندرية
 بدرجة البكالوريوس في اللغة العربية وآدابها
 من كلية اللغة العربية قسم اللغة الإسلامية من كلية
 الدراسات الإسلامية بدار العلوم بدمياط
 ١٩٨٥م / ١٤٠٥هـ : عملت مع مربيّة الشرف الأولى
 في دار العلوم بدمياط
 ١٩٩٤م / ١٤١٥هـ : عملت مع مربيّة الشرف الأولى
 في دار العلوم بدمياط

الكتاب

فيكون العلم من التمام الصغرى على الابواب القضايا
 التي هي في اشراط الساعة بمنهج المطابقة، هذا العلم الذي يختلف
 باختلاف الساعات والساعات الخارج عن كل ما هو مدون تحت عناوين
 اشراط الساعة والحق واللاحق . من حيث ان الاولين السابقين من العلماء
 رحمهم الله لم يكن علمهم الا ان يهتموا بنصوص الوحي الخاصة بالاشراط
 والفن في تلك الصورات ومفاهيم عصورهم وبالتالي فهم معنورون
 الله في كل عصرهم ولايات وشروطهم الاجتماعية مع كل ما تحقق
 من أحداث في كل عصرهم ومختوعات لم تكن الحظر على بال احدهم
 ما عدا تلك الطريقة في عصورنا الراهن ونحن نعلم هذا العصر الراهن
 الذي علمهم هذه النصوص منهم لاننا نعيشها من هنا جاءت
 أهمية المطابقة بين المفاهيم اللغوية للنصوص الوحي مع الأحداث
 والاحوال الاجتماعية والمخترعات العصرية. فظهرت بالتالي نتيجة
 هذه المطابقة ، معالم علم جديد في اشراط الساعة وهذا الجزء يضع
 الاساس الاعتقادي له ، ويقدم اهدافه ومناهجه وفوائده ومصادره
 ومفاهيمه ومصطلحاته ومراحل القيامة الثلاث الصغرى والوسطى
 والكبرى ويحدد أحداث كل مرحلة من اجل هذا كله استحق ان يكون مدخلا
 لعلم اشراط الساعة بمنهج المطابقة ، لا غنى عنه لمن يريد ان يتابع
 قراءة هذه الموسوعة